المبنى للمجهول
وتراكيبه ودلالته فى القرآن العظيم

الدكتور
شرف الدين الراجحى
كلية الآداب ـ جامعة الاسكندرية

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة ت: ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قناة السويس - الشاطبى - ت: ٥٩٧٣١٤٦

المبنى للمجهول
وتراكيبه ودلالته فى القرآن العظيم

للدكتــور

شرف الدين الراجحي

كلية الآداب – جامعة الإسكندرية

١٩٩٩

دار المعرفة الجامعية
٤٠ ش سوتير - الأزاريطة - ت ٤٨٣٠١٦٣
٣٨٧ ش قنال السويس - الشاطبي - ت ٥٩٧٣١٤٦

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمْ

مقـــدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على رسول الرحمة المهداة وعلى آله وصحبه وسلم

وبعد،

فإن المبنى للمجهول أحد مباحث النحو العربى عنى به القدماء فى تأصيلهم لقواعده وصياغة فعله ولكننا نلاحظ أنهم لم يستقصوا تراكيبه من خلال النصوص اللهم إلا شواهد محفوظة مكـررة والحق أنهم وضعوا قواعد لصياغة الفعل المبنى للمفعول واختلفوا فيما يستحق أن يقوم مقام الفاعل وأشاروا إلى الأفعال التى وردت ملازمة للبناء للمفعول أو التى وردت مرة مبنية للمعلوم ومرة مبنية للمجهول.

وقد عنى علماء التفسير والبلاغة بهذا المبحث ودلالة استخدامه فى القرآن العظيم. والحق أن النص القرآنى المعجز يحفل بتراكيب للمبنى للمفعول تنطق بوصفه العجيب وتوحى بسنن الكبرياء ومقام العزة.

ولا نبخس أهل الفضل والعلم. فقد كان للدكتور محمود سليمان ياقوت فضل السبق فى مبحثه القيم المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم وقد حاولت أن أستقصى التراكيب التى وردت فيها صيغة المبنى للمفعول فى القرآن العظيم وعنيت بالقراءات القرآنية المعتمدة التى تأتى بالفعل أحيانًا مبنيًا للمفعول وأخرى مبنيًا للفاعل وأثر ذلك فى الدلالة.

وقد قسمت البحث إلى ستة فصول تناول الفصل الأول المبنى للمفعول عند القدماء ورأى علم اللغة الحديث. ثم تناولت التراكيب التى ورد فيها الفعل مبنيًا للمفعول وما قام مقام الفاعل فى آى الذكر الحكيم وكان ذلك فى خمسة فصول :

ففي الفصل الثاني تناولت المبني للمفعول ونائب الفاعل اسم ظاهر.

وفي الفصل الثالث تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر.

وفي الفصل الرابع تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير متصل.

وفي الفصل الخامس تناولت المبني للمفعول ونائب الفاعل شبه جملة.

وفي الفصل السادس تحدثت عن المبني للمفعول ونائب الفاعل ضمير مستتر.

وختمت البحث بخاتمة بينت فيها أهم نتائج البحث ومصادره ومراجعه.

وبعد،

فهذا مبحث أبتغي به وجه الحق تعالى فإن أصبت فلله المنة والفضل وإن كانت الأخرى، فحسبي أني حاولت.

والله يوفقنا إلى السداد.

د. شرف الدين الراجحي

الكويت في يناير ١٩٩٨م.

الفصل الأول

المبنى للمجهول عند القدماء
ورأى علم اللغة الحديث

المبني للمجهول عند القدماء

ورأى علم اللغة الحديث

(أ) المستوى الصرفي :

تحدث النحويون القدماء عن تغيير صيغة المبني للمعلوم إلى مبنى للمجهول في مباحثهم عن ما لم يُسَمَّ فاعله أو نائب الفاعل وقليلاً ما نجد الصرفيين يعنون بهذا المبحث رغم أن فيه مسائل صرفية وصوتية.

وقد قسم النحويون الأفعال بالنسبة لبنائها للمجهول من عدمه إلى أقسام

١. قسم لا خلاف في جواز بنائه للمفعول وهو الفعل المتصرف التام مثل ضرب وكسر واعترف ويستعين.

٢. قسم لا يجوز بناؤه للمفعول باتفاق النحاة وهي الأفعال الجامدة مثل نِعْمَ وبئس وحبَّذا ولاحبَّذا وعسى وليس وتبارك وأفعال التعجب ومنها الأفعال الخاصة بالطباع مثل شَجُعَ الجندى وكَرُم العربىُّ والأفعال الدالة على الألوان والعيوب الخلقية والحلية ومثال ذلك احمرَّ واصفرَّ واعورَّ واحورَّ.

٣. قسم فيه خلاف بين النحويين وهو كان وأخواتها المتصرفة[1]. فرأى "الفرّاء" أنه تبنى كان وأخواتها للمفعول مثل الفعل المتعدى فيقول في كان زَيْدٌ قائمًا : كِينَ قائمٌ ورُدَّ عليه بأن ذلك يؤدى إلى بقاء الخبر دون مُخْبَرٌ عنه في اللفظ والتقدير وهذا فساد.

وقد أجاز "الكسائى" قيام الجملة التى تقع خبرًا لكان مقام الفاعل مثل

---

(١) انظر في هذه المسألة (أبو حيان الأندلسى)، في ارتشاف الضرب من لسان العرب، تحقيق د. مصطفى النمّاس، جـ ٢، ص ١٧٤، ود. على محمد فاخر، في شرح المقرّب لابن عصفور، الجزء الأول، ص ٥٥٥، ٥٥٧.

قولك كين يُقامُ ورفض ذلك جمهور البصريين.

أما ابن السَّراج وأبو على الفارسي وابن مالك فقالوا لا يجوز أن تبنى كان وأخواتها للمفعول.

قال "ابن مالك" «وحكى ابن السرَّاج أن قومًا يجيزون نيابة خبر كان المفرد وهو فاسد لعدم الفائدة ولاستلزامه إخبارًا عن غير مذكور ولا مقدَّر»(١).

أما "ابن عصفور" فذكر أنه يجوز بناء كان للمفعول بشرط أن تعمل في شبه جملة متعلق بها(٢).

وقد حاول "ابن عصفور" أن يسند مذهبه واختياره إلى "سيبويه" لأن "سيبويه" قال : «يقال كان فهو كائن ومكون كما يقال ضارب ومضروب»(٣).

ولكن سيبويه لم يتعرض لمسألة بناء كان للمجهول من عدمه ولذلك فإن "ابن جنى" سأل أستاذه "أبا على الفارسي" عن مكان هذه المسألة في كتاب سيبويه فقال له «ما كل داء يعالجه الطبيب»، وكان يقول : ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(٤). ومعناه «إنه ليس كل شيء في كتاب سيبويه فقد فاته كثير كما يفوت غيره وكل ما أراد سيبويه أن يبيِّنه بقوله : كائن ومكُون كضارب ومضروب أن يوضِّح تصريف كان»(٥).

تحويل المبنى للمعلوم إلى مبنى للمجهول :

تحدث الصرفيون عن صياغة الفعل عند بنائه للمجهول بتغيير صورة الماضي

---

(١) انظر: "ابن السرَّاج" في الأصول، جـ١، ص ١٠، و"ابن مالك" في شرح الكافية الشافية، جـ٢، ص ٦١١.

(٢) د. علي محمد ماخر : شرح المقرب لابن عصفور، القسم الأول، ص ٥٥٢.

(٣) سيبويه : الكتاب، جـ١، ص ٤٦

(٤) الآية ١٠٥ من سورة يوسف.

(٥) د. علي محمد ماخر . شرح المقرّب لابن عصفور، القسم الأول، ص ٥٥٧.

والمضارع المعلومين. قالوا ولا يصاغ (الأمْرُ) للمجهول لأن الأمر لا يكون إلا للمخاطب والمبنى للمجهول غائب ولأنَّ حدثه لما يوجد بعدُ حتى يتعلق بمفعول أو زمان أو مكان أو وصف بخلاف الماضى أو الحاضر فهما متعلقان بما ذكر فجاز حذف فاعلهما والإستغناء عنه والاكتفاء بمتعلقه.

ولكن لماذا غيَّروا صيغة الفعل إذ بُنى للمفعول فضمُّوا الأول وكسروا الثانى فى الماضى الثلاثى الصحيح وكسروا أول المعتل ولم يَضُمُّوه كالصحيح ؟

قال "الكمال الأنبارى" : «فإن قيل فلِمَ ضَمُّوا الأول وكسروا الثانى نحو ضُرِبَ زيد وما أشبه ذلك ؟ قيل إنَّما ضَمُّوا الأول ليكون دلالة على المحذوف الذى هو الفاعل إذا كان من علاماته وإنّما كسروا الثانى لأنّهم لما حذفوا الفاعل الذى لا يجوز حذفه أرادوا أن يصوغوه على بناء لا يشركه فيه شىء من الأبنية فبنوه على هذه الصيغة؛ فكسروا الثانى[1] وقال أيضًا عن سبب كسر أول المعتل :

«فإن قيل : فلِمَ كسروا أول المعتل، نحو قيل، وبيع ولم يَضُمُّوه كالصحيح؟ قيل : كان القياس يقتضى أن يُجرى المعتل مجرى الصحيح فى ضمِّ أوله، وكسر ثانيه، إلاَّ أنَّهم استثقلوا الكسرة على حذف العلّة فنقلوها إلى القاف، فانقلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، كما قلبوها فى ميعاد وميقات وميزان، وأصلها موعاد، وموقات، وموزان؛ لأنها من الوعد، والوقت، والوزن، وأمَّا الياء فثبتت لانكسار ماقبلها[2].

وقد عرض الصرفيون تغيير صورة الفعل بطرق مختلفة فبعضهم يبدأ بالثلاثى وآخرون يبدأ بغير الثلاثى، وهناك من يجعل الماضى والمضارع فى سبيل واحد ونستطيع أن نوجز هذه الطرق كما يلى :

---

[1] الكمال الأنبارى : أسرار العربية، ص٩٥.

[2] المصدر نفسه : ص٩٦.

١ – إذا كان الفعل ماضيًا سالما : ضَمَمْتَ أوله وكسرت ما قبل آخره إذا كان ثلاثيًا مثل عُرِفَ وكُتِبَ وإن كان مبدوءًا بتاء زائدة يضم الثانى مع الأول سواء أكان رباعيًا مجردًا أم ثلاثيًا مزيدًا بالتاء والشدّة ومثال ذلك تُدُحْرِجَ وتُعُلِّم وتُصُدِّقَ.

وإن كان مبدوءًا بهمزة وصل زائدة يضم الأول والثالث ويكسر ما قبل آخره مثل اُنطُلِقَ واُجْتُمِع واُسْتُخرِج وإن كان ثانيه أو ثالثه ألفًا زائدة قُلِبتْ واوًا تقول فى قاتل عارك – قوتل وعورك وتقول فى تعاون وتشارك وتسامح – تعوون تشورك – تسومِحَ.

٢– وإن كان الفعل ماضيًا معتلاً فصورته عند بنائه للمفعول كما يلى :

أ– إذا كان الفعل (مثالاً) مثل وعد ووقف يُغيّر مثل الماضى السالم تقول وُعِدَ ووقف.

وإذا كان الفعل معتل العين وقد سلمت عينه من الإعلال مثل عَورَ وصَيِدَ فيكون حكمه أيضًا ضم الأول وكسر ما قبل الآخر تقول صُيِدَ فى أنفه وعُوِرَ فى عينيه.

ب– إذا كان الفعل معتل العين (أجوف) وقد أعلت عينه مثل باع وقال وخاف فللعرب فيه ثلاثة أوجه :

١. إخلاص الكسر فيقال فى باع – بيع وقال – قيل.

٢. إشمام الضَمّ وهو الإتيان بالفاء بحركة بين الضم والكسر ويظهر ذلك فى اللفظ لا فى الخط.

٣. إخلاص الضم فتجعل عين المعتل واوًا مضمومًا ما قبلها سواء أكان أصلها الواو أم لم يكن فتقول فى باع –قال – حال (بوع – قول – حول) وهى لغة (بنو فقعس وبنو دبير) من فصحاء بنى أسد[1].

---

[1] انظر فى تفصيل ذلك : ابن يعيش : شرح المفصل، جـ٧، ص ٧٠، وخالد الأزهرى : التصريح على التوضيح، جـ٢، ص ٢٩٥.

د- إذا كان الفعل معتل الوسط غير ثلاثى مثل اختار وانقاد واستقام فلك فيه أيضًا ثلاثة الأوجه السابقة وهى إخلاص الكسر (اختير - انقيد - استقيم) أو الإشمام وهو الانحناء بالكسرة نحو الضمة فتميل الياء الساكنة إلى الواو أو إخلاص الضم فتقول اختور وانقود وتعزى هذه اللغة لبعض تميم وادعى بعضهم امتناعها فى المزيد دون المجرد[١] .

قالوا : وإذا أسند الفعل الثلاثى الأجوف المبنى للمفعول إلى ضمير متكلم أو مخاطب فلك فيه أوجه ومثال ذلك إذا قلت خافنى زَيْدٌ وباعنى لعمرو وعاقنى عن كذا فحذفت الفاعل وبنيت الأفعال للمفعول وأبدلت من ياء المتكلم تاء الفاعل.

فلو قلت خِفْتُ وبِعْتُ بالكسر وعُقْتُ بالضم لتوهَمّ أنه فعل وفاعل والمراد المجهول فتعين أنه لا يجوز إلا الإشمام بالضمة فى خِفْت ولا يجوز الضم وفى بِعْتُ وعِقْتُ يجوز الإشمام والضم ولا يجوز الكسر.

قالوا : أما سيبويه فلم يلتفت فى ذلك إلى الإلباس اكتفاء بالفرق التقديرى مثل مختار والفعل تضارّ لأن الأول يصلح أن يكون للفاعل والمفعول ومع ذلك أعلّوه بقلب الياء ألفًا اكتفاء بالفرق التقديرى والثانى أدغم مع كونه يحتمل أن يكون مبنيًا للفاعل والمفعول[٢] .

ويُعقّبُ الدكتور "الطيب البكوش" على التغييرات الصوتية التى تحدث بالفعل الأجوف بأن : الفعل المسند إلى نائب الفاعل أو المبنى للمجهول تكون عينه واقعة دائمًا بين ضمة وكسرة (فُعِلَ) أى بين حركتين متنافرتين قصيرتين وهى من الحالات التى تسقط فيها العين إذا كانت واوًا أو ياءً.

قال ← قُوِل ← قِيل

---

[١] انظر : سيبويه : الكتاب، جـ٢، ص ٣٦٣، والمبرد فى المقتضب، جـ١، ص ٢٤٤، والسيوطى : همع الهوامع، جـ٢، ص ١٦٥.

[٢] خالد الأزهرى : التصريح على التوضيح، جـ ٢، ص ٢٩٥.

باع ← بُيِعَ ← بِيع

نال ← نُيِلَ ← نِيل

وأن سقوط العين في هذه الأمثلة نتج عنه إدغام الحركة الأولى والضمة في الثانية (الكسرة) فأصبحت فاء الفعل متبوعة بكسرة طويلة لا فرق في ذلك بين الواوى واليائى والمشترك[1].

ويعتمد الدكتور "البكوش" على ما ذكره صاحب لسان العرب في رأى للفرَّاء رأس الكوفة «بنو أسد يقولون قُول وقيل بمعنى واحد وأنْشَدَ.

وابتدأت غضبي وأمّ الرّحال   وقول لا أصل له ولا مال

(قول) بمعنى قيل»[2].

ويستدل بذلك على أن بعض العرب كانوا يحاولون التمييز بين الفعلين، وقد يكون ذلك من بقايا حالة قديمة كانت فيها العربية تميِّزُ بين النوعين - إلا أنَّ وجود الصيغتين (قول، وقيل) عند بني أسد يدل على أن التطور سار نحو الخلط بين النوعين بتغليب الكسر وتعميمه - ذلك لأن العربية تميل إلى الكسرة كما كان لها أن تختار بينها وبين الضمة وتفضيل حركة العين على حركة الفاء[3].

٣- وإذا كان الفعل مضعفًا ثلاثيًا فالجمهور على ضَمِّ الفاء وذهب بعض الكوفيين إلى أن كسر أوله جائز ومثال ذلك رُدَّ الكتابُ - وشُدَّ الحبل - ورِدَّ الكتاب وشِدَّ الحبل. قالوا: والكسر لغة بني ضبة ولغة بعض تميم وجوَّز "ابن مالك" الإشمام فيه أيضًا ذكر ذلك في التسهيل[4].

---

[1] د. الطيب البكّوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات. ص ١٥١، ١٥٢.

[2] ابن منظور : لسان العرب، باب اللام.

[3] د. الطيب البكوش : التصريف العربي من خلال علم الأصوات، ص ١٥٣.

[4] انظر في ذلك في ابن مالك : التسهيل، ص ٧٥، وخالد الأزهري : في التصريح على التوضيح، جـ٢، ص ٢٩٦، والصبّان في حاشيته على الأشموني، جـ٢، ص ٦٣.

ونلاحظ أن "سيبويه" يَنُصُّ على اطراد الكسر عند العرب يقول : «واعلم أنه لغة مطرّدة للعرب يجرى فيها فُعِلَ من رَدَدتَ مجرى فِعل من قُلتَ وذلك قولهم قد رِدَّ وهِدَّ لما أسكنوا العين ألقوا حركتها على الفاء كما فُعِلَ ذلك في جِئْتُ وبِعْتُ واعلم أنَ رُدَّ هو الأجود الأكثر»[١] .

وسوف نرى إن شاء الله في التراكيب القرآنية أن قراءة الكسر قرأ بها علقمة ويحيى بن وثاب في قوله تعالى : ﴿هَـٰذِهِۦ بِضَـٰعَتُنَا رُدَّتۡ إِلَيۡنَا﴾[٢] . وغيرها من الآيات الكريمة ولا نرى ما ذهب إليه د. "الطيب البكوش بأن النطق الحجازى بضم أول المضاعف قد تغلّب رغم شذوذه، لأن العرب تفضل الكسر على الضم ذلك لأن جمهور النحويين ذكر أن لغة الضم هى الأجود وهى الفاشية وأن لغة الكسر لغة لبعض العرب.

٤- أما الفعل المضارع : فحين يبنى للمفعول يُضَمُّ أوله ويفتح ما قبل آخره إذا كان صحيحًا مثل يُنْطَلَقُ - يُسْتَخرَجُ - وقد يكون الأول مضمومًا فيبقى على ضمّه ويزاد عليه فتح ما قبل آخره مثل يُكْرَم - يُقاتَلُ.

وقد يكون ما قبل الآخر مفتوحًا فيبقى على فتحه ويُزَادُ عليه ضمّ الأول مثل يُلْعَبُ - يُتَقَاتَلُ.

وأما المعتل فهو مثل الصحيح في ضم أوله وفتح ما قبل آخره. فإذا كان معتل العين مثل يبيع - يقول (نقول) يُقَالُ - يُبَاعُ. وإن كان معتل اللام مثل يمشى ويغزو - تُقلَبُ الياء والواو أَلِفَيْن لفتح ما قبلهما تقول يُغْزَى - يُسْقَى.

أما المضعف فهو كالصحيح في ضَمِّ أوله وفتح ما قبل آخره تقول - فى يَرُدُّ الطالبُ الكتابَ - يُرَدُّ الكتاب وأصله يُرْدِد.

---

[١] سيبويه : الكتاب، جـ٢، ص ٤٠٠.

[٢] من الآية ٦٥ سورة يوسف.

وقد عُنِيَ الصرفيون بالأفعال التى تأتى غالبًا على صيغة المفعول والأفعال التى تأتى كثيرًا للمجهول وقليلاً للمعلوم، قالوا :

١ . هناك أفعال تأتى غالبًا على صيغة المجهول، وقال بعضهم بأنه ليس لها معلوم ومنها : زُهِيَ - وعُنِيَ - وزُكِمَ - وضُمَّ، وجُنَّ، وشلَّ وشُدِهِ - وامْتُقِعَ لونه - وفُلِجَ فلان - وأُغمي عليه، وغُمَّ الهلال، وأُهِلَّ الهلال، واستُهِلَّ - وشُدِهْتُ عنه.

٢ . هناك أفعال ورد لها مبنى للفاعل ولكن استعمالها للمفعول أكثر من المعلوم وذلك مثل بُهِتَ، وطُلَّ دَمُه (أُهْدِر) وأُولِعَ باللهو - وسُقِطَ فى يده ونُفِست المرأة ونُتِجَتْ الناقة، وشُلَّت يده، ووُكِس - ونُكِبَ وقالوا منه زُهِيَ وعُنِيَ وزُكِمَ.

ومن العلماء من أنكر المعلوم من هذه الأفعال الثلاثة[1]. وما ذكره الصرفيون يرتبط عندهم بمسائل منها مسألة الأصل والفرع فى البناء للمفعول والبناء للفاعل وقد اختلف البصريون والكوفيون فى ذلك :

١ . جمهور النحويين البصريين : إن صيغة المفعول فرع عن صيغة الفاعل.

٢ . قال الكوفيون والمبرِّد وابن الطراوة إلى أنهما بناءان مستقلان أى أصلان. ونسبه الرضى فى شرح الكافية لسيبويه.

وقد استدل من قال بأنهما بناءان مستقلان بتلك الأفعال التى وردت عن العرب و لم ينطق لها بفاعل مثل زُهِيَ وعُنِيَ وجُنَّ.

وقالوا لو كان فرعًا لزم أن لا يوجد إلا حيث يوجد الأصل قال ابن البطليوسى : «إنا نجد أفعالاً مصوغة للمفعول مخصوصة به، لا حظَّ للفاعل فيها كقولهم : بُهِتَ الرجل ونُفِسَت المرأة ولدًا، كما نجد أفعالاً مصوغة للفاعل، لا حظَّ

---

[1] انظر فى تفصيل ذلك : سيبويه : الكتاب، جـ٤، ص ٦٧، وابن سيدة فى المخصص، جـ١٥، ص ٧٢، ٧٣، وابن جنى فى الخصائص، جـ٢، ص ٢١٩، وابن السيد البطليوسى فى شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، ص ٣١٠، ٣١١، والسيوطى فى المُزْهِر، جـ٢، ص ٢٣٣.

فيها للمفعول، كقولهم جَلَس زَيْدٌ، وظَرُفَ عَمْرو، فدل هذا على أنَّ باب المفعول الذى لم يُسَمَّ فاعله أصل قائم بنفسه»[١] .

وقد رُدَّ عليهم بأنَّ العرب قد تستغنى بالفرع عن الأصل بدليل أنه وردت جموع لا مفرد لها مثل مذاكير وأباطيل وأعاريض قال "أبو حيان" : «وهذا الخلاف لا يجدى كبير فائدة»[٢] . ومنها أنه يمكن أن يفسر استخدام تلك الأفعال مبنية للمفعول بأنهم لا يريدون إسناد الفعل منها إلى فاعل، بل إلى مفعول باستخدام ظاهرة الاستغناء فقد استغنوا عن قَطَعَ بـ "قُطِعَ" وإذا قالوا جُنَّ وسُلَّ فإنما يقولون : جُعِلَ فيه الجنون والسلول»[٣] .

ومنها أن تلك الأفعال تدل «غالبًا على الإصابة بالأمرض والطوارئ التى لا دخل للإنسان فيها -أو التى يكون المصاب فيها أبدًا مقام الفاعل، ولا يكون فاعلاً مريدًا لفعله- ومن اللغويين من يقول إن هذه الأفعال بُنيت على المجهول اجتنابًا لنسبة المرض إلى فاعله فى هذا المقام، وهو الله تعالى، ولكنه سبب غير صحيح، لأن العربى قبل الإسلام يقول فى الدعاء : قاتله الله، وأهلكه الله وأبعده الله. ولا يتجنب نسبة الفعل إلى الله، مع أن القتل والهلاك والإبعاد أشد، ولا شك من الزكام، وأولى بالتحرز من ذكر الفاعل»[٤] .

---

[١] ابن السيد البطليوسى : الحلل فى إصلاح الخلل من كتاب الجمل، تحقيق سعيد عبد الكريم سعودى، ص ٢١١.

[٢] السيوطى : همع الهوامع، جـ٢، ص ١٦٤، ود. على محمد فاخر، فى شرح المقرب لابن عصفور، جـ١، ص ٥٧٠.

[٣] سيبويه : الكتاب، جـ٤، ص ٦٧.

[٤] العقاد : أشتات مجتمعات فى اللغة والأدب،ص ٦٧، ٦٨، ود. محمود سليمان ياقوت فى المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، ص ٥٤، ٥٥.

ومنها أن هناك اضطرابًا فى أقوال اللغويين فى تلك الأفعال ومثال ذلك الفعل (عُنِىَ) ذكرت المعاجم وكتب التصويب اللغوى أن له دَلالَتَيْنِ أحدهما للمفعول والأخرى للفاعل.

قال "ابن قتيبة" : «عُنِيتَ بالشيء فأنا أعنى به، لا يقال عَنِيتُ – ورد "ابن السيد" قد حكى "ابن الأعرابى" عَنَيْتُ بأمره وأنا به عاينٌ على مثال خشيتُ أخشى وأنا خاشٍ، والذى قاله ابن قتيبة هو المعروف وهذا نادر»[١] .

ولكن ابن منظور ذكر : «أن ابن برى يقول. إذا قلت عُنِيتُ بحاجتك فعدّيته بالباء كان الفعل مضموم الأول فإذا عدَّيته بفى فالوجه فتح العين فتقول عَنِيتُ وقال بعض أهل اللغة لا يقال عُنِيتَ بحاجتك إلا على معنى قصدتها من قولك عُنيتُ الشيء أعنيه إذا كنت قاصدًا إليه، فأما من العناء وهو العناية، فبالفتح نحو عنيت بكذا وعنيت فى كذا وعنيت بحاجتك أعنى بها، وأنا بها معنى على مفعول وفى الحديث الشريف "من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه (أى لا يهمّه) ويقال هذا الأمر لا يعنينى أى لا يشغلنى ولا يهمنى»[٢] .

وفى (زُهِىَ) ذكر "ابن منظور" : «وزُهِىَ فلان فهو مزهُوٌّ إذا أعجبَ بنفسه وتكبَّرَ. قال "ابن سيدة" وقد زُهِىَ على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعِلُه حزم به أبو زيد وأحمد ابن يحيى.

وحكى ابن السكيت زُهِيتُ وزَهَوْتُ...

قال وفيه لغة أخرى حكاها ابن دريد زها يزهو زَهْوًا أى تكبّر ومنه قولهم: ما أزهاه وليس هذا من زُهِىَ لأنَّ ما لم يُسَمَّ فاعله لا يتعجب منه»[٣] .

---

(١) ابن السيد البطليوسى : الاقتضاب شرح أدب الكتّاب، القسم الثانى، ص ٢١٩.

(٢) ابن منظور : لسان العرب، باب الياء وانظر الفيومى : المصباح المنير كتاب العين.

(٣) ابن منظور : لسان العرب، باب الياء.

وذكر الفيوميّ للفعل تركيبًا آخر، قال : زها النخل يزهو زهوًا والاسم الزُّهْوُ بالضم ظهرت الحُمْرةُ والصفرة في ثمره»[١] .

وفي الفعل (شَدِه)

قال "ابن منظور" «شَدِه رأسَهُ شدْها : شدَخَهُ وشدِهَ الرجل شدْها وشُدْها: شُغِل وقيل تحير والاسم الشداه.

"الأزهري" شُدِهَ الرجل دُهِشَ فهو دَهِشٌ ومشدوه شَدْهًا وقد أشدهه كذا.

"أبو زيد" شَدِهَ الرجل شَدْها فهو مشدوه : دُهِشَ، والاسم الشَّده. والشُّدْه – مثل البُخْلِ والبَخْلِ. وهو الشغل ليس بده وقال شُدِه الرجل شُغِل لا غير.

قال "أبو منصور الأزهري" : لم يجعل شُدِه من الدَّهَش لما فطن بعض الناس أنه مقلوب منه، واللغة العالية دُهِشَ مع فُعِلَ. وأما الشَّدْه فالدال ساكنة»[٢] .

وفي الفعل (بُهِت) ذكر ابن السيد البطليوسي :

«قال ابن قتيبة : بُهِت الرَّجلُ – وحكى عن "الكسائي" بَهِت بكسر الهاء وبُهِت على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله قال "ابن السيد" : يقال بُهِت على صيغة ما لم يُسَمَّ فاعله، وبَهِت بكسر الهاء وفتح الباء على مثال علمت، وبَهُت بضم الهاء على مثال ظَرُف وبَهَتَ بفتح الهاء على مثال رددت حكى ذلك "ابن جني"»[٣] .

ووضّح اللغات المختلفة للفعل ابن منظور بقوله :

«بَهتَ الرجل يبهته بَهْتًا وبَهتًا وبُهْتانًا، فهو بَهّاتٌ، أى قال عليه ما لم يفعل، فهو مبهوت وبهته بهتًا أخذه بغتةً والبَهْتُ الانقطاع والحيرة – رأى شيئًا فبُهت ينظر

---

[١] الفيومي : المصباح المنير كتاب الزاي.

[٢] ابن منظور : لسان العرب، باب الهاء.

[٣] ابن السيد البطليوسي : الاقتضاب شرح أدب الكتاب، القسم الثاني، ص ٢١٩.

نظرة المتعجب وقد بَهُت وبُهِتَ الخصم استولت عليه الحجة وفى التنزيل العزيز ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾»[١] . تأويله انقطع وسكت متحيرًا عنها.

"ابن جنى" : قراءة ابن السميفع فبَهَتَ الذى كفر، أراد فبَهَتَ إبراهيمُ الكافرَ، فالذى على هذا فى موضع نصب قال وقرأ ابن حيوة فبَهُت بضم الهاء لغة فى بَهِتَ قال وقد يجوز أن يكون بَهَتَ بالفتح لغة فى بَهِتَ بالكسر[٢] .

إذن لدينا لغات كثيرة لبعض الأفعال ولا يصح أن نأخذ حكمًا عامًا لها ولكن نقول الغالب فيها كذا والقليل فيها كذا.

---

[١] من الآية ٢٥٨ سورة البقرة.

[٢] ابن منظور : لسان العرب، باب التاء.

(ب) المستوى النحوى :

قبل أن نبدأ فى أسباب حذف الفاعل وإقامته المفعول ومن ينوب عنه مقامه نلاحظ أنهم استخدموا مصطلحات كثيرة فى هذا الباب - ومنها بالنسبة للفعل المبنى للمجهول - ونائب الفاعل.

ففى المراحل الباكرة كان الكوفيون يذكرون مصطلح ما لم يُسَمَّ فاعله[1] والبصريون يذكرون «فعل مبنى للمفعول»[2].

أما مصطلح المبنى للمجهول فلم يأت إلا فى مرحلة متأخرة.

أما مصطلح (نائب الفاعل) فقد استخدمه أول الأمر (ابن مالك) م ٦٧٢هـ[3]. وكان النحويون قبله يستخدمون مصطلحات «المفعول الذى لم يُسَمَّ من فعل به»[4].

واسم ما لم يُسَمَّ فاعله[5] والمفعول الذى لم يُسَمَّ فاعله والقائم مقام الفاعل[6].

ونلاحظ أن بعض النحويين يشيرون إلى أن مصطلح (نائب الفاعل) أولى من مصطلح (مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله : ويذكر ابن هشام لذلك علتين :

---

(1) الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢١٠، جـ ١،ص ١٠٢، ١١٤، ٣٠١، ويذكر الفراء أيضًا مصطلح الفعل الذى لم يسمَّ فاعله انظر معانى القرآن له، جـ٢،ص ٩٢، ٣٣٢، وانظر ابن خالويه فى الحجة للقراءات السبع، ص ١٩٠.

(2) المبرّد : المقتضب، جـ٤ـ ص ٥٠، وابن السراج فى الأصول، جـ١، ص ٧٦، وابن عصفور فى الممتع، جـ١، ص ٤٥١، والسيوطى : همع الهوامع، جـ٢، ص ٢٦٨.

(3) ابن مالك : التسهيل، ص ٧٧، وخالد الأزهرى : فى شرح التصريح، جـ١، ص ٢٦٨.

(4) ابن السراج : الأصول، جـ١، ص ٧٦، وابن النحاس : فى شرح القصائد التسع المشهورات، جـ١، ص ١٥٥.

(5) ابن خالويه : إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، ص ١٥١.

(6) المبرد : المقتضب، جـ٤، ص ٥٠، والزبيدى : فى الواضح علم العربية، ص ٦٦.

١. إن النائب عن الفاعل يكون مفعولاً وغيره.

٢. أن المنصوب في قوله «أعطى زيدٌ دينارًا يصدق عليه أنه مفعول للفعل الذى لم يُسَمَّ فاعله وليس مقصودًا لهم»[١].

وقد ناقش النحويون أسباب حذف الفاعل كما يلى :

قال "الكمال الأنبارى" : إن قال قائل لم لم يُسَمَّ الفاعل ؟

قيل : لأنَّ العناية قد تكون بذكر المفعول، كما تكون بذكر الفاعل وقد تكون للجهل بالفاعل وقد تكون للإيجاز والاختصار إلى غير ذلك[٢].

وقد قسم النحويون أغراض حذف الفاعل إلى :

أ- أغراض لفظية   ب- أغراض معنوية.

أما أهم الأغراض اللفظية :

١. إقامة الوزن : مثل قول "الأعشى" :

عُلِّقْتَها عرضًا، وعُلِّقْتُ رجلاً   غيرى، وعُلِّق أخرى غيرَها الرَّجُلُ

وقول عنترة :

وإذا شربت فإننى مستهلك   مالى، وعرض وافِرٌ لم يُكْلَمِ

٢. توافق القوافى : مثل قول "لبيد بن ربيعة: :

وما المال والأهلون إلا ودائعُ   ولابُدَّ يومًا أن تُرَدَّ الودائعُ

٣. تقارب الأسجاع : مثل قول بعض الفصحاء :

من طابت سريرته حُمِدَتْ سيرُته

---

[١] ابن هشام : شرح شذور الذهب، ص ١٥٩، وانظر : د. محمود سليمان ياقوت فى المبنى للمجهول فى الدرس النحوى،ص ١٥، ١٦.

[٢] كمال الدين الأنبارى : أسرار العربية، ص ٨٨.

٤. الإيجاز : مثل قوله تعالى ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ﴾[1].

أما أهم الأغراض المعنوية :

(١) **الجهل بالفاعل** : مثل قولك قُتل الرجل – قالوا ومنه قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[2]. فإنه ليس معروفًا للمخاطب من زين لفرعون سوء عمله ومن صدَّه عن السبيل نفسه أم الشيطان أم حاشيته، وفيه قول الخطيب على المنبر «رُوِيَ عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– كذا وكذا فهو لا يعرف الراوى»[3].

(٢) **الإيهام** : وهو أنك تعرف الفاعل ولكنك تقصد إخفاءه وتستره خوفًا عليه مثل قولك قُتِلَ زَيْدٌ ولا تذكر القاتل لأنه قريب لك خوفًا عليه.

(٣) **تعظيم الفاعل** : وذلك إذا كان المفعول حقيرًا فتترفّع عن ذكر الفاعل مثل :

قوله تعالى : ﴿قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ﴾[4].

وقوله تعالى : ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾[5].

وقوله تعالى : ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾[6].

---

[1] من الآية ١٢٦ سورة النحل، وانظر : الجزولى فى المقدمة الجزولية فى النحو تحقيق د. شعبان عبد الوهاب محمد، ص ١٤١ والصبان فى حاشيته على الأشمونى، جـ٢، ص ٦١، وخالد الأزهرى : فى شرح التصريح على التوضيح، جـ١، ص ٢٨٦.

[2] من الآية ٣٧ سورة غافر.

[3] د. على محمد فاخر : شرح المقرب لابن عصفور، جـ١، ص ٥٧٢.

[4] الآية ١٠ سورة الذاريات.

[5] الآية ٢١ سورة الفجر.

[6] من الآية ٢٣ سورة الفجر.

وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[١] .

فالفاعل في الأفعال السابقة وهو مقام العزة (لفظ الجلالة) و لم يذكر بجوار المفعول وهو دَكُّ الأرض ومجيء جهنم وسوق الذين كفروا والخراصون ترفّعًا[٢].

(٤) تحقير الفاعل : وذلك إذا كان المفعول جليل القدر مثل قولك طُعِنَ عُمَرُ -رضى الله عنه- و لم تذكر العِلْجَ الذى طعنه إجلالاً لعُمَرَ -رضى الله عنه- وقولك قُتِلَ الحسين بن على -رضى الله عنهما- وأوذى بلال بن رباح -رضى الله عنه.

(٥) مراعاة غرض السامع : وذلك إذا كان السامع لا غرض له فى ذكر الفاعل بل يكون متعلقًا بالمفعول لا غير أو أن الفاعل لا يهمه فى شيء.

مثل قوله تعالى : ﴿نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ﴾[٣].

وقوله تعالى : ﴿قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ﴾[٤].

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا﴾[٥].

وقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ﴾[٦].

وقوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾[٧].

---

[١] من الآية ٧١ سورة الزمر.

[٢] ابن يعيش : شرح المفصل، جـ٧، ص ٦٩، وانظر ابن فارس : فى الصاحبى، ص ١٦٩.

[٣] من الآية ٦٥ سورة يوسف.

[٤] من الآية ١٠٢ سورة الصافات.

[٥] من الآية ٨٦ سورة النساء.

[٦] من الآية ١١ سورة المجادلة.

[٧] من الآية ٢٨ سورة النساء.

وقوله تعالى : ﴿يا أيها الناس ضُرِبَ مَثَلٌ فاستمعوا﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿إذا الشمس كُوِّرَتْ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿وإذا البحار فُجِّرَتْ * وإذا القبور بُعْثِرَتْ﴾[٣] .

وقوله -صلى الله عليه وسلم- «نُصِرْتُ بالرُعْب مسيرة شهر».

وقد عقب ابن هشام على هذه الأغراض من أقوال النحويين وهذا من تطفل النحويين على صناعة البيان «أى ما يشمل علم المعانى»[٤] .

ما ينوب عن الفاعل :

ذكر النحويون أن الذى ينوب عن الفاعل أربعة أشياء :

(١) المفعول به (٢) الجار والمجرور

(٣) الظرف المتصرف المختص (٤) المصدر المختص.

أولاً : المفعول به :

المفعول به هو أولى بالنيابة عن الفاعل عند جمهور البصريين مع وجود غيره أما الكوفيون وتَبِعَهُمْ ابن مالك فيرون أنه يجوز إقامة المفعول به وإقامة غيره[٥] .

---

[١] من الآية ٧٣ سورة الحج.

[٢] الآية ١ سورة التكوير.

[٣] الآيتان ٣، ٤ سورة الانفطار.

[٤] الصبان : حاشية الصبان على الأشمونى، جـ٢، ص ٦١.

[٥] انظر فى تفصيل هذه الحالات :

الجزولى : فى المقدمة الجزولية فى النحو، ص ١٤٢.

والرضى : فى شرح الكافية، جـ١، ص ٨٤، وابن يعيش : فى شرح المفصل، جـ٧، ص ٧٤.

وقد قسم النحويون الأفعال التى لا تتعدى والأفعال التى تتعدى إلى مفعول أو إلى اثنين أو إلى ثلاثة بالنسبة لنيابة الفاعل فيها كما يلى :

(أ) الفعل اللازم :

جمهور النحويين يرون أن الفعل اللازم لا يبنى للمفعول إلا إذا تعدى بحرف الجر فيجوز بناؤه للمجهول.

ويذكر "ابن السراج" «أن الأفعال التى لا تتعدى لا يبنى منها فعل للمفعول لأن ذلك : محال : نحو قام وجلس لا يجوز أن تقول قيم زَيْدٌ، ولا جُلِسَ عمرو، إذ كنت إنما تبنى الفعل للمفعول، فإذا كان الفعل لا يتعدى إلى مفعول، فمن أين لك مفعول تبنيه له»[1].

أما "الكمال الأنبارى" فيقول عن الفعل اللازم : لا يجوز ذلك على القول الصحيح، وقد زعم بعضهم أنه يجوز، وليس بصحيح، إلا أنك لو بنيت الفعل اللازم للمفعول به، لكنت تحذف الفاعل، فيبقى الفعل غير مستند إلى شىء، وذلك محال فإن اتصل به ظرف الزمان، أو ظرف المكان، أو المصدر أو الجار والمجرور جاز أن تبنيه عليه، ولا يجوز أن تبنيه على الحال الذى لا يقع إلا نكرة، فلو أقيمت مقام الفاعل لجاز إظهارها «كالفاعل فكانت تقع معرفة والحال لا تقع إلا نكرة»[2].

وغالب رأى النحويين أن الفعل اللازم لا يبنى للمفعول إلا إذا تعدى إلى المجرور وشذّ عن ذلك ابن هشام.

قال "الخضرى" : «وفى مثل انطلق – أُنطُلِقَ صريحه عند ابن هشام بناء اللازم للمجهول وقد منعه أكثرهم مطلقًا ولا يرد عليهم قراءة «وأما الذين سُعِدُوا» بضم السين لحكاية "الكسائى" سعد متعديًا ومنعه "أبو البقاء" فيما لا يتعدى بحرف

---

(١) ابن السراج : الأصول فى النحو، جـ١، ص ٧٧.

(٢) الكمال الأنبارى : أسرار العربية، ص ٩٣.

كقام وجلس إذ لو بني لبقي الفعل خبرًا بلا مخبر عنه بخلاف ما يتعدى به فيجوز كمُرَّ به وقيل يجوز مطلقًا»[1] .

(ب) إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعول واحد فالمفعول به هو النائب مثل كسر الطفلُ الزجاجَ تقول كُسِرَ الزجاجُ.

(جـ) إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعولين فله أحوال.

١. إذا كان الفعل متعديًا إلى مفعولين الأول منصوب على نزع الخافض والثانى متعد بنفسه ففيه أقوال أصحها كما قال "أبو حيان الأندلسي" تعيين المتعدى بنفسه وامتناع إقامة الثانى نحو اخترت الرجال زيدًا تقول اختير الرجالَ زَيْدٌ لأن أصله اخترت من الرجال زيدًا وبه ورد السماع. فإن لم يذكر المفعول جاز أن يقوم مقام الفاعل.

قال "الفرزدق" :

مِنّا الذى اختير الرِّجالُ سماحة

وجودًا إذ هبَّ الرياح الرعازِعُ

وقال "الرضي" : «ومنع الجزولي نيابة المنصوب لسقوط الجار مع وجود المفعول به المنصوب من غير حذف الجار فى مثل أمرتك الخير والوجه الجواز لالتحاقه بالمفعول الصريح»[2] .

---

[1] الخضرى : حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل، جـ١، ص ١٦٨.

وانظر الرضي في شرح الكافية، جـ١، ص ٨٣، وابن يعيش : في شرح المفصل، جـ٧، ص ٧٢.

[2] انظر في تفصيل هذه الحالات :

الجزولي : المقدمة الجزولية في النحو، ص ١٤٣، والرضى : في شرح الكافية، جـ١، ص ٨٤، والسيوطي: في همع الهوامع، جـ١، ص ١٦٢.

(٢) إذا كان الفعل يتعدى إلى مفعولين (أصلهما المبتدأ والخبر) (ظن وأخواتها) ففى من يقوم مقام الفاعل أقوال :

«فجمهور النحويين على أنه يمنع إقامة المفعول الثانى وإن أمن اللبس فلا يجوز عندهم ظُنَّ زيدًا قائمٌ وذكر ابن مالك أن ذلك جائز وفاقًا لابن طلحة وابن عصفور فإن حدث لبس امتنع إقامة الثانى مثل ظُنَّ صديقك زيدًا أو كان جملة أو ظرفًا مثل ظن فى الدار زيدًا وظُنَّ زيدًا أبوه قائم»[1].

وإن كان الفعل يتعدى إلى مفعولين (ليس أصلهما المبتدأ والخبر) «ففى إقامة المفعول الثانى دون الأول أقوال أصحها وعليه الجمهور الجواز إذا أمن اللبس نحو أعطى دِرْهمٌ زيدًا والأحسن إقامة الأول نحو أُعْطِيَ زَيْدٌ عَمْرًا.

والثانى: المنع مطلقًا والثالث: المنع إن كان نكرة والأول معرفة والرابع: إنه قبيح حينئذ (أى إذا كان نكرة والأول معرفة وإن كان معرفة كالأول كانا فى الحسن سواء وعزى للكوفيين»[2].

وإذا كان الفعل متعد إلى ثلاثة مفاعيل من باب أعلم وأرى «فيمنع إقامة الثالث وذكر الخضراوى وابن الربيع أن هذا باتفاق لكن قال أبو حيان الأندلسى أن صاحب المخترع حكى جوازه وعن بعضهم بشرط أن لا يلبس نحو أعلم زيدًا كَبْشَكَ سمين وهو مقتضى كلام السهيلى وجزم به ابن هشام فى الجامع»[3].

ثانيًا : الجار والمجرور :

قالوا ينوب الجار والمجرور عن الفاعل سواء أكان الفعل لازمًا للبناء

---

(1) انظر : فى تفصيل هذه المسألة :

السيوطى : فى همع الهوامع، جـ١، ص ١٦٢، والصبان فى حاشيته على الأشمونى، جـ٢، ص ٦٨، وابن يعيش : فى شرحه على المفصل، جـ٧، ص ٧٦، والرضى : فى شرح الكافية، جـ١، ص ٨٤.

(2) السيوطى : همع الهوامع، جـ١، ص ١٦١.

(3) المصدر نفسه، جـ١، ص ١٦٢.

للمفعول أم لا فالأول مثل قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[1] والثاني نحو قولك سير بزيد لأن المجرور بالحرف مفعول به وفي المعنى فتصح نيابته عن الفاعل هذا مذهب الجمهور.

أما السهيلي وابن درستويه فذهبوا إلى عدم نيابة الجار والمجرور وما أوهم ذلك يقدر فيه ضمير المصدر المفهوم من الفعل أو ضمير مبهم يعود لما دَلَّ عليه الفعل من حدث أو زمان أو مكان والمختار مذهب البصريين[2].

وتفصيل ذلك : إن المجرور إذا جر بحرف زائد فلا خلاف في إقامته مقام الفاعل وأنه في محل رفع نحو ما ضرب من أحد فإن جر بغيره فقد اختلف النحويون فيه على أقوال.

١. رأى البصريين وتبعهم ابن عصفور أن المجرور في محل رفع هو النائب عن الفاعل مثل سِيْرَ بزيد كما لو كان الجار زائدًا.

٢. رأى الكوفيين وتبعهم ابن مالك، أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وذهب الفراء وحده إلى أن القائم مقام الفاعل هو حرف الجر وحده وقيل هذا لا يعقل ومرغوب عنه.

وذهب الكسائي وهشام إلى أن نائب الفاعل هو ضمير مبهم مستتر في الفعل ومنهم من ذهب إلى أن مرفوع الفعل ضمير عائد على المصدر وقد تابعهما في ذلك السهيلي وابن درستويه.

والمختار عند النحويين هو رأى البصريين أن المجرور هو الذى يقوم مقام الفاعل[3]

---

[1] من الآية ١٤٩ سورة الأعراف.

[2] خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، حـ٢، ص ١٦٨.

[3] انظر في تفصيل هذه المسألة :

ابن عصفور في المقرب : شرح د. علي محمد فاخر القسم الأول الجزء الأول، ص ٥٨١، ٥٦٢، والسيوطي: في همع الهوامع، حـ١، ص ٣٦٣، والصبان : في حاشيته على الأشموني، حـ٢، ص٦٤.

ثالثًا : الظرف المختص :

قالوا وينوب عن الفاعل أيضًا الظرف المختص نحو صيم رمضان وجُلِسَ أمام الأمير ولا ينوب مثل عندك ومعك وثَمَّ فلا يقال جُلِسَ عندك ولامعك ولاثَمَّ ويمتنع نيابة المكان والزمان إذا لم يفد بالتخصيص فلا يقال جُلِسَ مكان ولا صيم زمانٌ فإذا قُلْتَ جُلِسَ مكان حَسَنٌ وصيم زمان طويل لحصول الفائدة جاز للاختصاص بالوصف وأجاز الأخفش الأوسط (جُلِسَ عنده)[1].

وقد ناقش "الكمال الأنباري" أسباب نيابة الظرف فقال «فإن قيل فلم إذا أقيم الظرف مقام الفاعل يخرج عن الظرفية ويجعل مفعولاً به كزيد وعمرو وما أشبه ذلك؛ قيل لأنه يتضمن معنى حرف الجر، فلو لم ينقل لعلقته بالفعل مع تضمّن حرف الجر فالفاعل لا يتضمن حرف الجر فكذلك ما قام مقامه»[2].

وقد أعطى "سيبويه" أمثلة لظرف المكان والزمان وما يصلح فيهما أن يقوم مقام الفاعل.

قال : «إن قلت «سير عليه سَحَرَ» لا يحسن في (سحر) إلا أن يكون ظرفًا وهو غير متصرف ولا متصرف، والذى منعه من الصرف أنه معدول عن الألف واللام، ومعناهما فيه، وغُيِّر عن لفظ ما فيه الألف واللام وهو معرفة، فاجتمع فيه التعريف والعدول فلم ينصرف والذى منعه من التصرف وقصره عن الظرف خاصة أنه عُرِّف من غير وجه التعريف وإنما صار (سحر) معرفة بوضعك إياه هذا الموضع»[3].

---

(1) خالد الأزهري : شرح التصريح على التوضيح، جـ١، ص ١٦٩.

(2) الكمال الأنباري : أسرار العربية، ص ٩٣، ٩٤.

(3) سيبويه : الكتاب، جـ١، ص ٢٢٥.

وانظر د. محمود سليمان ياقوت : في شرح جمل كتاب سيبويه، جـ١، ص ١٠٨

أما إذا قلت «سير عليه سَحَرٌ من الأسحار فسَحَرٌ نكرة وهو مرفوع منوَّن، لأنك أردت سحرًا من الأسحار فأصبح متمكنًا في هذا الوضع، وكذا تحقيره (تصغيره) إذا عينت سحر ليلته تقول : سير عليه سُحَيْرًا فقد جعله التصغير مصروفًا، لأن الصيغة التى استقر العدل عليها قد زالت بالتصغير.

وإذا قلت صِيدَ عليه صباحًا وصِيدَ عليه مساءً، وصِيدَ عليه عشيّةً، صِيدَ عليه عشاءً -فالظروف متمكنة فى تلك الجمل- إذْ المراد عشاء يومك ومساء ليلتك لأنهم لم يستعملوه على هذا المعنى إلا ظرفًا»[١].

قال سيبويه : «ومن الاتساع فى الظرف :

تقول : صِيدَ عليه يومان، ولِدَ لَهُ ستون عامًا، وسير عليه اليومُ، واليوم مرفوع وأنت تعنى السير فى بعضه، وهذا على سبيل الاتساع»[٢].

ونلاحظ أن الكوفيين يجوزون فى الأمثلة السابقة الوجهين وأجاز الأخفش الأوسط نيابة الظرف غير المتصرف مع بقائه على النصب على الظرفية وكونه فى محل رفع.

وخرّج عليه قوله تعالى : ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾[٣].

وقول طرفة بن العبد :

فيالك من حاجة حيل دونها ... وما كل ما يهوى امرؤ هو قائله[٤].

---

[١] الأعلم الشنتمرى : النكت فى تفسير كتاب سيبويه، تحقيق زهير عبد المحسن سلطان، جـ١، ص ٣١٨.

[٢] سيبويه : الكتاب، جـ١، ص ١٧٦.

[٣] من الآية ٥٤ سورة سبأ.

[٤] خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، جـ١، ص ٢٩٠.

رابعًا : المصدر المختص :

يتوب المصدر المختص عن الفاعل والمراد بالمختص بصفة أو نحوها نحو قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1] .

ويمتنع سير سيرٌ لعدم الفائدة خلافًا لمن أجازه كالكسائي وهشام فيما نقل ابن السيد أنهما أجازا جُلِسَ بالبناء للمفعول وفيه ضمير مجهول[2] .

قالوا ولا ينوب من المصادر التي لا تتصرف مثل معاذ الله وسبحان الله وحنانيك لأن في نيابة الظروف، والمصادر تجوزًا بإسناد الفعل إليها فمن كان منها متصرفًا قبل إسناد الفعل إليه حقيقةً، فيقبل إسناده إليه مجازًا، وما كان منها غير متصرف لم يقبل الإسناد إليه حقيقة، فلا يقبله على جهة المجاز[3] .

وقال "الكمال الأنباري" : فإن قيل «فالمصدر لا يتضمن حرف الجر فهل يُنقل أم لا ؟ قيل : اختلف النحويون في ذلك، فذهب بعضهم إلى أنه لا ينقل، لأنه ليس بينه وبين الفعل واسطة، وذهب آخرون إلى أنه ينقل، واستدلوا على ذلك من وجهين :

أحدهما أن الفعل لابد له من الفاعل، والمصدر لو لم يذكر لكان الفعل دالاً عليه بصيغته، فصار وجوده وعدمه سواء والفاعل لابد منه، فكذلك ما يقوم مقامه ينبغي أن يجعل بمنزلة المفعول الذى لا يستغني بالفعل عنه.

والوجه الثاني : إن المصدر إنما يذكر تأكيدًا للفعل، ألا ترى أن قولك سرت سيرًا بمنزلة قولك «سرت سرت» فكما لا يجوز أن يقوم مقام الفاعل، فكذلك لا يجوز أن يقوم مقامه ما كان بمنزلته، فلهذا أوجب نقل المصدر»[4] .

---

(1) الآية ١٣ سورة الحاقة.

(2) خالد الأزهري : شرح التصريح على التوضيح، جـ١ ص٢٨٩.

(3) المصدر نفسه : جـ١ ص٢٨٧

(4) الكمال الأنباري : أسرار العربية، ص٩٤.

وقد أعطى سيبويه أمثلة للمصادر التى تقوم مقام الفاعل والمصادر التى لا تقوم ومنها قوله وتقول ضُرِبَ به ضربًا عنيفًا، فقد شغلت الفعل (ضُرِب) بضمير المصدر وهو الجار والمجرور (به) الذى أصبح نائبًا للفاعل، لذلك كان المصدر منصوبًا.

وكذلك سير عليه سيرًا شديدًا.

وتقول : قد خيف منه خَوْفٌ.

معنى الجملة : قد خيف منه أمر أو شىء، وقد دل المصدر (خوف) على هذا المعنى وكذلك قد قيل فى ذلك قول والمعنى قد قيل فى ذلك خير أو شر.

وتقول : ذُهِبَ به مَذْهَبٌ وسُلِكَ بـه مَسْلَكٌ فمذهب ومسلك مرفوعان وهما ليسا بمنزلة المصدر الذهاب والسلوك، وإنما هو الوجه الذى يسلك فيه والمكان الذى يذهب إليه (اسم المكان) وهو بمنزلة قولك : ذهب به السُّوقُ وسلك به الطريقُ»[1].

ومما يتصل بهذه الأمثلة ناقش النحويون حكم المصدر المنوىّ وهو ما لا يكون مذكورًا فى الكلام بل يكون ضميرًا يعود على ذلك المصدر المفهوم من الفعل.

مثل قيل أى القول وسير أى السير وذُهِب أى الذهاب.

أجاز ذلك قوم وأسندوه إلى سيبويه، ولكن ابن مالك منعه وبرأ سيبويه منه وحمل لكلام سيبويه محملاً آخر يقول : «إن الفعل لا يدل على المصدر المختص ولا المحدود، وإنما يدل على الذى لمجرد التوكيد، والذى لمجرد التوكيد لا فائدة فى الإسناد إليه، وهو ملفوظ به فكيف إذا نوى ولم يلفظ به قال ابن خروف لا يجيز أحدٌ من النحويين ردّ الفعل إلى ما لم يُسَمَّ فاعله على إضمار المصدر المؤكد فى هذا

---

[1] سيبويه : الكتاب، جـ١،ص ٢٣٣، ٢٣٤، وانظر : د. محمود سليمان ياقوت : فى شرح جمل كتاب سيبويه، جـ١، ص ١٥٢.

الباب، والذى أجازه سيبويه لا يمنعه بَشَرٌ وهو إضمار المصدر المقصود مثل أن يقال لمتوقع القعود قد قعد ولمتوقع السفر قد سوفر أى قعد القعود وسوفر السفر الذى ينتظر وقوعه، والفعل لا يدخل على هذا النوع من المصادر الدال عليه الآخر هكذا قال "ابن خروف" وهو الصحيح»[1] .

ولكن ما قاله ابن مالك ليس على إطلاقه فقد ذكر كثير من الكوفيين وبعض المصريين بأن المصدر المنوى يقوم مقام الفاعل وقد ذكر ذلك فى شواهد كثيرة فى القرآن العظيم نتحدث عنها إن شاء الله فى فصل (المصدر ونيابته عن الفاعل).

خامسًا : قال النحويون وإذا وجد المفعول به فلا يجوز إقامة غيره هذا رأى البصريين فحين نقول : جلد القاضى الرجل أمام الناس عشرين جلدةً فى المسجد: تبنى الجملة للمفعول فتقول : جُلِدَ الرجُلُ أمام الناس عشرين جلدة فى المسجد أما الكوفيون ووافقهم ابن مالك على أنه يجوز إقامة المفعول به وإقامة غيره فى وجوده.

واستدلوا على ذلك بقراءة أبى جعفر يزيد بن القعقاع فى قوله تعالى : ﴿لِيُجْزَىٰ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾[2] فأقام المجرور مع وجود المفعول[3] .

قال "ابن يعيش" عن قراءة أبى جعفر ففيه إشكال وذلك لأنه أقام المصدر مقام الفاعل لدلالة الفعل عليه وتقديره (ليجزى الجزاء قومًا بما كانوا يكسبون) وهو شاذ قليل[4] .

ومنه أيضًا من قرأ فى قوله تعالى : ﴿كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾[5] .

---

[1] ابن مالك : شرح التسهيل، ص ١٢٥.

[2] من الآية ١٤ سورة الجاثية.

[3] أبو حيان الأندلسى، البحر المحيط، جـ٨، ص ٤٥.

[4] ابن يعيش : شرح المفصل، جـ٧، ص ٧٤.

[5] من الآية ١٠٣ سورة يونس.

بنون واحدة وتشديد الجيم وكسرها وسكون الياء وفتحها فأقيم ضمير المصدر مع وجود المفعول[١] .

ومنه قول جرير :

ولو ولدت قفيرةَ جَرْوَ كَلْبٍ

لسُبَّ بذلك الجرْوالكلابا.

«وقد حمله بعضهم على الشذوذ من إقامة المصدر مقام الفاعل مع وجود المفعول به وهو الكلاب وتأوله بعضهم بتأويلات أخرى»[٢] .

ومنه قول "رؤبة" :

لم يُعْنَ بالعلياء إلا سيدًا

ولا شفى ذو الغيِّ الاذوهدى

فأقام الجار والمجرور مقام الفاعل مع وجود المفعول به وهو (سيدًا) ومنه قول يزيد بن القعقاع (أحد القراء العشرة).

أتيح لي من العدا نذيرا   به وقيتُ الشرَّ مستطيرًا

فأقام الجار والمجرور (من العدا) مقام الفاعل مع وجود المفعول به (نذيرا) وذهب الأخفش الأوسط إلى أنه إذا تقدم المفعول به الكلام وجبت إنابته مثل رأي البصريين، وإن تقدَّم غيره جازت إنابته مثل رأي الكوفيين وعلى هذا فللأخفش رأيان[٣] .

---

[١] أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، جـ٥، ص ٣٥٥، وقال أبو حيان : قراءة فتح الياء لعاصم وابن عامر، وقراءة تسكينها لمجاهد والحسن.

[٢] ابن عصفور : شرح المقرّب للدكتور علي محمد فاخر، القسم الأول، ص٥٨٤.

[٣] المصدر نفسه : القسم الأول، الجزء الأول، ص٥٨٤.

والحق أن الآيات القرآنية الكريمة ذكر فيها المبني للمفعول وأقيم فيها المفعول مقام الفاعل مع وجود غيره كما سنرى إن شاء الله تعالى.

سادسًا : قال النحويون : وإذا فقد المفعول به وبقي (المصدر – الظرف – الجار والمجرور) فأيهما أولى قيل يختار إقامة المصدر وعليه ابن عصفور وقيل يختار إقامة ظرف المكان وعليه أبو حيان الأندلسي ووجَّهه بأن المجرور في إقامته خلاف والمصدر في الفعل دلالته عليه فلم يكن في إقامته كثير فائدة – وكذا ظرف الزمان لأن الفعل يدل على الحدث والزمان معًا بجوهره بخلاف المكان فإنما يدل عليه دلالة لزومه كدلالته على المفعول به فهو أشبه به من المذكورات فكان أولى به من الزمان.

وذهب ابن مُعْطٍ بأن المختار إقامة المجرور[1] والحق أن السياق والمعنى هو الذي يحدد من الذي يقوم مقام الفاعل كما سنرى في الآيات القرآنية الكريمة.

(جـ) المبني للمجهول عند علماء اللغة المحدثين :

عُني علماء اللغة المحدثين بمباحث المبنى للمجهول والمبني للمعلوم منذ أن كتب تشومسكى أصول نظريته اللغوية عام ١٩٥٧م فقد أشار إلى قوانين وطرق التحليل النحوى المتصلة به.

وتنقسم القوانين التحويلية إلى قسمين : إجبارية واختيارية –وبذلك يمكن للنحو التحويلي التوليدى أن يولد جملاً مبنية للمجهول من جمل مبنية للمعلوم بالقوانين التحويلية –وهى قوانين إجبارية– ولكننا لسنا مضطرين إلى تحويل جهة مبنية للمعلوم إلى مبنية للمجهول.

وإذا كان "تشومسكى" قد طوَّر طريقته فى كتابه جوانب من نظرية النحو Aspects of theory of syntax 1964 حيث أضاف صندوقًا للقواعد أسماه

---

(1) الرضى : شرح الكافية، جـ١، ص ٨٥.

والصبان : فى حاشيته على الأشمونى، جـ٢، ص ٩٨.

العنصر الدلالى أى أن معنى الجملة يجب أن يخضع أيضًا للتحليل الدقيق أى أن الدلالة يجب أن تكون جزءًا أساسيًا فى التحليل النحوى ومن ثم فإن النحو عنده إنما هو نظام من القواعد يربط معنى كل جملة يولدها بالتمثيل الفيزيقى لها بالأصوات وهذه الطريقة يمكن أن تولّد عددًا غير محدود من البنى العميقة للجملة[١] .

وقد أشار ف. بالمر F.R, Palmer إلى العلاقات القواعدية فى النحو التحويلى، فذكر أن هذه العلاقات القواعدية مهمة أيضًا عندما ننظر فى تصنيف البناء (المعلوم المجهول) فى كثير من اللغات.

فإذا قرأنا الجملتين :

John played piano.
The pianowas played by john.

فمن الواضح أن **The piano** مفعول به فى الجملة الأولى ونائب فاعل فى الجملة الثانية المجهولة أما الاسم **John** فهو فاعل فى الأولى ويرد فى تعبيرة الجر فى الثانية. واعتمادًا على السليقة يمكن القول أن مفعول الجملة المعلومة يصبح فاعل الجملة المجهولة فى حين أن الفاعل يتحرك إلى موقع معين فى عبارة الجر. وبلغة البنى العميقة، نعد جون الفاعل العميق والبيانو المفعول به العميق، ونسمح للقوانين التحويلية بأن تضعها فى مكانها الصحيح والمختلف فى البنى السطحية للجمل المعلومة والمجهولة على الرغم من أن الفاعل والمفعول فى الجمل المعلومة يردان فى الموقع نفسه فى البنيتين العميقة والسطحية[٢] .

ويرى "بالمر" «أن الاختلافات الشكلية بين الجمل المعلومة والمجهولة تتباين جذريًا فى اللغات المختلفة وعلى الرغم من أن لمعظمها تحويلات تتضمن حركة

---

[١] د. عبده الراجحى : النحو العربى والدرس الحديث، ص ١٣٧، وانظر : د. محمود سليمان ياقوت: المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، ص ٦٨ - ٦٩.

[٢] ف. بالمر F. R Palmer : علم الدلالة، ترجمة محمد عبد الحليم الماشطة، ص ١٥٦.

العبارات الاسمية،فإن الحركات مختلفة من لغة إلى أخرى،فى حين أن لغات أخرى لا تحرك التعبيرات الاسمية ففى الهندية مثلاً تتغير صيغة الفعل بدون تحريك الأسماء»[١] .

ويؤكد "بالمر" أن المفعول فى جميع الأحوال يصبح نائبًا للفاعل فى الجملة المجهولة فى كثير من اللغات ولكنه وجد أن بعض اللغات تسمى باللغات اللازمة argative (نسبة إلى الفعل اللازم) مثل الباسك والاسكيمو والجورجية التى تكون فيها الجملة الاسمية المصاحبة للفعل اللازم (أى فاعل الفعل اللازم) مطابقة لما نعده مفعولاً به للفعل المتعدى أما فاعل الفعل المتعدى فيكون فى حالة مغايرة.

ويرى أن الحل فى رأى بعض اللسانيين أنه يمكن معالجة تمييز التعدية بموجب التسبب، باعتبار الصيغة المتعدية نسبية للصيغة الأساسية غير المتعدية، فجملة جون دق الجرس تفسر بإنها جون جعل الجرس يدق وبتوضيح هذه الفكرة فى جملة جون قتل بل – جون جعل بل يموت إلا أن هناك اعتراضًا على ذلك[٢] .

وقد اعترض بعض الباحثين على ما قدمه تشومسكى فى التحويل عن طريق المبنى للمجهول ومنهم روبنسون Robinson الذى يرى أن الحصر الذى قدَّمه تشومسكى للتحويل عن طريق المبنى للمجهول قد نال استحسان أتباع النحو التقليدى، دون جدل أو مناقشة من جانبهم، لكن هذا الحصر غير مفيد، لأنه فصل بين : التركيب، والدلالة، بالإضافة إلى إعاقته للوضع المنطقى للمبنى للمجهول وهناك بعض التحويلات التى يتصل بالاستفهام ومعناه السؤال، والنفى ومعناه النفى، وقد أوضح أن التحويل يجب أن يقدم علاقات تركيبية يمكن تحديدها دلاليًا، كما قال ذلك أيضًا كيتس Katz ولكن هذا لم يتحقق فى المبنى للمجهول، فقدَّم تشومسكى وكيتس أمثلة، واستعملا التقديرات، لأن المبنى للمعلوم والمبنى للمجهول لهما مجرور مختلف، يكتفى بنفسه من نحو :

---

(١) المرجع نفسه، ص ١٥٨.

(٢) المرجع نفسه، ص ١٥٩.

Few books are read by many men

many men read Few books

وأعتقد أن الجملتين لهما المعنى نفسه، ويمكن وضع كل منهما مكان الأخرى[1].

أما "جون ليونز" فقد أشار إلى مسألة السلاسل العميقة **Underlying Strings** التى اشتق تشومسكي الجمل المبنية للمجهول منها فى كتابه التراكيب النحوية بواسطة قاعدة اختيارية **optional rule** هي :

Np1 + Aux + v + Np2 → Np2 + Aux + be + en + v + by + Np1.

أى مركب اسمى (١) + فعل مساعد + فعل + مركب اسمى (٢) + مركب اسمي (٢) ← فعل مساعد + فعل الكينونة + مورفيم **En** + فعل + مورفيم **by** + مركب اسمي (١) وذكر "جون ليونز" أنه يتبين مدى قصور القواعد النحوية لتركيب أركان الجملة فى رأى تشومسكي بالنظر إلى توليد بعض الجمل التى بينها علاقة متبادلة مثل الجمل المبنية للمعلوم **active** والجمل المبنية للمجهول **passive** فى اللغة الإنجليزية مثال ذلك : **The man hit the ball** وهى جملة مبنية للمعلوم ثم جملة أخرى مثل **The ball was hit by the man** وهى جملة مبنية للمجهول وأضاف غير أننا رغم ذلك كله لا نستطيع أن نتصور كيف يشعر أبناء اللغة بأن جملتين مثل الجملتين السابقتين تتصل إحداهما بالأخرى أن تنتمى إليهما بصورة ما، وأن كلا منهما تشترك مع الأخرى. فى جانب كبير من المعنى، والنحو التوليدى قادر على الكشف عن هذه العلاقة المتبادلة بين هذين النوعين من الجمل وكذا غيرها من الجمل التى تشعر أن بينها علاقات دلالية **Semantic relationships**[2] .

---

(١) Kytz : Se mantic theory p. 436 - 439.

نقلاً عن د. محمود سليمان ياقوت فى كتابه المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، ص ٧١، ٧٢.

(٢) جون ليونز : نظرية تشومسكي اللغوية، ترجمة د. حلمي خليل، ص ١٣٨، ١٣٩.

وقد حاول الدكتور "حلمي خليل" أن يبين طريقة بناء المبني للمجهول في العربية على سبيل النظرية التوليدية التحويلية فذكر : أن طريقة بناء الجملة للمجهول في العربية تختلف عن ذلك. فهي تتم عن طريق حذف الفاعل وتغيير صيغة الفعل وهنا سنجد أن السلسلة العميقة المكونة لجملة مبنية للمعلوم مثل لعب الولد بالكرة.

لعب + ال + ولد + ب + ال + كرة

وهنا لابد أن تدخل مورفيم الصيغة بالنسبة للفعل كَجُزْءٍ أساسي في هذه السلسلة بحيث يصبح على النحو التالي :

مركب فعلي + صيغة الفعل + مركب اسمي+ مركب اسمي (٢) + مركب فعلي + صيغة الفعل المبني للمجهول + مركب اسمي(٢) وذلك لكي نصل إلى جملة مبنية للمجهول من الجملة المبنية للمعلوم (لعب الولد بالكرة) أي تصبح السلسلة العميقة المكونة لهذه الجملة هي :

مركب فعلي + صيغة الماضيْ المبني للمجهول + حرف + مركب اسمي + وهنا سنجد أننا قد أضفنا بعض العناصر وحذفنا بعضها الآخر مثل حذف الفاعل وتغير صيغة الفعل وهي عملية تحويلية تختلف عن القاعدة التحويلية السابقة التي ذكرها تشومسكي[1].

ونرى أن اللغة العربية تختلف عن اللغات الأخرى في نظامها النحوي والصرفي وأن القدماء قد قاموا بعمل جليل في خدمة العربية والتعرف على قواعد تركيب الجملة من خلال النصوص وأولها النص القرآني العظيم والحديث الشريف والشعر العربي.

---

[1] المرجع نفس هامش ١، ص ١٣٩.

الفصل الثانى

المبنى للمجهول ونائب الفاعل اسم ظاهر

المبنى للمجهول ونائب الفاعل اسم ظاهر

(أ) نائب الفاعل اسم ظاهر (وأصله المفعول به) :

أتى نائب الفاعل مع الفعل المبنى للمفعول اسمًا ظاهرًا و لم يتقدم عليه شبه جملة فى مواطن كثيرة فى القرآن العظيم وجاءت دلالة المفعول واضحة فى كثير من الآيات الكريمة وجاءت الدلالة فى بعض الآيات تحتاج إلى بيان فى التركيب وقد أدّتْ القراءات القرآنية دورًا فى الدلالة فى هذه التراكيب وتوضيح ذلك ما يلى :

أ- من تراكيب المبنى للمفعول أتت الدلالة واضحة في الآيات الكريمة الآتية :

(١) فى قوله تعالى : ﴿كَمَا سُئِلَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾[١].

فى هذا التركيب أتى الفعل ثلاثيًا صحيحًا ونائب الفاعل موسى.

قال أبو السعود فى الدلالة هنا : «(كما سُئِل موسى) مصدر تشبيهى أى نعت لمصدر مؤكد محذوف وما مصدرية أى سؤالاً مشبهًا بسؤال موسى -عليه السلام- حيث قيل (اجعل لنا إلهًا وأرنا الله جهرة ومقتضى الظاهر أن يقال كما سألوا موسى لأنَّ المشبه هو المصدر من المبنى للفاعل أعنى سائليه المخاطبين لا من المبنى للمفعول أعنى مسئولية الرسول -صلى الله عليه وسلم- حتى يشبه بمسئولية موسى -عليه السلام- فلعله أريد التشبيه فيهما معًا ولكنه أوجز النظم فذكر فى جانب المشبَّه السائلية وفى جانب المشبه به المسئولية واكتفى بما ذكر فى كل موضع عما ترك فى الموضع الآخر وقد جوَّز أن تكون ما موصولة على أن العائد محذوف أى كالسؤال الذى سأله موسى وقوله تعالى (من قبل) متعلق بسئل جيء به للتأكيد[٢].

---

[١] من الآية ١٠٨ سورة البقرة.

[٢] أبو السعود العمادى : تفسير أبو السعود، جـ١، ص ١٧٣.

(٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾[١].

وفى سورة آل عمران : ﴿وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ﴾[٢].

أتى نائب الفاعل هنا مع الفعل الأول (أوتى) اسمًا مقصورًا مرفوعًا بضمة مقدَّرة مَنَعَ من ظهورها التعذر وأتى نائب الفاعل مع الفعل الثانى فى الآية الأولى جمع مذكر سالم مرفوع بالواو ونلاحظ أن التركيب فى الآية الثانية لم يكرر الفعل أوتى.

قال العكبرى (عن الآية الأولى) (مِنْ ربِّهم) الهاء والميم تعود على النبيِّين خاصة، فعلى هذا يتعلق مِنْ بأوتى الثانية، وقيل تعود إلى موسى وعيسى أيضًا، ويكون "وما أوتى" الثانية تكريرًا، وهو فى المعنى مثل التى فى آل عمران[٣].

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾[٤]. أتى الفعل مبنيًا للمفعول ونائب الفاعل اسم ظاهر.

والمقام مقام العزة وأتى التركيب مبنيًا للمفعول جريًا على سنن الكبرياء ولأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى.

قال الشوكانى عن قوله تعالى، وقُضِيَ الأمْرُ : وإنما عدل إلى صيغة الماضى دلالة على تحقّقه فكأنه قد كان، أو جملة مستأنفة جئ بها للدلالة على أن مضمونها واقع لا محالة : أى وفرغ من الأمر الذى هو إهلاكهم[٥].

---

[١] من سورة البقرة : الآية ١٣٦.

[٢] من الآية ٨٤ سورة آل عمران.

[٣] العكبرى : إملاء ما مَنَّ به الرحمن، جـ١، ص ٦٦.

[٤] من الآية ٢١٠ سورة البقرة ومن الآية ١٠٩ آل عمران.

[٥] الشوكانى : فتح القدير، حققه وخرج أحاديثه وفهرسها سيد إبراهيم عمران، جـ١، ص ٣١٣.

(وفي التركيب الثاني) قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وخلف تَرْجِعُ الأمور بفتح التاء وكسر الجيم حيث وقع والباقون بضم التاء وفتح الجيم أي قرأ الأول على البناء للفاعل والآخرون على البناء للمفعول[١].

قال "ابن خالويه" عن (وإلى الله تُرْجَعُ الأُمُورُ) يُقْرأُ بفتح التاء وضمها فالحجة لمن فتحها أنه أراد تصير والحجة لمن ضمها أنّه أراد تُرَدُّ[٢].

ونلاحظ أن الدلالة لم تتغير في البناءين (المعلوم والمجهول) لأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى ولكن دلالة المفعول أبلغ للدلالة على مقام العزة.

(٤) أما قوله تعالى : ﴿لَا تُضَارَّ وَالِدَةٌ بِوَلَدِهَا﴾[٣].

فقد أتى الفعل مبنيًا للمفعول مضعفًا ودلّت القراءات القرآنية فيه على أوجه الإعراب.

قال "ابن مجاهد" في السبعة في القراءات :

«اختلفوا في نصب الراء ورفعها من ولا تضّار والدة فقرأ ابن كثير وأبو عمرو وأبان عن عاصم (لا تُضارُّ والدةٌ) برفعها وكذلك روى عبد الحميد ابن بكّار بإسناده عن ابن عامر وأحسب الأخفش تابعه، وقرأ نافع وحفص عن عاصم وحمزة والكسائي لا تضارَّ نصبًا»[٤].

أما توجيه هذه القرءات فقد قال الفراء م٢٠٧هـ (رأس الكوفة) : لا تضارَّ والدة بولدها، يريد لا تضارَرْ وهو في موضع جزم والكسر فيه جائز، لا تضارِّ والدة، ولا يجوز رفع الراء على نية الجزم، ولكن ترفعه على الخبر.

---

[١] ابن الجزري : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ص ٩١.

[٢] ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، تحقيق د. عبد العال سالم مكرم، ص ٦٥.

[٣] من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

[٤] ابن مجاهد : السبعة في القراءات، ص ١٧٣.

ومعنى : لا تضارٌ والدة بولدها، بقوله : لا يُنزَعَنَّ ولدَها منها وهي صحيحة لها لبَنٌ فيُدفَع إلى غيرها[1].

وقال "أبو على الفارسى" فى توضيح هذه القراءات :

«وجه مقول مَنْ رَفَع أنَّ قبله مرفوعًا وهو قَوْله تعالى : ﴿لا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إلاَّ وُسْعَهَا﴾[2]. فإذا أتبعته ما قبله كان أحسن لتشابه اللفظ فإن قلت إن ذلك خَبَرٌ وهذا أمْرٌ قيل : فالأمر قد يجئ على لفظ الخبر في التنزيل ...... ويؤكد ذلك أن ما بعده على لفظ الخبر وهو قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ﴾[3]. والمعنى ينبغي ذلك فلما وقع موقعه صار في لفظه. ومن فتح جعله أمرًا وفتح الراء لتكون حركته موافقةً لما قبلها وهو الألف[4].

وقال "ابن خالويه" «يُقرأ بالرفع وبالنصب فالحجة لمن جعله مرفوعًا أنه أخبر بـ (لا) فردّه على قوله (لا تكلّف نفس إلا وسعها). لا تضارٌ والحجة لمن نصب أنه عنده مجزوم بحرف النهي، والأصل فيه لا تضارَرْ فأدغم الراء في الراء، وفتح لالتقاء الساكنين»[5].

أما "العكبرى" فيرى توجيهًا آخر بقوله :

«لا تضارّ : يقرأ بضم الراء وتشديدها وفيها وجهان أحدهما أنه على تسمية الفاعل وتقديره : لا تضارِر بكسر الراء الأولى، والمفعول على هذا محذوف تقديره لا تضارّ والدة والدًا بسبب ولدها والثاني : أن تكون الراء الأولى مفتوحة

---

[1] الفراء : معانى القرآن، جـ١، ص ١٤٩.

[2] من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

[3] من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

[4] أبو على الفارسى : الحجة فى علل القراءات السبع، جـ٢، ص ٢٥١.

[5] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٨٧.

على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأدغم لأن (الحرفين مثلان) ورفع لأنَّ لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي، ويُقْرَأُ بفتح الراء وتشديدها على أنَّه نهي، وحُرِّكَ لالتقاء الساكنين، وكان الفتح أولى لتجانس الألف والفتحة قبلها، وعلى هذه القراءة يجوز أن يكون أصله تضارر، وتضارِر على تسمية الفاعل وترك تسميته على ما ذكرنا في قراءة الرفع[1].

(٥) وفي قوله تعالى :﴿ تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ ﴾[2] فيه أيضًا وجوه من القراءات مثل التي ذكرت في الآية السابقة (لا تضار والدة) ولكن قرئ هنا باسكان الراء مع التشديد وهي ضعيفة لأنه في التقدير جمع بين ثلاث سواكن إلا أنه له وجهًا وهو أن الألف لمدها تجرى مجرى المتحرك فيبقى ساكنان، والوقف عليه ممكن، ثم أجرى الوصل مجرى الوقف، أو يكون وقف عليه وُقَيْفَةً يسيرة[3].

وقال "مكي بن أبي طالب" : «لا يُضَارَّ كاتب ولا شهيد يجوز أن يكونا فاعلين ويكون يضار يُفَاعِل ويجوز أن يكونا مفعولين لم يُسَمَّ فاعلهما، ويكون يضارَّ يفاعل والأحسن أن يكون يفاعل لأن بعده وأن تفعلوا فإنه فُسوق بكم يخاطب الشهداء»[4].

(٦) وفي قوله تعالى : ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾[5].

في هذه الآية الكريمة وجوه من القراءات للفعل المبنى للمفعول فيقرأ بَهُتَ بفتح الباء وضم الهاء وبفتح الباء وكسر الهاء بَهِت والفعل فيهما لازم، ويقرأ

---

[1] العكبري : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ٩٨.

[2] من الآية ٢٨٢ سورة البقرة.

[3] المصدر السابق، جـ١، ص ١٢٠.

[4] مكي بن أبي طالب : مشكل إعراب القرآن، جـ١، ص ١٤٥.

[5] من الآية ٢٥٨ سورة البقرة.

بفتحهما فيجوز أن يكون الفاعل ضمير إبراهيم، والذى مفعول، ويجوز أن يكون الذى فاعلاً، ويكون الفعل لازمًا[1].

ولتوضيح ذلك تقول : بهُت الرجل وبُهِتَ وبَهِت. إذا انقطع وسكت متحيرًا.. وقال الطبرى : وحكى عن بعض العرب فى هذا المعنى، بَهَت بفتح الباء والهاء، قال ابن جنى : قرأ أبو حيوة فبَهُتَ بفتح الباء وضم الهاء، وهى لغة فى بَهِت بكسر الهاء قال : وقرأ ابن السميفع : فبَهُتَ بفتح الباء وضم الهاء على معنى فبَهَتَ إبراهيم الذى كفر، فالذى فى موضع نصب، قال : وقد يجوز أن يكون بَهَتَ بفتحهما لغة فى بهِتَ. وحكى أبو الحسن الأخفش قراءة (فبَهِت) بكسر الهاء، قال والأكثر بالفتح فى الهاء.

قال "ابن عطية" : وقد تأول قوم فى قراءة فبهت بفتحهما أنه بمعنى سب وقذف، وأن النمروذ هو الذى سبّ حين انقطع و لم يكن له حيلة[2].

والأفصح هنا هى قراءة (بُهِتَ) لأنه يقال رجل مبهوت، ولا يقال باهت، ولا بهيت.

(٧) وفى قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ ازْدَادُوا كُفْرًا لَنْ تُقْبَلَ تَوْبَتُهُمْ﴾[3].

استشكل جماعة من المفسرين قوله تعالى : (لن تُقْبَلَ تَوْبَتُهُم) مع كون التوبة مقبولة فى الآية التى قبلها فى قوله تعالى : ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾[4]. وفى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ﴾[5].

---

[1] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ١٠٨.

[2] الشوكانى : فتح القدير، جـ١، ص ٤١٣.

[3] من الآية ٩٠ سورة آل عمران.

[4] الآية ٨٩ سورة آل عمران.

[5] من الآية ٢٥ سورة الشورى.

قيل : المعنى لن تقبل توبتهم عند الموت، قال النحاس : وهذا قول حسن مثل قوله تعالى في سورة النساء ﴿وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الْآنَ﴾[1]. وبه قال الحسن وقتادة وعطاء ومنه الحديث الشريف : «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يُغَرْغِرْ»[2].

وقيل المعنى : لن تُقْبَلَ توبتهم التي كانوا عليها قبل أن يكفروا، لأن الكفر أحبط، وقيل لن تقبل توبتهم إذا تابوا من كفرهم إلى كفر آخر، والأولى أن يُحمَلَ عدم قبولهم التوبة في هذه الآية على من مات كافرًا غير تائب فكأنه عبَّرَ عن الموت على الكفر بعد قبول التوبة وتكون الآية التي بعدها وهو قوله تعالى :﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[3]. في حكم البيان لها[4].

(٨) وفي قوله تعالى : ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[5].

جاء التركيب هنا في البناء للمفعول واضح الدلالة ولكن اختلف المفسرون في ضعف خلقة الإنسان هنا :

قيل : خلق الإنسان ضعيفًا أى عاجزًا عن مخالفة هواه غير قادر على مقابلة دواعيه وقُواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات.

---

(١) من الآية ١٨ من سورة النساء.

(٢) الحديث الشريف أخرجه الإمام أحمد في مسنده، جـ٢، ص ١٣٢، وقال حديث حسن، والترمذى رقم ٣٥٣٨.

وفي سنن ابن ماجة ٤٢٥٣ والحاكم في جـ٤، رقم ٢٥٧.

(٣) من الآية ٩١ سورة آل عمران.

(٤) الشوكاني : فتح القدير، جـ١، ص ٥٣٤.

(٥) من الآية ٢٨ سورة النساء.

وعـن الحسن إن المراد ضعف الخلقة ولا يساعده المقام فإن الجملة المتراصة تذييل مسوق لتقدير ما قبله من التخفيف بالرخصة في نكاح الإماء وليس لضعف البنية مدخل في ذلك، وإنما الذى يتعلق به التخفيف في العبادات الشاقة.

وقيل المراد ضعفه في أمر النساء خاصة حيث لا يصبر عنهن[1].

وقال "العكبرى" : وقيل التقدير : وخلق الإنسان من شيء ضعيف، أى من طين أو من نطفة وعلقة ومضغة كما قال تعالى : ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾[2]. فلما حذف الجار والموصوف انتصبت الصفة بالفعل نفسه[3]. ولكن هذا رأى ليس بقوى والرأى الأقوى هو عجزه عن مخالفة هواه والرخصة في نكاح الإماء وضعفه في أمر النساء.

(٩) وفى قوله تعالى : ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنفُسُ الشُّحَّ﴾[4].

نجد هنا أن الفعل أحضر يتعدى إلى مفعولين تقول أحضرت زيدًا الطعام، والمفعول الأول الأنفس وهو القائم مقام الفاعل والمفعول الثانى الشُّحَّ ودلالة التركيب هو إخبار من الحق تعالى: (إنَّ الشُّحَّ فى كُلٍّ واحد منهما) (أى فى الرجل والمرأة) بل فى كل الأنفس الإنسانية كائن وأنه جُعِلَ كأنه حاضر لها لا يغيب عنها بحال من الأحوال وأن ذلك بحكم الجبلة والطبيعة، فالرجل يشِحُّ بما يلزمه للمرأة من حسن العشرة وحسن النفقة ونحوها، والمرأة تشحّ على الرجل بحقوقها اللازمة للزوج

---

[1] أبو السعود : تفسير أبو السعود، جـ١، ص ٥١٢، وانظر : القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، ص ٢٣٤، والشوكانى : فى فتح القدير، جـ١، ص ٦٨٢.

[2] من الآية ٥٤ سورة الروم.

[3] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ١٧٧.

[4] من الآية ١٢٨ سورة النساء.

فلا تترك له شيئًا منها. وشح الأنفس بخلها بما يلزمها أو يحسن فعله بوجه من الوجوه ومنه قوله تعالى : «﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾»[1].

(١٠) وفي قوله تعالى : ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ﴾[2].

اختلف المفسرون في دلالة هذا التركيب المبني للمفعول.

قال الإمام فخر الدين الرازي فيه وجهان :

الأول : أنه دعاء عليهم أى (على اليهود) والمعنى أنه تعالى يعلمنا أن ندعو عليهم بهذا الدعاء كما علمنا الاستثناء في قوله تعالى : ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ﴾[3]. وكما علّمنا الدعاء على المنافقين في قوله تعالى :﴿فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾[4]. وعلى أبى لهب في قوله تعالى : ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾[5].

الثاني : إنه إخبار قال الحسن : غُلّتْ أيديهم في نار جهنم على الحقيقة، أى شُدَّتْ إلى أعناقهم جزاءً لهم على هذا القول فإن قيل : فإذا كان هذا إنما حُكِمَ به جزاءً لهم على هذا القول فكان ينبغي أن يقال فَغُلّتْ أيديهم قلنا حذف العطف وإن كان مضمرًا إلا أنه حذف لفائدة، وهى أنه لما حذف كان قوله تعالى (غلت أيديهم) كالكلام المبتدأ به وكون الكلام مبتدأ، يزيده قوة ووثاقة، لأن الابتداء بالشيء يدل على شبه الاهتمام به وقوة الاعتناء بتقريره[6].

---

[1] من الآية ٩ سورة الحشر ، وانظر في دلالة التركيب الشوكاني في فتح القدير، جـ١، ص ٧٧٩، والعكبرى في إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ١٩٧.

[2] من الآية ٦٤ سورة المائدة.

[3] من الآية ٢٧ سورة الفتح.

[4] من الآية ١٠ سورة البقرة.

[5] الآية ١ سورة المسد.

[6] فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، المجلد السادس، ص ٨٠.

وقال "الشوكاني" : غُلّتْ أيديهم : «دعاء عليهم بالبخل، فيكون الجواب عليهم مطابقًا لما أرادوه بقوله : يَدُ الله مغلولة : ويجوز أن يراد غلّ أيديهم حقيقة بالأسر في الدنيا أو بالعذاب في الآخرة، ويُقَوّي المعنى الأول أنّ البخل قد لزم اليهود لزوم الظّلّ للشمس فلا ترى يهوديًا، وإن كان ماله في غاية الكثرة؛ إلاوهو من أبْخَلِ خلق الله، وأيضًا المجاز أوْفَقُ بالمقام لمطابقته لما قبله»(١). وما ذكره الشوكاني فيه إيضاح ودلالة لتركيب المبني للمفعول.

(١١) وفي قوله تعالى : ﴿وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ﴾(٢).

في التركيب القرآني العظيم: أن تُبْسَلَ نَفْسٌ بما كسبت : أعطى دلالة قيمة – فالبَسْلُ والإبسال المنع ومنه أسَدٌ باسل لأن فريسته لا تفلت منه أو لأنه ممتنع – هذا أصل البسل والإبسال– «يقال بَسُلَ بسالة مثل ضَخُم ضخامة بمعنى شَجُع فهو بسيل وباسل وأبسَلته بالألف رهنته». وبذلك يكون معنى الإبسال هنا : تسليم المرء نفسه للهلاك ومنه أبسلت ولدي : أي : رهنته في الدم لأن عاقبة ذلك الهلاك.

قال "النابغة" :

ونَحْنُ رهنًا بالأُفاقة عامرًا

بما كان في الدرداء رهنًا فأبسلا

أي فهلك. (٣)

وقد اختلف المفسرون في دلالة هذا التركيب.

قال أبو السعود : «أن تُبْسَلَ نفس بما كسبت أي لئلا تُبْسَلَ كقوله تعالى:

---

(١) الشوكاني : فتح القدير، جـ١، ص ٨٣.

(٢) من الآية ٧٠ سورة الأنعام.

(٣) ابن منظور : لسان العرب باب اللام.

﴿أَن تَضِلُّوا﴾[1]. أو مخافة أن تُبسَل أو كراهة أن تُبسَل نفوس كثيرة كما فى قوله تعالى : ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَا أَحْضَرَتْ﴾[2]. وترتهن لسوء عملها»[3].

وقال "الشوكانى" : «فالمعنى، وذكّر به خشية أو مخافة أو كراهة أن تهلك نفس بما كسبت، أى ترتهن وتسلم للهلكة»[4].

أما "العكبرى" فقد ذكر رأيا واحدًا فقال : أن تُبسَلَ : مفعول له : أى مخافة أن تُبسَل[5].

(١٢) وفى قوله تعالى فى سورة الأعراف : ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[6].

وفى سورة طه : ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا﴾[7].

وفى سورة الشعراء : ﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾[8].

هذه تراكيب ثلاثة جاء فيها المبنى للمفعول اسمًا ظاهرًا وهو السحرة وقبله الفعل (أُلقِى) وجاء التركيب الأول بالواو والثانى بالفاء ولكن أين فاعل الإلقاء ؟

قال الزمخشرى عن التركيب فى سورة الشعراء : «فإن قلت فاعل الالقاء ما

---

(1) من الآية ١٧٦ سورة النساء.

(2) الآية ١٤ سورة التكوير.

(3) أبو السعود : تفسير أبو السعود، جـ٢، ص ١٦٥.

(4) الشوكانى : فتح القدير، جـ١، ص ١٨٤.

(5) العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ٢٤٦.

(6) من الآية ١٢٠ سورة الأعراف.

(7) من الآية ٧٠ سورة طه.

(8) من الآية ٤٦ سورة الشعراء.

هو لو طُرِح ؟ قُلتُ : هو الله عزَّ وجَلّ بما خوّلَهم من التوفيق، أو إيمانهم، أو بما عاينوا من المعجزة الباهرة، ولك ألا تقدّر فاعلاً، لأن أُلْقوا بمعنى خرّوا وسقطوا»[1].

وقد ردَّ أبو حيان الأندلسي هذا الرأى فقال : «وهذا القول ليس بشيء (وهوعدم تقدير فاعل) لأنه لا يمكن أن يُبْنى الفعل للمفعول الذى لم يُسَمَّ فاعله، إلا وقد حُذِفَ الفاعل، فناب ذلك عنه، أما أنه لا يُقَدَّر فاعل فقول ذا هب عن الصواب»[2].

وقال الشوكانى عن الآية (١٢٠) سورة الأعراف ﴿وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ﴾ : «أى خرُّوا ساجدين كأنّما ألقاهم مُلْقٍ على هيئة السجود أو لم يتمالكوا مما رأوا فكأنهم ألقوا أنفسهم»[3].

ونرجح أن فاعل الإلقاء هو الله عز وجل لأن هذا يناسب مقام العزة فى سنن الكبرياء والهيبة والقدرة المناسب للمبنىّ للمفعول.

(١٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾[4].

جاء (القرآن) نائبًا للفاعل للفعل (قُرِئَ) وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب : قال الفرّاء رأس الكوفة «كان الناس يتكلمون فى الصلاة المكتوبة، فيأتى الرجل القوم، فيقول : كم صليتُم ؟ فيقول : كذا وكذا. فَنُهوا عن ذلك، فحرم الكلام فى الصلاة لما أنزلت هذه الآية»[5].

---

[1] الزمخشرى : الكشاف، جـ٣، ص ١١٣، ونُكَتُ الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم، ص ٢٩٣.

[2] أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط، جـ٧، ص ٤٦.

[3] الشوكانى : فتح القدير، جـ٢، ص ٣٢٧.

[4] من الآية ٢٠٤ سورة الأعراف.

[5] الفراء : معانى القرآن، جـ١، ص ٤٠٢.

ولكن كثيرًا من المفسرين ذكروا فيها آراء «قيل هذا نزل في الصلاة روى عن ابن مسعود وأبي هريرة وجابر والزهري وعبيد الله بن عمير وعطاء بن أبي رباح وسعيد بن المسيب -رضي الله عنهم أجمعين- وقيل إنها نزلت في الخُطبة قاله سعيد بن جبير ومجاهد وعطاء وعمرو بن دينار وزيد بن أسلم وغيرهم.

وقد ضعّف هذا الرأي الإمام الرازي والقرطبي -لأن القرآن فيها قليل، والإنصات يجب في جميعها. وأن اللفظ عام فكيف يجوز قصره على هذه الصورة الواحدة[(١)].

وذكر الطبري عن سعيد بن جبير أن هذا في الإنصات يوم الأضحى ويوم الفطر ويوم الجمعة، وفيما يجهر به الإمام فهو عام[(٢)].

وقد رجّح هذا الرأي الإمام القرطبي[(٣)]. وقال الإمام الرازي : «قول أهل الظاهر أنا نُجري هذه الآية على عمومها ففي أي موضع قرأ الإنسان القرآن وجب على كل أحد استماعه والسكوت، فعلى هذا القول يجب الإنصات لعابري الطريق ومعلمي القرآن»[(٤)].

وذكر الشوكاني آراء أخر منها أنها في المكتوبة، وعند الذكر وفي الصلاة وحين ينزل الوحي[(٥)]. ولكن الرأي الأقوى هنا ما رجحه الإمام الرازي والإمام القرطبي بأنها عامّة.

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٧، ص ٤١٦، وانظر القرطبي : في الجامع لأحكام القرآن، جـ٧، ص ٣٥٣.

(٢) الطبري : تفسير الطبري، جـ٣، ص ١٥١.

(٣) القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ٧، ص ٣٥٤.

(٤) الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٧، ص ٤١٧.

(٥) الشوكاني : فتح القدير، جـ٢، ص ٣٩٦.

(١٤) وفى قوله تعالى : فى أول سورة هود ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ﴾[١].

أتى الفعل مبنيًا للمفعول (أُحْكِمَ) ونائب الفاعل (آياته) اسمًا ظاهرًا. وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب على وجوه.

١ - قال الإمام فخر الدين الرازى:فى قوله تعالى (أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ) وجوه:

الأول : أى نظمت نظمًا رصيفًا محكمًا لا يقع فيه نقص ولا نقص كالبناء المحكم.

الثانى : أحكمت آياته أى لم تنسخ كما نسخت الكتب والشرائع السابقة عليها وعلى هذا الوجه لا يكون كل الكتاب محكمًا، لأنه فصّل فيه آيات منسوخة، إلا إنه لّما كان الغالب كذلك صح إطلاق هذا الوصف عليه إجراء للحكم الثابت، فى الغالب مجرى الحكم الثابت فى الكل.

الثالث : قال صاحب الكشاف[٢] : أحكمت يجوز أن يكون نقلاً بالهمزة حَكُمَ بضم الكاف إذا صار حكيمًا أى جعلت حكيمة كقوله تعالى ﴿آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيمِ﴾[٣].

الرابع : جعلت آياته محكمة فى أمور أحدها : أن معانى هذا الكتاب هى التوحيد والعدل والنبوّة، والمعاد وهذه المعانى لا تقبل النسخ فهى فى غاية الإحكام.

ثانيها : إن الآيات الواردة فيه غير متناقضة، والتناقض ضد الإحكام فإذا خلت آياته عن التناقض فقد حصل الإحكام.

ثالثها : إن ألفاظ هذه الآيات بلغت فى الفصاحة والجزالة إلى حيث لا تقبل

---

(١) من الآية الأولى من سورة هود.

(٢) الزمخشرى : الكشاف، جـ٢، ص ١٥٣.

(٣) من الآية ١ سورة يونس.

المعارضة، وهذا أيضًا يشعر بالقوة والإحكام.

رابعها : إن العلوم الدينية إما نظرية وإما عملية أما النظرية فهى معرفة الإله تعالى ومعرفة الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وهذا الكتاب مشتمل على شرائف هذه العلوم ولطائفها، وأما العملية فهى إما أن تكون عبارة عن تهذيب الأعمال الظاهرة وهو الفقه، أو عن تهذيب الأمور الباطنة وهى علم التصفية ورياضة النفس ولا نجد كتابًا فى العالم يساوى هذا الكتاب فى هذه المطالب[1].

وبذلك نرى أن الآراء كما ذكرها كثير من المفسّرين فى هذه التركيب(١) صارت محكمة متقنة (٢) لم تنسخ بخلاف التوراة والإنجيل (٣) أحكمت آياته بالأمر والنهى (٤) أحكمت جملة، ثم فصلت آياته (٥) أحكمها الله من الباطل ثم فصّلها بالحلال والحرام (٦) جمعت فى اللوح المحفوظ ثم فصّلت بالوحى (٧) معنى أحكمت : لا فساد فيها أخذًا من قولهم أحكمت الدابة إذا وضعت عليها الحكمة لتمنعها من الجماح»[2].

(١٥) وفى قوله تعالى : ﴿فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾[3].

جاء التركيب فيه (يغاث الناس) مبنيًا للمفعول واختلف المفسرون فى دلالة (فيه يغاثُ).

قيل معناه : يُمْطَرُون ويجوز أن يكون من قولهم أغاثه الله إذا أنقذه من كرب أوغمّ ومعناه يُنْقَذُ الناس من كرب الجدب وهو أقوى الآراء المناسب لسياق الموقف[4].

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٨، ص ٤٦٥.

[2] انظر فى تفصيل الآراء القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن، جـ١، ص ٢٩١، الشوكانى : فى فتح القدير، جـ٢، ص ١، ٦.

[3] من الآية ٤٩ سورة يوسف.

[4] انظر: فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ٩، ص ٧٢، وأبو السعود فى تفسيره مجلد ٣، ص ١٤.

(١٦) وفى قوله تعالى : ﴿قَالُوا إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا﴾[١].

جاء التركيب (إنما سُكِّرَتْ أَبْصَارُنَا) مبنيًا للمفعول ويحتاج إلى بيان خاصة إن فيه قراءتين للفعل بالتشديد والتخفيف تختلف فيه الدلالة.

قال الفراء : «إنما سُكِّرَت أبصارنا ويقال سُكِرَتْ (بتخفيف الكاف) وهى قراءة ابن كثير ومعناهما متقارب فأما سُكِّرَت بالتشديد فحبست، العرب تقول : قد سُكِرَتْ الريح إذا سكنت وركَدَتْ ويقال : أُغْشِيَتْ، فالغشاء والحبس قريب من السواء»[٢].

وقال ابن خالويه : قوله تعالى : (سُكِّرَتْ أبصارنا) يُقْرَأُ بتشديد الكاف وتخفيفها فالحجة لمن شدّد أنه أراد سُدَّتْ وغُطِّيتْ والحُجَّة لمن خفّف أنه أراد سُحِرَتْ وُوقِفَتْ كما تقول سَكَرْتُ الماء فى النهر إذا وقفته[٣].

وقد اختلف اللغويون فى دلالة هذا الفعل كما يلى :

فقد قرأ ابن كثير سُكِرت بالتخفيف، والباقون مشدّدة الكاف.

يرى الواحدى : أن سُكِرت غشيت وسُدِّدت بالسِّحْر هذا قول أهل اللغة، قال وأصله من السُّكر وهو سد الشق لئلا يتفجر الماء، فكأن هذه الأبصار مُنِعَتْ من النظر كما يمنع السكر الماء من الجرى، والتشديد يوجب زيادة وتكثيرًا.

ويرى أبو عمرو بن العلاء أن سُكِرَتْ - مأخوذ من سكر الشراب يعنى أن الأبصار حارت ووقع بها من فساد النظر مثل ما يقع بالرجل السكران من تغيّر العقل، فإذا كان هذا معنى التخفيف فَسُكِّرَتْ بالتشديد يراد به وقع هذا الأمر مرة بعد أخرى.

---

[١] من الآية ١٥ سورة الحجر.

[٢] الفراء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٨٦.

[٣] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٠٦.

وقال أبو عبيد القاسم بن سلاّم : (سُكِّرت أبصارنا) أي غشيت أبصارنا فوجب سكونها وبطلانها وعلى هذا القول أصله من السكون، يقال سكرت الريح سَكْرًا إذا سكنت وسكر الحر يسكر، وليلة ساكرة لا ريح فيها ويقال : سكرت عينه سَكْرًا إذا تحيَّرتْ وسكنت عن النظر وعلى هذا معنى : سُكِّرت أبصارنا، أي سكنت عن النظر، وهذا القول اختيار الزجاج.

وقال أبو علي الفارسي : سُكِّرتْ صارت بحيث لا ينفذ نورها ولا تدرك الأشياء على حقائقها، وكان معنى السُّكْر قطع الشيء عن سننه الجارى.

ونلاحظ أن أقوال علماء اللغة في سُكِّرت وسُكِرت متقاربة فإما أن تكون سُكِّرت بالتشديد - غطِّيت وسُكِرتْ بالتخفيف سُحِرت أو يكون المعنى في الفعلين واحد ولكن التشديد يدل على التكثير أو التكرير.

والدلالة تعطى إما أنه سُكِّرتْ أبصارهم - أي غشيهم ما غطّى أبصارهم كما غشى السكران ما غطى عقله وسكور الريح سكونها وفتورها فهو يرجع إلى معنى التحيير[1].

(١٧) وفي قوله تعالى : ﴿إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ﴾[2].

جاء التركيب (إنما جُعِلَ السبت) مبنيًا للمفعول - يدل على موقف بنى إسرائيل من السبت- وكان الحق تعالى قد أمرهم ألا يصطادوا يوم السبت ليتفرغوا لعبادته لكنهم تحايلوا على ذلك فمسخهم الله قردةً وخنازير.

---

(١) انظر في تفصيل هذه الأقوال :

الرازى : في مفاتيح الغيب، جـ٩، ص ٣٩٩.

وأبو السعود : في تفسيره، مجلد ٣، ص ٢١٩.

والقرطبي : في الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٦٨٥.

وابن منظور في لسان العرب، مادة (سكر).

(٢) من الآية ١٢٤ سورة النحل.

وفي هذا التركيب يبين الحق تعالى أن السبت فرض تعظيمه والتخلي فيه للعبادة وترك الصيد فيه – وكان اليهود يدّعون أن السبت من شعائر الإسلام وأن إبراهيم كان محافظًا عليه– فرد الحق تعالى عليهم بأن السبت ليس من شرائع إبراهيم وشرائع مِلّته التي أُمِرْتَ باتباعها يا محمد –حتى يكون بينه عليه الصلاة والسلام وبين بعض المشركين علاقة وإنما شرع السبت لبني إسرائيل بعد مدة طويلة.

وإيراد الفعل مبنيًا للمفعول جريًا على سنن الكبرياء وإيذانًا بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة الإسناد إلى الغير[1].

(١٨) وفي قوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ﴾[2].

جاء التركيب (لَهُدِّمَتْ صوامع وبيع وصلوات) في جواب لولا وقُرِئ هُدِّمت بتشديد الدال وتخفيفها.

قال ابن خالويه: «فالحجة لم شدّد أنه أراد تكرير الفعل والحجة لمن خفّف أنه أراد المرة الواحدة من الفعل وهما لغتان فاشيتان»[3].

وقال الفراء في دلالة التركيب: «(لهدِّمَتْ صوامِعُ وبِيَعٌ): وهي مُصلّى النصارى والصوامع للرهبان وأما الصلوات فهي كنائس اليهود. والمساجد (مساجد الإسلام) ومعنى التهديم أن الله قال قبل ذلك (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض) يدفع بأمره وأتباعه عن دين كل نبي، إلى أن بعثَ الله محمدًا –صلى الله عليه وسلم–»[4].

---

(١) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٣٠٢.

(٢) من الآية ٤٠ سورة الحج.

(٣) ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص ٢٥٤.

(٤) الفراء: معاني القرآن، جـ٢، ص ٢٢٧.

أما فخر الدين الرازى فقد ذكر اختلاف المفسرين فى دلالة الصلوات والصوامع والبيع فقال : «ذكروا فيها وجوهًا :

أحدها : الصوامع للنصارى والبيع لليهود والصلوات للصابئين والمساجد للمسلمين عن أبى العالية -رضى الله عنه-.

ثانيها : الصوامع للنصارى وهى التى بنوها فى الصحارى والبيع لهم أيضًا وهى التى يبنونها فى البلد والصلوات لليهود، قال الزجاج وهى بالعبرانية صلوتا.

ثالثها : الصوامع للصابئين والبيع للنصارى والصلوات لليهود عن قتادة.

رابعها : أنها بأسرها أسماء المساجد عن الحسن، أما الصوامع فلأن المسلمين قد يتخذون الصوامع، وأما البيع فأطلق هذا الاسم على المساجد على سبيل التشبيه، وأما الصلوات فالمعنى أنه لولا ذلك الدفع لانقطعت الصلوات وخُرِّبت المساجد»[١]

ونرى أن أقرب الآراء رأى الزجاج لما يتفق مع الواقع التاريخى لليهود والنصارى.

(١٩) وفى قوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا﴾[٢] .

جاء التركيب (ضُرِبَ مَثَلٌ) مبنيًا للمفعول ودلالته بيّن لكم حالاً مستغربة أو قصة بديعة رائعة حقيقة بأن تسمى مثلاً وتسير فى الأمصار والأعصار أو جعل لله مثلاً أى مثل فى استحقاق العبادة وأريد بذلك ما حكى عنهم من عبادتهم[٣] .

(٢٠) وفى قوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٤] .

---

[١] فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، حـ١١، ص ٢٨٦.

[٢] من الآية ٧٣ سورة الحج.

[٣] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣٣.

[٤] الآية ٩٠ سورة الشعراء.

وقوله تعالى : ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ﴾[1] .

وقوله تعالى ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ﴾[2] .

أتت التراكيب الثلاثة مبنية للمفعول - أما الآية الأولى والثانية فوردت فى سورة الشعراء وأما الثانية فوردت فى سورة (ق) بزيادة غير بعيد عن الآية الأولى.

ودل تركيب (وأزلفت الجنة) (وَبُرِّزَتْ الْجَحِيمُ للغَاوين) "إن الجنة قد تكون قريبة من موقف السعداء ينظرون إليها ويفرحون بأنهم المحشورون إليها والنار تكون بارزة مكشوفة للأشقياء بمرأى منهم يتحسرون على أنهم المسوقون إليها"[3] .

أما تركيب (وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ) فقيل فىْ دلالته : «شروع فى بيان حالَ المؤمنين بعد النّفخ ومجئ النفوس إلى موقف الحساب أى قُرِّبت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على ما فيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف أى مكانًا غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئًا غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنّة بالبستان»[4] .

(٢١، ٢٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾[5] .

وقوله تعالى : ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾[6] .

---

[1] الآية ٣١ سورة ق.

[2] الآية ٩١ سورة الشعراء.

[3] الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٢، ص ١٤٧.

[4] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٦٢٣

[5] من الآية ٧١ سورة الزمر.

[6] من الآية ٧٣ سورة الزمر

أتى التركيبان (وسيق الذين كفروا إلى جهنم)، (وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة)

ودل التركيب الأول على سوق الكفار إلى جهنم جماعات بالدفع والعنف أما التركيب الثاني فيدل على دخول المؤمنين الجنة فرحين مستبشرين ولكن تساءل الرازى : «فإن قيل السوق في أهل النار للعذاب معقول، لأنهم أمروا بالذهاب إلى موضع العذاب والشقاوة لابد وأن يساقوا إليه، وأما أهل الثواب فإنما أمروا بالذهاب إلى موضع الكرامة والراحة والسعادة فأىُّ حاجة إلى السوق ؟ قال : والجواب من وجوه :

الأول : إن المحبة والصداقة باقية بين المتقين يوم القيامة كما قال تعالى : ﴿الْأَخِلَّاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾[1] فإذا قيل لواحد منهم اذهب إلى الجنّة فيقول لا أدخلها حتى يدخلها أحبائى فيتأخرون لهذا السبب فحينئذ يحتاجون أن يساقوا إلى الجنة.

الثانى : إن الذين اتقوا ربهم قد عبدوا الله تعالى لا للجنة، ولا للنار، فتصير شدة استغراقهم فى مشاهدة مواقف الجلال والجمال مانعة لهم عن الرغبة فى الجنة، فلا جرم يحتاجون إلى أن يساقوا إلى الجنة.

الثالث : إن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال : أكثر أهل الجنة البُلْهُ وعلّيون للأبرار، فلهذا السبب يساقون إلى الجنة.

الرابع : أن أهل الجنة وأهل النار يساقون إلا أن المراد بسوق أهل النار طردهم إليها بالهوان والعنف كما يفعل بالأسير إذا سيق إلى الحبس والقيد والمراد بسوق أهل الجنة سوق مراكبهم لأنهم لا يُذْهَبُ بهم إلا راكبين، والمراد بذلك

---

[1] من الآية ٦٧ سورة الزخرف.

السوق إسراعهم إلى دار الكرامة والرضوان كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على الملوك، فشتان بين السوقين[1].

(٢٣) وفي قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[2].

وقوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾[3].

جاء التركيبان (فُتِحَت أبوابها) في وصف دخول الكافرين النار و(فتحت أبوابها) في وصف دخول المؤمنين الجنة وكان الفرق بين التركيبين الواو، فما فائدة ذلك ؟ ودلالته ؟

اختلف اللغويون في دلالة الواو هنا : فقيل هي زائدة وقيل هي دلالة على معنى أنَّ النار لا تفتح للكافرين إلا إذا أتوا إليها ليفاجؤوا بالأهوال أما المؤمنون فتُفتح لهم أبواب الجنة قبل أن يدخلوها فتكون ممهدة لنعيمهم تستقبلهم بالترحاب. وقيل وهي واو الثمانية.

قال الرازي : فإن قيل قال في أهل النار فتحت أبوابها بغير الواو وقال ههنا بالواو فما الفرق ؟

قلنا : الفرق إن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها فيها فأما أبواب الجنة ففتحها يكون متقدمًا على وصولهم إليها بدليل قوله تعالى : ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[4]. فلذلك جيء بالواو كأنه قيل حتى إذا جاءوها وقد فتحت أبوابها[5].

---

[1] الرازي : مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٨.

[2] من الآية ٧١ سورة الزمر.

[3] من الآية ٧٣ سورة الزمر.

[4] من الآية ٥٠ سورة ص.

[5] الرازي، مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٨٢.

وقال العكبرى : وفُتِحَت : الواو زائدة عند قوم، لأن الكلام جواب حتى، وليست زائدة عند المحققين، والجواب محذوف تقديره، اطمأنوا ونحو ذلك[1] :

وقد قُرِئ الفعل (وفتحت) بالتشديد والتخفيف قال ابن خالويه : (فُتِحت أبوابها – وفتحت أبوابها) يقرآن بالتشديد والتخفيف فالحجة لمن شدّد أنه أراد تكرير الفعل، لأن كل باب منها فُتح.. ودليله اجماعهم على التشديد فى قوله تعالى: ﴿وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ﴾[2] . وقوله تعالى : ﴿مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾[3] .

والحجة لمن خفف أنه دل بذلك على فتحها مرة واحدة، فكان التخفيف أولى، لأن الفعل لم يتردد ولم يكثر، فإن قيل فما وجه دخول الواو فى إحداهما دون الآخر، قيل فيه غير وجه –قال قوم هى زائدة– وقال آخرون العرب تعد من واحد إلى سبع وتسميه عشرًا ثم يأتون بهذه الواو فيسمونها واو العشر ليدلوا بذلك على انقضاء عدد مثل قوله تعالى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾[4] .

وقوله تعالى : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾[5] .

ولكن ما ذكره ابن خالويه فيه خلط فهو يسميها واو العشرة ولكنها عند كثير من النحويين واو الثمانية وقد ضعف هذا الرأى كثير من اللغويين والرأى

---

[1] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، حـ١، ص ٢١٦.

[2] من الآية ٢٣ سورة يوسف.

[3] من الآية ٥٠ سورة ص.

[4] من الآية ١١٢ سورة التوبة.

[5] من الآية ٢٢ سورة الكهف، وانظر ابن خالويه فى الحجة فى القراءات السبع، ص ٣١١.

الأقوى هو ما ذكره المحققون بأن الجنّة تفتح للمؤمنين قبل وصولهم إليها أما النار فلا تفتح للكفار إلا عند معاينتهم لها ليكون الخطب شديد والألم عسير[١] .

(ب) نائب الفاعل اسم ظاهر وقبله جار ومجرور :

أتى نائب الفاعل اسمًا ظاهرًا في كثير من تراكيب القرآن العظيم وقبله جار ومجرور ولم يَقُمْ الجار والمجرور مقام الفاعل ولكن حلّ المفعول به محل الفاعل في هذه التراكيب وقد اختلف اللغويون والمفسرون في دلالة بعض هذه التراكيب باختلاف القراءات فيها :

(١) قوله تعالى : ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ﴾[٢] .

أتى التركيبان هنا مبنيان للمفعول وكان نائب الفاعل اسمًا ظاهرًا وقبله جار ومجرور (منها).

وقد قُرئ الفعل (يقبل) بالتذكير والتأنيث قرأ ابن كثير وأبو عمرو ابن العلاء (ولا تُقْبَلُ) بالتاء وقرأ نافع وابن عامر وحمزة والكسائي ولا يُقْبَلُ بالياء.

فأما من قرأ (ولا تُقْبَلُ) فألحق علامة التأنيث لأنَّ الاسم الذى أسند إليه هذا الفعل مؤنث وأما من لم يلحق التأنيث في الفعل وذلك لأن التانيث في الاسم غير حقيقي وقد قوى عدم التأنيث الفصل بين الفعل ونائب الفاعل المؤنث غير الحقيقي (منها)[٣] .

---

[١] انظر في تفصيل ذلك أبو السعود في تفسيره، مجلد ٤، ص ٤٧٧، والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠، ص ٤٧٤، والرازي في مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٨، وابن قَيِّمٌ الجوزية في بدائع الفوائد، جـ٣، ص ٥٥٤.

[٢] من الآية ٤٨ سورة البقرة.

[٣] انظر القراءات المختلفة في الآية الكريمة :

ابن خالويه : في الحجة في القراءات السبع، ص ٧٦.

وأبو علي الفارسي : في الحجة في علل القراءات السبع، جـ٢، ص ٤٥، ٤٦.

(٢) وفى قوله تعالى ﴿وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ﴾[١].

أتى التركيب (وهو مُحَرَّم عليكم إخْرَاجُهُـمْ) مبنيًا للمفعول وقد اختلف النحويون فى أوجه إعراب التركيب ونلاحظ أن اسم المفعول (مُحَرَّم) عمل عَمَلَ الفعل المبنى للمفعول وتقدير الجملة وهو حُرِّم عليكم إخراجهم.

أما أوجه الإعراب فى هذا التركيب[٢] :

الوجه الأول : يكون (هو) ضمير الشأن فى محل رفع مبتدأ ومحرّم خبر مقدم – وبه ضمير يقوم مقام الفاعل وإخراج مبتدأ مؤخر – والجملة من المبتدأ والخبر الثانى فى محل رفع خبر المبتدأ الأول (هو).

الوجه الثانى : أن يكون هو ضمير الشأن أيضًا ومحرم خبره وإخراج مرفوع على أنه مفعول لم يُسَمَّ فاعله وهذا مذهب الكوفيين وإنما فرُّوا إلى هذا الوجه، لأن الخبر المتحمل ضميرًا مرفوعًا عندهم لا يجوز تقديمه على المبتدأ وهذا الوجه ممنوع عند البصريين لأن ضمير الشأن لا يفسر إلا بجملة[٣].

الوجه الثالث : (هو) كناية عن الإخراج وهو مبتدأ ومحرّم خبره وإخراجهم بدل منه.

والوجه الرابع : ذكر الفرّاء رأس الكوفة أن (هو) يجوز أن يكون عمادًا (ضمير الفصل عند البصريين) قدّم مع الخبر والتقدير، وإخراجهم هو محرّم عليكم

---

[١] من الآية ٨٥ سورة البقرة.

[٢] انظر فى تفصيل هذه الآراء :

مكى بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن، حـ١، ص ٢١٢.

والعكبرى فى التبيان فى إعراب القرآن، حـ١، ص ٤٩.

والسمين الحلبى فى الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، حـ١، ص ٤٨٢، ٤٨٧، وأبو حيان الأندلسى فى تفسير البحر المحيط، حـ١، ص ٢٩٢.

[٣] السمين الحلبى : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، حـ١، ص ٤٨٥.

فإخراجهم مبتدأ، ومحرّم خبره، وهو عِمَادٌ وقد رفض هذا الرأى البصريون[١] .

ونرى أن أقرب الآراء للدلالة هنا أن يكون (هو) ضمير الشأن – ومحرّم خبره وإخراج نائب فاعل فى رأى الكوفيين لأنه به تيسيرًا للمعنى وتوضيحًا للدلالة.

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ﴾[٢] .

وفى قوله تعالى: ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ . . . . . وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ﴾[٣] .

جاء التركيبان وقد بنى الفعل للمفعول فيهما ونائب الفاعل (الذل) و(المسكنة) مسبوقان بجار ومجرور.

قيل .. ومعنى ضربت أى ألزموها وقضى عليهم بها من ضرب القباب والذِّلَّةُ الصغار، والذُّلُّ بالضم ما كان عن قهر، وبالكسر ما كان بعد شماس من غير قهر، والمسكنة مَفْعَلَةٌ من السكون، لأن المسكين قليل الحركة والنهوض، لما به من الفقر[٤] .

(٤) وفى قوله تعالى : ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ﴾[٥] .

أتى التركيب (أن يُنزَّل عليكم من خير من ربكم : مبنيًا للمفعول والقائم

---

[١] الفراء : معانى القرآن، حـ١، ص ٥١.

[٢] من الآية ٦١ سورة البقرة.

[٣] من الآية ١١٢ سورة آل عمران.

[٤] السمين الحلبى : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، حـ١، ص ٣٩٦.

[٥] من الآية ١٠٥ سورة البقرة.

مقام الفاعل هو (من خير) لأن مِنْ زائدة وخير نائب فاعل مرفوع بضمة مقدرة منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد.

قال "مكى بن أبى طالب" : «من خير من ربكم؛ خير فى موضع رفع مفعول لم يُسَمَّ فاعله بينزَّل ومن زائدة لتأكيد النفى»[1].

وقال "أبو السعود" فى تفسيره : «أن يُنَزَّل فى حيز النصب على أنه مفعول يود وبناء الفعل للمفعول للثقة بتعيين الفاعل والتصريح الآتى فى قوله تعالى (من خير) هو القائم مقام فاعله ومن مزيدة للاستغراق والنفى وإن لم يباشره ظاهرًا لكنه منسحب عليه معنىً والخير الوحْىُ»[2].

وقال "الزمخشرى" فى الكشاف : «من فى قوله تعالى : (من أهل الكتاب) بيانية، وفى قوله : (من خير) مزيدة لاستغراق الخير، وفى قوله : (من ربكم) لابتداء الغاية»[3].

(٥) وفى قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ﴾[4].

أتى التركيب (زُيِّن للناس حُبُّ الشهوات من النساء) والقائم مقام الفاعل (حُبُّ) مسبوق بشبه جملة.

قال "أبو السعود" : «كلام مستأنف سيق لبيان حقارة شأن الحظوظ الدنيوية بأصنافها وتزهيد الناس فيها وتوجيه رغباتهم إلى ما عنده تعالى أثر بيان عدم نفعها للكفرة الذين كانوا يتعزَّزون بها والمراد بالناس الجنس. و(حُبُّ الشهوات)

---

[1] مكى بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن، جـ١، ص ١٠٨.

[2] أبو السعود : تفسير أبو السعود، جـ١، ص ١٧٣.

[3] الزمخشرى : الكشاف، جـ١، ص ١٤٣.

[4] من الآية ١٤ سورة آل عمران.

المراد هنا المشتهيات عَبَّر عنها بالشهوات مبالغة فى كونها مشتهاةً مرغوبة فيها كأنها نفس الشهوات أو إيذانًا بانهماكهم فى حُبِّها بحيثُ أحبُّوا شهواتها. وإيثار صيغة المبنى للمفعول للجرى على سَنن الكبرياء»[1].

«وقد قرئ زُيِّن مبنيًا للمفعول وقُرِئ زَيَّنَ بالبناء للفاعل والجمهور على ضم الزاى ومن قرأ بالبناء للفاعل والمزين الشيطان وبه قرأ الضحاك.

وقد اختلفوا فى المزين فى قراءة المبنى للمفعول قيل هو الحق تعالى وقيل الشيطان وبه قال الحسن ووجه تزيين الله تعالى لها ابتلاء عباده»[2].

(٦) وفى قوله تعالى : ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الأَرْضُ﴾[3].

أتى التركيب (لو تسوّى بهم الأرض) مبنيًا للمفعول وقرئ الفعل (تُسَوَّى) بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل وأتى نائب الفاعل (الأرض) مسبوقًا بجارٍّ ومجرور.

قال "البنّا الدُّمياطى" فى القراءات (عن الفعل تُسَوَّى) :

«واختلف فى (تسوّى) فحمزة والكسائى وخلف بفتح التاء وتخفيف السين، مع الإمالة، وافقهم الأعمش وقرأ نافع، وابن عامر، وأبو جعفر، بفتح التاء وتشديد السين بلا إمالة إلا الأزرق، فبالفتح والتقليل وافقهم الحسن. والباقون بضم التاء، بلا إمالة وتخفيف السين مبنيًا للمفعول»[4].

والمعنى على قراءة من بنى الفعل للفاعل أن الأرض هى التى تسوى بهم :

---

[1] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٣٣٦، ٣٣٧.

[2] انظر العكبرى: إملاء ما مَنَّ به الرحمن، جـ١، ص ١٢٧، والشوكانى: فى فتح القدير، جـ١، ص ٤٨٢.

[3] من الآية ٤٢ سورة النساء.

[4] البنا الدمياطى : إتحاف فضلاء البشر فى القراءات الأربعة عشر، جـ١، ص ٥١٢، وانظر أبو زرعة فى حجة القراءات، ص ٢٠٣.

أى أنهم تمنّوا لو انفتحت لهم الأرض فساخوا فيها وقيل الباء فى (بهم) بمعنى على: أى تسوى عليهم الأرض.

وأما من قرأ بالفعل مبنيًا للمفعول فيكون المعنى يودّون لو سوّى الله بهم الأرض فيجعلهم والأرض سواء حتى لا يُبْعَثُوا[١].

وقال "أبو السعود": «إن جعلت لو مصدرية فالجملة مفعول ليود أى يودون أن يدفنوا فتسوى بهم الأرض كالموت وقيل يودّون أنهم لم يُبعثوا أو لم يُخلقوا وكأنهم والأرض سواء. وقيل تصير البهائم ترابًا فيودون حالها. وإن جُعِلَتْ جارية على بابها فالمفعول محذوف لدلالة الجملة عليه أى يودّون تسوية الأرض بهم وجواب لو أيضًا محذوف إيذانًا بغاية ظهوره أى لسُرُّوا بذلك»[٢].

(٧) وفى قوله تعالى: ﴿أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ﴾[٣].

أتى الفعل (أُحِلَّ) مبنيًّا للمفعول ونائب الفاعل (بهيمة) وفصل بينه وبين الفعل شبه الجملة (الجار والمجرور).

واختلف المفسرون فى دلالة نائب الفاعل؛ فالبهيمة اسم لكل ذى أربع، سُمِّيت بذلك لإبهامها من جهة نقص نطقها وفهمها وعدم تمييزها وعقلها.

والأنعام: اسم للإبل والبقر والغنم.

وقال الراغب: «إن تَسْمِيةَ الإبل بذلك لأنها عندهم أعظم نعمة ولا يقال لها أنعام حتى يكون فى جملتها الإبل»[٤].

وقال الإمام الطبرى: «قال قوم بهيمة الأنعام وحشيّها كالظباء وبقر

---

[١] الشوكانى: فتح القدير، جـ١، ص ٦٩٨.

[٢] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد٩، ص ٥٢٣.

[٣] من الآية ١ سورة المائدة.

[٤] الراغب الأصفهانى: المفردات فى غريب القرآن، كتاب النون.

الوحش والحُمُر وغير ذلك، وحكاه غيره عن السدّى والربيع وقتادة والضحاك، كأنه قال أُحِلّت لكم فأضيف الجنس إلى أخص منه. قال ابن عطية: وهذا قول حسن»[1].

ونرى أن هذا هو القول المتساوق مع المعنى القرآني. وقيل بهيمة الأنعام: ما لم تكن صَيْدًا لأن الصيد يسمى وحشًا لا بهيمة، وقيل بهيمة الأنعام: الأجنة التي تخرج عند الذبح لبطون الأنعام فهي تؤكل من دون زكاة.[2]

وقال أبو السعود في دلالة نائب الفاعل هنا: «البهيمة كل ذات أربع، وإضافتها إلى الأنعام للبيان كثوب الخزّ، وإفرادها لإرادة الجنس؛ أي أحل لكم أكل البهيمة من الأنعام وهي الأزواج الثمانية المعدودة في سورة الأنعام وألحق بها الظباء وبقر الوحش ونحوهما، وقيل هي المرادة بالبهيمة ها هنا لتقديم بيان حل الأنعام والإضافة لما بينهما من المشابهة والمماثلة في الاجترار وعدم الأنياب، وفائدتها الإشعار بعلة الحكم المشترك بين المضافين؛ كأنه قيل: أُحِلّت لكم البهيمة الشبيهة بالأنعام التي بين إحلالها فيما سبق المماثلة لها في مناط الحكم وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لمّا مَرّ من إظهار العناية بالمقدم لما فيه تعجيل المسرّة والتشويق إلى المؤخرة فإن ما حقه التقديم إذا أخّر تبقى النفس مترقبة إلى وروده فيتمكن عندها فعل تمكّن»[3].

(٨) وفي قوله تعالى ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾[4]

أتى التركيب هنا مبنيًا للمفعول ونائب الفاعل (أبواب) وأصله المفعول به. وقد اختلف القرّاء في قراءة الفعل (تفتح) بالتاء والياء وبالتخفيف والتشديد، كما يلي:

---

(١) الطبري: تفسير الطبري جـ٢ ص ١٢٣، وانظر القرطبي: الجامع لأحكام القرآن جـ١ ص ٦٥٣، ٦٥٤.

(٢) الشوكاني: فتح القدير، جـ٢، ص ٧.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٢، ص ٣٢٢.

(٤) من الآية ٤٠ سورة الأعراف.

قال الفرّاء: «ولا يُفتّح وتُفتّح وإنما يجوز التذكير والتأنيث في الجمع لأنه يقع عليه التأنيث فيجوز فيه الوجهان وربما آثرت القرّاء أحد الوجهين، أو يأتي ذلك في الكتاب بوجه فيرى من لا يعلم أنه لا يجوز غيره وهو جائز. ومعنى (لا تفتّح لهم أبواب السماء): لا تصعد أعمالهم، ويقال إن أعمال الفجّار لا تصعد ولكنها مكتوبة في صخرة تحت الأرض، وهي التي قال الله تبارك وتعالى ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ﴾[1].

وقال ابن مجاهد: «قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وابن عامر: (لا تُفتّح) بالتاء والتشديد، وقرأ أبو عامر (لا تُفْتَح) بالتاء الخفيفة ساكنة الفاء، وقرأ حمزة والكسائي (لا يُفْتَح) بالياء خفيفة ساكنة الفاء»[2].

وقيل معنى التركيب: لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، وقيل لا تفتح أبواب السماء لأدعيتهم إذا دعوا وهذا رأي مجاهد والنخعي.

وقيل لأعمالهم: أي لا تُقبل بل تُردّ عليهم فيضرب بها في وجوههم. وقيل المعنى أنها لا تفتح لهم أبواب الجنة يدخلونها لأن الجنة في السماء.[3]

ونرى ما ذكره المفسرون قريبًا في الدلالة وأن أقرب ما يكون إلى المعنى هنا هو أنه لا تفتح لهم الملائكة أبواب السماء فلا يُقبل دعاؤهم ولا أعمالهم فتكون النهاية جهنم وبئس القرار.

(٩) وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ﴾[4].

---

[1] الفراء: معاني القرآن، جـ١ ص ٣٨٩. والآية رقم ٧ سورة المطففين.

[2] ابن مجاهد: السبعة ص ٢٨٠.

[3] الشوكاني: فتح القدير، جـ٢، ص ٢٩٠.

[4] من الآية ٣٥ سورة التوبة.

جاء التركيب (يوم يُحمى عليها في جهنم) مبنيًا للمفعول ولكن نائب الفاعل هو شبه الجملة، وسوف تأتي إليه إن شاء الله في إبانه. أما التركيب (فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم) فجاء مبنيًا للمفعول، وكانت (الجباه) مفعولاً به فحُوِّلت إلى نائب فاعل. وفي دلالة التركيب تساءل "فخر الدين الرازي": لِمَ خُصَّتْ هذه الأعضاء بالكيّ؟

قال: «الجواب لوجوه. الوجه الأول: إن المقصود من كسب الأموال حصول فرح في القلب يظهر أثره في الوجوه، وحصول شبع ينتفخ بسببه الجنبان، ولبس ثياب فاخرة يطرحونها على ظهورهم؛ فلما طلبوا تزيين هذه الأعضاء الثلاثة لا جرم حصل الكيُّ على الجباه والجنوب والظهور. الوجه الثاني: إن هذا الأعضاء الثلاثة مجوّفة، قد حصل في داخلها آلات ضعيفة يعظم تألّمها بسبب وصول أدنى أثر إليها بخلاف سائر الأعضاء.الوجه الثالث،قال أبو البكر الورّاق:خصّت هذه المواضع بالذكر لأن صاحب المال إذا رأى الفقير بجنبه تباعد عنه وولى ظهره عنه»[1]

وقال الإمام القرطبي: «والكيّ في الوجه أشهر وأشنع، وفي الجنب والظهر آلم وأوجع؛ فلذلك خصّها بالذكر من بين سائر الأعضاء.

وقال علماء الظاهر: إنما خصّ هذه الأعضاء لأن الغني إذا رأى الفقير زوى ما بين عينيه وقبض وجهه، وإذا سأله طوى كَشْحَه، وإذا زاده في السؤال وأكثر عليه ولّاه ظهره؛ فرتب الله العقوبة على حال المعصية»[2].

(١٠) وفي قوله تعالى : ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾[3].

---

[1] الإمام فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، جـ٧ ص ٦٥٠.

[2] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، جـ٨ ص ٢٩.

[3] من الآية ١١ سورة يونس.

جاء التركيب (لَقُضِيَ إليهم أجلُهُم) مبنيًا للمفعول وحلّ المفعول (أجل) محل الفاعل في التركيب. وقرأ ابن عامر وحده (قَضى) بفتح القاف و(أجلهم) بالنصب»[1].

وقال ابن خالويه في الحجة: «(لَقُضِيَ إليهم أجَلُهم) يقرأ بضم القاف والرفع، وبفتحها والنصب، والحجة لمن ضم القاف أنه بنى الفعل لما لم يسم فاعله فرفع به المفعول به، والحجة لمن فتح القاف أنه أتى بالفعل على بناء ما سمى فاعله، وأضمر الفاعل فيه ونصب المفعول بتعدى الفعل إليه»[2].

وفي إثبات صيغة المبنى للمفعول جرى على سنن الكبرياء مع الإيذان بتعيين الفاعل[3].

(١١) وفي قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ﴾[4].

جاء التركيب (مجموع له الناس) مبنيًا للمفعول فقد عمل اسم المفعول (مجموع) عمل الفعل المبنى للمجهول (جُمِعَ) وحلّ المفعول (الناس) محل الفاعل ليصير نائبًا للفاعل. وبذلك يكون (ذلك) في محل رفع مبتدأ و(يوم) خبره، و(مجموع) صفة لـ(يوم) والناس مرفوع بمجموع نائب فاعل.[5]

وأما قول ابن عطية بأن (الناس) مبتدأ مؤخر و(مجموع) خبر مقدم فرأى ضعيف لا يتساوق مع المعنى القرآني العظيم[6]؛ وذلك لأن الحق تعالى قال (مجموع) فأفرد، ولو كان خبرًا مقدمًا لكان التركيب (ذلك يوم مجموعون له الناس) وهذا

---

[1] ابن مجاهد: السبعة، ص ٣٢٣.

[2] ابن خالويه: الحجة في القراءات السبعة، ص ٣٢٣.

[3] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٢، ص ٤٧٢.

[4] من الآية ١٠٣ سورة هود.

[5] العكبري: التبيان في إعراب القرآن، جـ٢، ص ٤٥١.

[6] أبو السعود، تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٦٨

لا يتناسب مع النظم القرآني الفريد.

(١٢) وفي قوله تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾[1] .

أتت التراكيب (سُيِّرت به الجبال - قُطِّعت به الارض - كُلِّم به الموتى) مبنية للمفعول، وحل المفعول به (الجبال - الأرض - الموتى) محل الفاعل ليصير نائبًا للفاعل. ونلاحظ في هذه الآية القرآنية العظيمة أن جواب لو مقدَّر في أقوى الآراء، وأن التركيب الثالث (كُلِّم به الموتى) لم يقترن فعله بتاء التأنيث رغم أن التركيبين السابقين بهما تاء التأنيث؛ وذلك يحتاج إلى بيان:

قال الفرّاء رأس الكوفة: «و لم يأت بعده جواب لـ(لو)، فإن شئت جعلت جوابها متقدمًا: وهم يكفرون ولو أنزلنا عليهم الذى سألوا. وإن شئت كان جوابه متروكًا لأن أمره معلوم والعرب تحذف جواب الشيء إذا كان معلومًا؛ إرادة الإيجاز، كما قال الشاعر:

وأقسم لو شيء أتانا رسولُه سواك ولكن لم نجد لك مَدْفعا[2] »

وقال العكبرى: «جواب لو محذوف، أى لكان هذا القرآن. وقال الفراء: جوابه مقدم عليه أى وهم يكفرون بالرحمن، ولو أن قرآنًا على المبالغة (أو كُلِّم به الموتى) الوجه في حذف التاء من هذا الفعل مع إثباتها في الفعلين قبله أن (الموتى) يشتمل على المذكر الحقيقي والتغليب له فكان حذف التاء أحسن، والجبال والأرض ليسا كذلك»[3] .

---

[1] من الآية ٣١ سورة الرعد.

[2] الفراء: معاني القرآن، حـ٢، ص ٦٣.

[3] العكبرى: إملاء ما منّ به الرحمن، حـ٢، ص ٦٤.

وقال القرطبي: «والجواب محذوف تقديره: لكان هذا القرآن؛ لكن حذف إيجازًا لما في ظاهر الكلام من الدلالة عليه، كما قال امرؤ القيس:

فلو أنها نَفْسٌ تَمُوتُ جميعةً ولكنها نَفْسٌ تساقط أنفُسَا

يعني لهان عليّ. هذا معنى قول قتادة.

قال: لو فعل هذا قرآن قبل قرآنكم لفعله قرآنكم.

وقيل الجواب متقدم، وفي الكلام تقديم وتأخير، أي وهم يكفرون بالرحمن لو أنزلنا القرآن وفعلنا بهم ما اقترحوا.

الفراء: يجوز أن يكون الجواب (لو فعل بهم هذا لكفروا بالرحمن)

الزجّاج: (ولو أن قرآنًا) إلى قوله (الموتى) لما آمنوا، والجواب المضمر هنا مما أظهر في قوله: ولو أننا أنزلنا إليهم الملائكة إلى قوله: ما كانوا ليؤمنوا إلا أن يشاء الله»[1].

ونلاحظ أن العكبري والقرطبي ذكرا رأيًا واحدًا للفرّاء مع أنه ذكر وجهين للجواب (محذوف أو مقدم)، ونلاحظ أنه رجّح أن يكون الجواب محذوفًا مثل السماع عن العرب وهذا من تدليس الشيخين على الفرّاء.

وقال أبو السعود في دلالة هذا التراكيب القرآنية: «ولو أن قرآنًا: أي قرآنًا ما، وهو اسم إنَّ والخبر قوله تعالى: (سيرت به الجبال) وجواب لو محذوف لانسياق الكلام إليه بحيث يتلقفه السامع من التالي، والمقصود إما بيان عظم شأن القرآن العظيم وفساد رأي الكفرة حيث لم يقدروا قدرة العليّ ولم يعدّوه من قبل الآيات فاقترحوا غيره مما أوتي موسى وعيسى عليهما السلام، وأما بيان غلوهم في المكابرة والعناد وتماديهم في الضلال والفساد فالمعنى على الأول: لو أن قرآنًا سُيِّرت به الجبال، أي بإنزاله وتلاوته عليها، وزعزعت عن مقارِّها، كما فعل ذلك بالطور

---

[1] القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، جـ٩، ص ٦٨٩.

لموسى عليه السلام. (أو قطعت به الأرض) أى شُقِّقَت وجعلت أنهارًا وعيونًا كما فعلت بالحجر حين ضربه عليه السلام بعصاه أو جُعِلَتْ قِطَعًا متصدعة. (أو كُلِّم به الموتى) أى بعد أن أحيا بقراءته عليها كما أُحْيِيَتْ لعيسى عليه السلام؛ لكان هذا القرآن لكونه الغاية القصوى فى الانطواء على عجائب آثار قدرة الله تعالى وهيبته عز وجل كقوله تعالى : ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾[1] ، لا فى الإعجاز إذ لا مدخل له فى هذه الآثار ولا فى التذكير والإنذار والتخويف؛ لاختصاصها بالعقلاء مع أنه لا علاقة لها بتكليم الموتى واعتبار فيض العقول إليها بالمبالغة المقصودة وتقديم المجرور فى المواضع الثلاثة على المرفوع لما مَرَّ غير مرة من قصد الإبهام ثم التفسير لزيادة التكرير لأن بتقديم ما حقه التأخير تبقى النفس مستشرفة مترقبة إلى المؤخر أنه ماذا؟ فيتمكن عند وروده عليها فضل تمكن، وكلمة (أو) فى الموضعين لمنع الخلو لا لمنع الجمع. واقتراحهم، وإن كان متعلقًا بمجرد ظهور مثل هذه الأفاعيل العجيبة على يده عليه السلام لا بظهورها بواسطة القرآن لكان ذلك حيث كان مبنيًا على عدم اشتماله فى زعمهم على الخوارق نيط ظهورها به مبالغة فى بيان اشتماله عليها، وأنه حقيق أن يكون مصدر الكل خارق، وإبانة لركاكة رأيهم فى شأنه الرفيع كأنه قيل لو أنَّ ظهور ما افترضوه من مقتضيات الحكمة لكان مظهرها هذا القرآن الذى لم يَعُدُّوه آية وفيه من تفخيم شأنه العزيز ووصفهم بركاكة العقل ما لا يخفى»[2] .

(١٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[3] .

---

[1] من الآية ٢١ سورة الحشر.

[2] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٦٥.

[3] من الآية ٦ سورة الحجر.

وفي قوله تعالى : ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾[1] .

أتى التركيبان (نُزِّل عليه الذِّكْرُ) (أأُنزِلَ عليه الذِكْرُ) مبنيان للمفعول، وقام المفعول به في الأصل (الذكر) مقام الفعل، وتقدم الجار والمجرور عليه، ونلاحظ أن التركيب الأول جاء فيه الفعل بزيادة التضعيف؛ أما في التركيب الثاني فتقدم عليه همزة الاستفهام وجاء مزيدًا بالهمزة. وفي دلالة التركيبين وسبب تقديم الجار والمجرور على نائب الفاعل قال أبو السعود: «عن التركيب الأول: القائلون مشركو مكة، خاطبوا به رسول الله صلى الله عليه وسلم، لا تسليمًا لذلك واعتقادًا له بل استهزاء به عليه الصلاة والسلام، وإشعارًا بعلة حكمهم بالباطل في قولهم (إنك لمجنون) كدأب فرعون إذ قال: إن رسولكم الذى أرسل إليكم لمجنون. يعنون أنك تدعى مثل هذا الأمر البديع الخارق للعادة، إنك بسبب تلك الدعوى أو بشهادة ما يعتريك عندما تدّعى أنه ينزل عليك لمجنون وتقديم الجار والمجرور على القائم مقام الفاعل لأن إنكارهم متوجه إلى كون النازل ذكرًا من الله تعالى لا إلى كون المنزل عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد تسليم كون النازل منه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] ؛ فإن الإنكار هناك متوجه إلى كون المنزَّل عليه رسول الله تعالى وإيراد الفعل على صيغة المجهول لإيهام أن ذلك ليس بفعل له فاعل أو لتوجيه الإنكار إلى كون التنزيل عليه لا إلى استناده إلى الفاعل[3] .

وفي التركيب الثاني: ﴿أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ﴾[4] .

---

[1] من الآية ٨، سورة ص.

[2] من الآية ٣١ سورة الزخرف.

[3] أبو السعود: تفسير أبو السعود ،مجلد ٣، ص ٢١٥.

[4] من الآية ٨ سورة ص.

قال الفـراء: «وهـي فـي قـراءة عبـد الله (أم أنـزل عليـه الذكـر) وهـذا ممـا وصفت لك في صدر الكتاب أن الاستفهام إذا توسط الكلام ابتدئ بالألف والـلام، وإذا لم يسبقه كلام لم يكن إلا بالألف وبهل»[1] .

وقال أبو السعود: «أأنزل عليه الذكر: أي القرآن من بيننا ونحن رؤساء الناس وأشرافهم كقولهم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾[2] ، ومرادهم إنكار كونه ذكرًا منزلاً من عند الله تعالى، وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد وقصر النظر على الحطام الدنيوي[3] ».

(١٤) وفي قوله تعالى : ﴿يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾.[4]

أتى التركيب (يُضاعَف لها العذابُ ضِعْفَيْنِ) مبنيًا للمفعول، وحل العذاب (المفعول به) محل الفاعل ومقدم عليه الجار والمجرور.

ونلاحظ أن الحق تعالى قال في التي تليها: ﴿ نُّؤْتِهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾[5] ، في مقابل قوله تعالى (يُضاعَف لها العذابُ ضِعْفَيْنِ) فعند إيتاء الأجر ذكر المؤتي وهو الحق تعالى، وعند العذاب لم يصرح بالمُعَذِّب؛ فقال تعالى (يُضاعَف).

قال "الرازي" : «لم يصرح بالمُعَذِّب إشارة إلى كمال الرحمة والكلام، كما أن الكريم الحي عند النفع يُظْهِر نفسه وفعله وعند الضر لا يذكر نفسه»[6] .

---

[1] الفراء: معاني القرآن، حـ٢، ص ٣٩٩.

[2] من الآية ٣١ سورة الزخرف.

[3] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٢٩.

[4] من الآية ٣٠ سورة الأحزاب.

[5] من الآية ٣١ سورة الأحزاب.

[6] الإمام فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، حـ١٢، ص ٥٩١.

وقال الألوسي: «وكأنه والله تعالى أعلم إنما قيل نؤتهـا أجرهـا مرتـين دون أن يضاعف لها الأجر كما قيل في المقابل (يُضاعَفْ لها العذابُ ضِعْفَيْـنِ) لأن أصـل تضعيف الأجر ليس من خواصهن بل كل من عمل صالحًا مـن النسـاء والرجـال مـن هذه الأمة يضاعف أجره؛ فأخرج الكلام مغايرًا لما تقتضيه المقابلة رمـزًا إلى تضعيـف الأجر على طراز مغاير لطرز تضعيف العذاب مع تضمين الكلام المذكور الإشارة إلى الرحمة على جانب الغضب، وكفى بالتصريح بفاعل إيتاء الأجر وجعله ضمير العظمة والتعبير عما يؤتون من النعيم بالأجر مع إضافته إلى ضمير هن مع خلو جملة تضعيف العذاب عن مثل ذلك شهداء على ما ذكر»[1].

وقد قرئ الفعل (يُضاعَف) بقراءات في السبعة تختلف فيها الدلالة.

قال ابن خالويه في الحجة: «يضاعف لها العذاب، يُقرأ بتشديد العين وفتحها (يُضَعَّف) ويُضاعَف بالياء والنون، وإثبات الألف والتخفيف، فالحجة لمن قرأه بالياء والتشديد مع الفتح أنه جعله فعل ما لم يسم فاعله ، وحذف الألف لقولـه (ضعفين) ودليله قول العرب: ضَعَّفْتُ لكَ الدِرْهَمَ مِثْلَيْـه. والحجة لمن قرأه بـالنون والتشديد وكسر العين أنه جعله فعلاً أخبر بـه عـن الله تعالى كإخبـاره عـن نفسه، ونصب العذاب بوقوع الفعل عليه، أنه أخذه من ضوعف يضاعف، وهو فعـل مـا لم يُسمَّ فاعله. والحجة لمن قرأه بالنون وإثبات الألف مع التخفيف أنه جعله من إخبـار الله تعالى عن نفسه»[2].

أما من قرأ بهذه القراءات: «قرأ أبو عمرو (نُضاعِفْ) بالنون المضمومة ونصب العذاب، وهذه قراءة ابن محيصن وهـذه مفاعلة من واحد كطارقت النعل وعاقبت اللص. وقرأ نافع وحمزة والكسائي: (يُضاعَفْ) بالياء وفتح العين، والعذاب

---

(١) الألوسي: روح المعاني، جـ٢٢، ص ٧.

(٢) ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص ٢٨٩- ٢٩٠.

رفعًا، وهى قراءة الحسن وابن كثير وعيسى، وقرأ ابن كثير وابن عامر (نُضَعِّفْ) بالنون وكسر العين المشددة والعذاب نصبًا»[١].

وقد اختلف في دلالة تضعيف العذاب أهو فى الدنيا أم فى الآخرة، وأقوى الآراء أنه فى الآخرة.

ال القرطبى: «قال مقاتل : هذا التضعيف في العذاب إنما هو فى الآخرة لأن إيتاء لأجر مرتين أيضًا فى الآخرة، وهذا حَسَنٌ لأن نساء النبى صلى الله عليه وسلم لا يأتين بفاحشة توجب حَدًّا. وقال بعض المفسرين: العذاب الذى يوعدن به (ضعفين) هو عذاب الدنيا وعذاب الآخرة فكذلك الأجر. قال ابن عطية: وهذا ضعيف؛ اللهم إلا أن يكون أزواج النبى صلى الله عليه وسلم لا تُرفع عنهن حدودُ الدنيا عذابَ الآخرة على ما هو حال الناس عليه بحكم حديث عُبادة بن الصامت وهذا أمر لم يرد فى أزواج النبى صلى الله عليه وسلم ولا حفظ تقرره. وأهل التفسير على أن الرزق الكريم الجنة، ذكره النحاس»[٢].

(١٥) وفى قوله تعالى: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الأَبْوَابُ﴾[٣].

أتى التركيب (مفتحة لهم الابواب) مبنيًا للمفعول وعمل اسم المفعول (مفتّحة) عمل الفعل المبنى للمفعول (فُتّح) وقام (الأبواب) مقام الفاعل وأصله مفعول به.

قال الفراء: «ترفع الأبواب لأن المعنى: مفتّحة لهم أبوابها. والعرب تجعل الألف واللام خلفًا من الإضافة فيقولون: مررت على رجل حسنةٍ العينُ قبيحِ الأنفُ، والمعنى حسنةٍ عينه قبيحٍ أنفه.

---

[١] القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، حـ١، ص ٣٥٣.

[٢] المصدر نفسه، حـ١، ص ٢٥٣.

[٣] الآية ٥٠ سورة ص.

ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[1].

فالمعنى والله أعلم: مأواه. ومثله قول الشاعر:

ما وَلَدَتْكُمْ حيَّةُ بنةُ مالك سفاحًا وما كانت أحاديثُ كاذبِ

ولكن ترى أقدامنا في نعالكم وآنفنا بين اللحى والحواجب

ومعناه: نرى آنفنا بين لحاكم وحواجبكم في الشبه.

ولو قال: مفتحة لهم الأبوابَ، بنصب الأبواب على أن تجعل المفتحة في اللفظ للجنات وفي المعنى للأبواب، فيكون مثل قول الشاعر:

وما قومي بثعلبة بن سعد ولا بفزارة الشُّعر الرقابا

ويروى والشعْرى رقابا

وقال عديّ:

من وليٍّ أو أخي ثقة والبعيد الشاحط الدارا

وكذلك تجعل معنى الأبواب في نصبها كأنك أردت مفتحةِ الأبوابِ ثم نوّنت فنصبت»[2].

وقال العكبري: «(مفتّحة) حال من جنات في قول من جعلها معرفة لإضافتها إلى عدن وهو علم، كما قالوا جنة الخلد وجنة المأوى، وقال آخرون هي نكرة: والمعنى جنات إقامة؛ فتكون (مفتّحة) وصفًا. وأما ارتفاع الأبواب ففيه ثلاثة أوجه:

أحدها: هو (نائب فاعل) لمفتّحة، والعائد محذوف أي مفتّحة لهم الأبواب

---

[1] الآية ٣٩ سورة النازعات.

[2] الفراء: معاني القرآن، جـ٢، ص ٤٠٨.

منها. والثاني: هي بدل من الضمير في مفتّحة وهو ضمير الجنات، والأبواب غير أجنبي منها لأنها من الجنة؛ تقول فتحت الجنة وأنت تريد أبوابها، ومنه قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾[1] . والثالث كالأول إلا أن الألف واللام عوض من الهاء العائدة، وهو قول الكوفيين وفيه بُعد»[2] .

وقال "الرازى" فى دلالة هذا التركيب: «فى قوله تعالى (مفتحة لهم الأبواب) وجوه؛ الأول: أن يكون المعنى أن الملائكة الموكَّلين بالجنان إذا رأو صاحب الجنة فتحوا له أبوابها وحيّوه بالسلام، فيدخل كذلك محفوفًا بالملائكة على أعز حال وأجمل هيئة. الثاني: أن تلك الأبواب كلما أرادوا انفتاحها انفتحت لهم، وكلما أرادوا انغلاقها انغلقت لهم. الثالث: المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة ومسافرة العيون فيها، ومشاهدة الأحوال اللذيذة الطيبة»[3]

---

[1] الآية ١٩ سورة النبأ.

[2] العكبرى: إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ٢١٠.

[3] فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٣٤٩.

الفصل الثالث

المبنى للمجهول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر

المبنى للمجهول ونائب الفاعل مصدر ظاهر أو مقدر

أتى المصدر اسمًا ظاهرًا نائبًا للفاعل أو مفعولاً لما لم يسم فاعله في مواضع قليلة في القرآن العظيم ولكنه أتى مقدرًا في مواضع كثيرة وقد اختلف النحويون في ذلك ويرجع سبب الاختلاف بين البصريين والكوفيين بصفة خاصة إلى هل يجوز أن تقع الجملة نائبًا للفاعل ؟ قال البصريون لا يجوز وأجاز ذلك الكوفيون ومَنْ تابعهم وقد فَصَّلْنا ذلك في التمهيد.

أما المصدر الظاهر فقد أتى بصورة لا تقدير فيها مرة واحدة في القرآن العظيم في قوله تعالى :﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1] فقد أتى المصدر المبين لعدده نفخة نائبًا للفاعل و لم يحل الجار والمجرور محل الفاعل لأن المعنى يتناسب مع المصدر لكي يحل محل الفاعل ولكن نلاحظ أن "أبا السماك" قرأ بنصب (نفخة) على أن الجار والمجرور نائب للفاعل وبه قال "الزجاج"[2]. وجاء المصدر مقدرًا ولكن دلت عليه صفته في قوله تعالى :﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾[3] وتقدير التركيب ثم نُفِخَ فيه نَفْخَةٌ أخرى وقد حَسُنَ الحذف لدلالة أخرى عليه ولكونها معلومة ولأن قبله ﴿فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ﴾[4] وقد أتى المصدر مقدرًا بالمعنى أو بالتضمين في آية واحدة في سورة البقرة وجاء مقدرًا مضمرًا في آيات كثيرة بعد (قيل) و(حيل) ولكن اختلف النحويون في نائب الفاعل في هذه الآيات الكريمة وفي ذلك بيان.

---

[1] الآية ١٣ سورة الحاقة.

[2] انظر الشوكاني، فتح القدير، جـ٥، صـ ٤٠٠.

[3] من الآية ٦٨ سورة الزُمَر.

[4] من الآية ٦٨ سورة الزُمَر.

(١) قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ﴾[(١)].

أتى الفعل (عُفِيَ) مبنى للمفعول وقد اختلف فى كلمة (شىءٌ) هل هو مفعول به حل محل الفاعل أو مصدر حل محل الفاعل بمعنى عَفوٌ يسيرٌ وفى ذلك بيان.

قال "الزمخشرى": قوله تعالى: (فَمَنْ عُفِيَ له من أخيه شيءٌ ..) فإن قلت: إنَّ عفا يتعدى بعن لا باللام فما وجه قوله فمن عُفى له قلت: يتعدى بعَنْ إلى "الجانى" وإلى الذنب فيقال: عفوت عن فلان وعن ذنبه قال الله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنكَ﴾[(٢)] وقال تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْهَا﴾[(٣)] فإذا تعدَّى إلى الذنب و"الجانى" معًا قيل عفوت لفلان عما جَنى كما تقول:عفوت له عن ذنبه، وتجاوزت له عنه وعلى هذا ما فى الآية الكريمة: كأنه قيل: فمن عُفِى له عن جنايته، فاستغنى عن ذكر الجناية فإن قلت لم قيل: شيءٌ من العفو ؟ قلت للإشعار بأنه إذا عُفِيَ له طرف من العفو، وبعض منه، بأن يُعفى عن بعض الدم، أو عفا عنه بعض الورثة، تم العفو وسقط القصاص و لم يَجب الديَّة[(٤)].

وقال العكبرى: (من أخيه) (مِنْ) كنايةٌ عن ولى القاتل: أى من جعل له من دم أخيه وهو القصاص أو الديَّة (شيء) كناية عن ذلك المستحق وقيل (من) كناية عن القاتل والمعنى إذا عُفِيَ عن القاتل فَقُبِلَتْ منه الدية وقيل شَيءٌ بمعنى المصدر أى

---

(١) من الآية ١٧٨ سورة البقرة.

(٢) من الآية ٤٣ سورة التوبة.

(٣) من الآية ١٠١ سورة المائدة.

(٤) الزمخشرى: نكت الإعراب فى غريب القرآن فى القرآن الكريم تقديم وتحقيق د. محمد أبو الفتوح شريف، صـ ١٠٠، وانظر الزمخشرى أيضا فى الكشاف، جـ١، صـ ٣٣٢ وانظر أبو حيان الأندلسى فى البحر المحيط، جـ٢، صـ ١٢ والامام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ٣، صـ ٣٤.

من عُفِي له من أخيه عفو كما قال تعالى: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[1] أى ضيرًا[2].

وقال "أبو السعود" أى شيء من العفو لأن عفا لازم وفائدته الإشعار بأن بعض العفو بمنزلة كله في إسقاط القصاص وهو الواقع أيضًا فى العادة إذ كثيرًا ما يقع العفو من بعض الأولياء فهو بشيء من العفو وقيل معنى عفا ترك وشيء مفعول به وهو ضعيف إذ لم يثبت عفاه بمعنى تركه بل أعفاه وحمل العفو على المحو في قول من قال:

ديار عفاها جور كل معاند وتولّى

عفاها كل حنّانٍ كثير الوَبْل هطّال

فيكون المعنى فمن محاله من أخيه شيء صرف للعبارة المتداولة فى الكتاب والسنة عن معناها المشهور المعهود إلى ما ليس بمعهود فيهما وفى استعمال الناس فإنهم لا يستعملون العفو في باب الجنايات إلا فيما ذكر من قبل[3].

«وقد ذهب "ابن هشام" إلى أنَّ (شيء) هنا مصدر قال والتقدير والله أعلم فأى شخص من القاتل عُفِي له عَفْوٌ ما من جهة أخيه»[4].

إذن نحن هنا أمام رَأْيَيْنِ رأى يقول بأن (شيء) أصله مفعول به وهو ضعيف كما رأينا ورأى يقول (شيء) هنا بمعنى عفو يسير وهو أقرب إلى سياق الموقف فى الآية الكريمة.

١ – أما المصادر التى أتت مقدرة فى رأى بعض النحويين (بعد قيل – وحيل) فقد أتت فى مَظَانّ كثيرة فى القرآن العظيم وهذا بيان لنماذج عديدة منها :

---

(١) من الآية ١٢٠ سورة آل عمران.

(٢) أنظر العكبرى في إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، صـ ٧٨.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، جـ١، صـ ٢٣١.

(٤) ابن هشام: شرح شذور الذهب، صـ ١٦٠.

منها قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾[1] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾[2] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ ﴾[3].

وإذا أخذنا تركيبا من هذه التراكيب التى ابتدأت بـ (قيل) ومنها مثلا التركيب الأول وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض نجد أن الفعل (قيل) قُـرِئ بكسر القاف وضمها والإشمام قال "أبو علـى الفارسى" : «اختلفوا فى ضم أوائل هـذه الحروف وأخواتها، وكسرها، فقرأ "الكسائى" قُيل، وغُيض وسُيْئ، وحُيل، وسُيق، وجُيء، بضم أول ذلك كله».

وكان "نافع" يضم من ذلك حرفين، سيء، وسيئت، ويكسر ما بقى، وكان "ابن عامر" يضم أول سيق وسيء وسيئت وحيل، ويكسر غيض وجيء فى كل القرآن الغين والجيم، والقاف هذه رواية "ابن ذكوان" (م ٢٤٢هـ) عنه.

«وكان "ابن كثير" وعاصم وأبو عمرو وحمزة يكسرون أوائل هذه الحروف»[4].

«وقال ابن خالويه عن قوله تعالى: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا فى الأرض) يُقْرأُ وما شاكله من الأفعال بالكسر، وبإشمام أوله الضم فالحجة لمن كسر أوله أنه استثقل الكسر على الواو التى كانت عين الفعل فى الأصل، فنقلها إلى فاء الفعل

---

[1] من الآية ١١ سورة البقرة.

[2] من الآية ١٣ سورة البقرة.

[3] من الآية ٩١ سورة البقرة.

[4] أبو على الفارسى. الحجة فى علل القراءات السبع، جـ١، صـ ٢٦٣.

بعد أن أزال حركة الفاء، فانقلبت الواو لانكسار ما قبلها كما قالوا ميزان وميعاد فمن ضَمَّ فالحجة له؛ أنه بقي على فعل ما لم يسم فاعله، دليلا في الضم، لئلا يزول بناؤه. وقد قرأ بعض القراء ذلك بكسر بعض، وضَمِّ بعض فالحجَّةُ له في ذلك ما قَدَّمناه، من إثباته باللغتين معًا»[1].

«وكان "الفراء" يقول : أهل الحجاز من قريش ومن جاورهم من بني كنانة يكسرون الفاء في قيل وجيء وغيض وكثير من عُقَيْلٍ ومن جاورهم وعامّة أسد يشمون إلى الضم من قيل وجيء»[2].

وقال "السمين الحلبي" في الآراء عن نائب الفاعل هنا (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) اللام للتبليغ والقائم مقام الفاعل هو الجملة من قوله (لا تفسدوا) (لأنه هو المفعول في المعنى).

واختاره "الزمخشري" في الكشاف[3].

والتقدير: وإذا قيل لهم هذا الكلام أو هذا اللفظ فهو مِنْ باب الإسناد اللفظي.

وقيل القائم مقام الفاعل مضمر تقديره وإذا قيل لهم قول هو، ويفسر هذا المضمر سياق الكلام كما فسره في قوله تعالى ﴿حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾[4] والشاهد فيه إضمار توارت وهو الشمس لدلالة الحال والمعنى وإذا قيل لهم قول سديد فأضمر هذا القول الموصوف، وجاءت الجملة بعده مفسرة فلا موضع لها من الأعراب.

---

(١) ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، صـ ٦٩.

(٢) أبو الفرج بن الجوزي: زاد المسير في علم التفسير، جـ١، صـ ٣١.

(٣) الزمخشري: الكشاف، جـ١، صـ ١٨١.

(٤) من الآية ٣٢ سورة ص.

«قال "أبو حيان الأندلسي": فإذا أمكن الإسناد المعنوي لم (يُعْدَل) إلى اللفظي، وقد أمكن ذلك في ما تقدم»[1].

«وقد سبقه إلى ذلك "أبو البقاء" (أي العكبري) فقد قال في الإملاء: المفعول القائم مقام الفاعل مصدر وهو القول وأضمر لأن الجملة بعده تفسّره والتقدير وإذا قيل لهم قول هو لا تفسدوا ولا يجوز أن يكون (لا تفسدوا) قائما مقام الفاعل لأن الجملة لا تكون فاعلة فلا تقوم مقام الفاعل»[2].

«ولا يجوز أن تكون لهم قائمًا مقام الفاعل إلا في رأي الكوفيين والأخفش، إذ يجوز عندهم إقامة غير المفعول به مع وجوده وتلخّص من هذا أن جملة (لا تفسدوا) في محل رفع على قول "الزمخشري" ولا محل لها على قول "أبي البقاء" ومن تبعه»[3].

«أما "أبو السعود" فيقول: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض) اللام للتبليغ والقائم مقام الفاعل جملة لاتفسدوا على أن المراد بها اللفظ وقيل هو مضمر يفسره المذكور يعود إلى الكفار»[4].

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ﴾[5].

«قال "أبو السعود": (وإذ قيل لهم) إيراد الفعل على البناء للمفعول مع إسناده إليه تعالى كما يفصح عنه ما وقع في سورة البقرة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ﴾[6] للجري على سنن الكبرياء والإيذان بالغنى عن التصريح

---

[1] أبو حيان الأندلسي: البحر المحيط، جـ١، صـ ٦٤

[2] أبو البقاء العكبري: إملاء ما مَنّ به الرحمن، جـ١، صـ ١٨.

[3] السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، جـ١، صـ ١٣٤ - ١٣٦.

[4] أبو السعود: تفسير أبو السعود، جـ١، صـ ٥٢.

[5] من الآية ١٦١ سورة الأعراف.

[6] من الآية ٣٤ سورة البقرة

به لتعين الفاعل وتغيير النظم بالأمر بالذكر للتشديد في التوبيخ»[١].

أما الآية الكريمة التي أفاض اللغويون والمفسرون والبلاغيون في وجوه الإعجاز فيها فهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾[٢] أتى في هذه الآية الكريمة تراكيب مبنية للمجهول هي (قيل) مرتان وغيض وقد حل المفعول به (الماء) محل الفاعل وكان نائب الفاعل اسمًا ظاهرًا (وقُضي الأمر) وكان المفعول به (الأمر) قد حل محل الفاعل وكان اسمًا ظاهرًا.

«أما ما يهمنا هنا فهو التركيب (قيل) أين نائب الفاعل أما (قيل الأولى) فقيل إنّ نائب الفاعل هو جملة (يا أرض ابلعي ماءك) وهذا رأي الكوفيين الذين يرون أنَّ نائب الفاعل يجوز أن يكون جملة وقيل القائم مقام الفاعل مقدر، والنداء مفسر له أي قيل قول وهكذا في التركيب الثاني (وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين)[٣] أما وجوه الاعجاز والدلالة في هذه التراكيب فقد أفاض فيها البلاغيون والمفسرون وقالوا إن هذه الآية الكريمة قد بلغت من مراتب الاعجاز أقاصيها واستدلت مصاقع العرب فسفعت بنواصيها وجمعت من المحاسن ما يضيق عنه نطاق البيان وكانت من سمهري البلاغة مكان السنان»[٤].

«وقال الإمام فخر الدين الرازي: واعلم أن هذه الآية مشتملة على ألفاظ كثيرة كل واحد منها دال على عظمة الله تعالى وعلو كبريائه فأولها قوله تعالى:

---

[١] أبو السعود: تفسير أبو السعود، المجلد الثاني، صـ ٣٠٨.

[٢] الآية ٤٤ سورة هود.

[٣] انظر في تفصيل الآراء العكبري في التبيان في إعراب القرآن، جـ٢، صـ ٣٩، ٤٠ ،ومكي بن أبي طالب في مشكل إعراب القرآن، جـ٢، صـ ١٢٠.

[٤] الألوسي: روح المعاني، جـ١٢، صـ ٦٣.

(وقيل) وذلك لأن هذا يدل على أنه سبحانه فى الجلال والعلو والعظمة، بحيث إنه متى قيل قيل لم ينصرف الفعل إلا إليه، و لم يتوجه الفكر إلا أن ذلك القائل هو هو وهذا تنبيه من هذا الوجه على أنه تقرر فى العقول أنه لا حاكم فى العالمين ولا متصرف فى العالم العلوى والعالم السفلى إلا هو وأما قوله تعالى: (وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين) فقيه وجهان:

الوجه الأول: أنه من كلام الله تعالى قال لهم ذلك على سبيل اللعن والطرد.

الوجه الثاني: أن يكون ذلك من كلام نوحٍ عليه السلام وأصحابه لأنّ الغالب ممن يسلم من الأمر الهائل بسبب قوم من الظلمة فإذا أهلكوا ونَجّاه منْهُم قال مثل هذا الكلام ولأنه جارٍ مجرى الدعاء عليهم فجعله من كلام البشر أليق[١].

وقال "ابن قيم الجوزية" فى الفوائد المشوِّقة إلى علوم القرآن فى قسم (حسن النسق) عن هذه الآية الكريمة

«وفى قوله تعالى: (وقيل يا أرض) إلى قوله تعالى : (بعدًا للقوم الظالمين) فأنت ترى هذه الجمل معطوفًا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذى تقتضيه البلاغة لأنه سبحانه بدأ بالأهم إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها ولا يتهيأ ذلك إلا بإنكشاف الماء عن الأرض فلذلك بدأ بالأرض فأمرها بالإقلاع ثم علم سبحانه أنّ الأرض إذا ابتلعت ما عليها و لم تنقطع مادة السماء تأذّى بذلك أهل السفينة عند خروجهم منها وربما ينزل من السماء أكثر مما تبتلع الأرض فأمرها بالاقلاع بعد أن أمر الأرض بالابتلاع ثم أخبر بِغَيْض الماء عندما ذهب على ما فى الأرض وانقطعت مادة السماء وذلك يقتضى أن تكون ثالثة الجملتين المتقدمتين ثم قال تعالى: (وقُضِيَ الأَمْرُ) أى هلك من قُدِّر هلاكه ونُجِّيَ من قُضِيَتْ نجاته وهذا

---

[١] فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، جـ٨، صـ ٥٣٩.

كنه الآية وحقيقة المعجزة ولابد أن تكون معلومة لأهل السفينة ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها وخروجهم موقوف على ما تقدم وبذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل وكذلك استواء السفينة على الجودى أى استقرارها على المكان الذى استقرت فيه استقرارًا لا حركة معه لتبقى آثارها عبرة لمن يأتى بعد أهلها وذلك يقتضى أن تكون بعد ما ذكرنا وقوله سبحانه (وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين) وهذا دُعَاءٌ أَوْجَبَ الاحتراس مِمَّنْ يَظُنُّ أنَّ الهلاكَ رُبَّما شَمِلَ من لا يستحق فدعا الله سبحانه وتعالى على الهالكين وسمّاهم ووصفهم بالظلم احتراسًا من هذا الاحتمال وذلك يقتضى أن يكون بعد كل ما تقدَّم والله أعلم فانظر إلى حسن هذا النسق كيف وقع القول فيه وفق الفعل سواء»[1].

أما الخطيب القزوينى فقد أبان وجوه علم البيان والمعانى فى هذه الآية الكريمة من تشبيه واستعارة ومجاز.

«فبيَّن أنَّ الحق تعالى عندما ذكر قصة نوح والطوفان بنى الكلام على تشبيه المراد بالأمر الجزم النافذ فى تكوين المقصود تصورًا لإقتداره تعالى وأنَّ هذه السموات والأرض وهذه الأجرام العظام تابعة لإرادته كأنها عقلاء مميّزون قد عرفوه حَقَّ معرفته وأحاطوا علما بوجوب الانقياد لأمره وتحتم بَذْل المجهود عليهم فى تحصيل مراده ثم بنى على تشبيهه هذا نظم الكلام فقال تعالى (قيل) على سبيل المجاز عن الارادة الواقع بسببها قول القائل قرينة المجاز خطاب الجماد وهو يا أرض ويا سماء»[2].

وأضاف القزوينى فى تحليل التركيب (وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودىّ وقيل بُعْدًا للقوم الظالمين.

---

[1] ابن قيم الجوزية: الفوائد المشوقة إلى علوم القرآن، صـ٢٦٤، ٢٦٥.

[2] الخطيب القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، صـ ١٩١، ١٩٢، وانظر الزمخشرى فى الكشاف، جـ٢، صـ ١٢٠.

قال: فلم يُصرّح بالغائض والقاضى المسوّى والقائل كما لم يُصرح بقائل يا أرض ويا سماء سلوكا فى كل واحد من ذلك سبيل الكفاية أنَّ تلك الأمور العظام لا تتأتىّ إلا من ذى قدرة لا تكتنه قهّار لا يغالب فلا مجال لذهاب الوهم إلى أن يكون الفاعل لشيء من ذلك غيره ثم ختم الكلام بالتعريض لسالكى مسلكهم فى تكذيب الرسل ظلْمًا لأنفسهم ختم إظهار لمكان السخط ولجهة استحقاقهم إياه»[1].

أما قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ﴾[2]

«قال العكبرى: (قيل يا نوح) - يا ونوح فى موضع رفع لوقوعهمماموقع الفاعل وقيل القائم مقام الفاعل مضمر والنداء مفسر له أى قيل قول - وقيل هو يا نوح»[3].

«وقال "الألوسى" فى دلالتها: (قيل يا نوح) هو من الحسن بمكان، وبنى الفعل لما لم يسم فاعله لظهور أن القائل هو الله تعالى وقيل القائل الملائكة عليهم السلام»[4].

أما قوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي﴾[5]

أتى الفعل (قيل) فى هذه الآية الكريمة فى سياق قصة العبد الصالح "حبيب ابن موسى النجّار" الذى آمن بالحق تعالى ولكن قومه عذّبوه فقتلوه فقيل له أُدْخُلْ الجنة - وقيل بل رفعه الله إلى السماء فهو فى الجنة.

---

[1] الخطيب القزوينى: الإيضاح فى علوم البلاغة، صـ ١٩١، وانظر الجرجانى (محمد بن على بن محمد) م ٧٢٩ فى الاشارات والتنبيهات فى علم البلاغة، صـ ٢٥٠.

[2] من الآية ٤٨ سورة هود.

[3] العكبرى: التبيان فى إعراب القرآن، جـ٢، صـ ٤٠.

[4] الألوسى: روح المعانى، جـ١٢، صـ ٧٢.

[5] الآية ٢٦ سورة يس.

«قال "أبو السعود": قيل له ذلك لما قتلوه إكرامًا له بدخولها حينئذ كسائر الشهداء وقيل لما هموا بقتله رفعه الله تعالى إلى الجنة قاله "الحسن" وعن "قتادة" أدخله الله الجنة وهو فيها حَيٌّ يرزق وقيل معناه البشرى بدخول الجنة وأنه من أهلها وإنما لم يقل له لأن الغرض بيان المقول لا المقول له لظهوره وللمبالغة في المسارعة إلى بيانه»[1].

وقال الإمام "فخر الدين الرازي": «قيل أُدْخُلْ الجنّة فيها وجهان:

أحدهما: إنه قتل ثم قيل له ادخل الجنة بَعْدَ القتل.

ثانيهما: قيل ادخل الجنة عقيب قوله آمنت وعلى الأول. فقوله تعالى:(قال يا ليت قومي يعلمون، يكون بعد موته والله أخبر بقوله) وعلى الثاني: قال ذلك في حياته وكأنه سمع الرسل أنه من الداخلين الجنة وقطع به، وعلمه، فقال يا ليت قومي يعلمون كما علمت فيؤمنون كما آمنت، وفي معنى قوله تعالى (قيل) وجهان كما أن في وقت ذلك وجهين:

أحدهما: قيل من القول

الثاني: ادخل الجنة وهذا كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[2] ليس المراد القول في وجه بل هو الفعل أي يفعله في حينه من غير تأخير وتراخ وكذلك قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى﴾[3] في وجه جعل الأرض بالعة ماءها»[4].

---

[1] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، صـ ٣٨٢.

[2] الآية ٨٢ سورة يس.

[3] من الآية ٤٤ سورة هود.

[4] الإمام فخر الدين الرازي: مفاتيح الغيب، جـ١٣، صـ ١٠٨.

وفى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾[1].

«دَلَّ التركيب (قيل) هنا على قول المؤمنين أو الملائكة وأصل التركيب المعلوم وقال الملائكة قولا أو قال المؤمنون قولا فنائب الفاعل عند البصريين هو مصدر مقدر تقديره قيل قول وقال الكوفيّون والأخفش الأوسط نائب الفاعل هنا هو جملة (الحمد لله رب العالمين)، وفى دلالة التركيب قال أبو السعود: (وقيل الحمد لله رب العالمين) أى على ما قضى بيننا بالحق وأنزل كلامنا منزلته التى هى حقه والقائلون هم المؤمنون ممن قضى بينهم الملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم»[2].

وقال القرطبيُ: «قيل إن الذى يقول الحمد لله رب العالمين المؤمنون وقيل من قول الملائكة»[3].

وقال الشوكانى: «القائلون هم المؤمنون حمدوا الله على قضائه بينهم وبين أهل النار بالحق – وقيل: القائلون هم الملائكة حمدوا الله تعالى على عدله فى الحكم وقضائه بين عباده بالحق»[4].

أما الإمام فخر الدين الرازى: فيرى أن الذين يقولون الحمد لله رب العالمين هم الملائكة والمعنى أنهم يقولون التسبيح والمراد منه تنزيه الله عن كل ما لا يليق به قال وقوله تعالى: وقيل الحمد لله رب العالمين: عبارة عن الاقرار بكونه موصوفًا بصفات الألوهية وهى صفات الإكرام ومجموعهما هو المذكور فى قوله تعالى: ﴿تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾[5] وهو الذى كانت الملائكة يذكرونه قبل

---

[1] من الآية ٧٥ سورة الزمر.

[2] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤،ص٤٧٨.

[3] القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، جـ١، ص٣٧٥.

[4] الشوكانى: فتح القدير، جـ٤، ص ٦٧٢.

[5] من الآية ٧٨ سورة الرحمن.

خلق العالم وهو قولهم ﴿وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾[1] .

وفي قوله تعالى: (قيل الحمد لله رب العالمين) دقيقة أخرى وهي أنه لم يبيّن أن ذلك القائل مَنْ هو. والمقصود من هذا الإبهام التنبيه على أن خاتمة كلام العقلاء في الثناء على حضرة الجلال والكبرياء ليس إلا أن يقولوا (الحمد لله رب العالمين) وتأكد هذا بقوله تعالى: دعواهم فيها سبحانك اللهم وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم أن (الحمد لله رب العالمين) ﴿دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾»[2] .

وأتى المصدر مقدرًا مع أفعال أخرى غير قيل منها نودى وحيل:

ومنه قوله تعالى: ﴿نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا﴾[3] وقوله تعالى: ﴿نُودِيَ مِنْ شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ﴾[4] .

أما الآية الأولى في السورة (النّمِل) فأتى فيها فعلان مبنيان للمفعول هما (نودى) (بورك) وقد اختلف النحويون في نائب الفاعل للفعل الأول.

«قال "العكبرى": قوله تعالى (نُودِى) في ضمير الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها: هو ضمير موسى عليه السلام، فعلى هذا في أنْ ثلاثة أوجه: هي بمعنى أى، لأن في النداء معنى القول والثاني هي مصدريه والفعل صلة لها، والتقدير لبركة من

---

[1] من الآية ٣٠ سورة البقرة.

[2] الآية (١٠ سورة يونس) وانظر الامام فخر الدين الرازى في مفاتيح الغيب، حـ١٣، ص٤٨٨.

[3] الآية ٨ سورة النّمْل.

[4] الآية ٣٠ سورة القصص.

في النار أو ببركة أى اعلم بذلك والثالث هى مخففة من الثقيلة وجاز ذلك من غير عوض لأن بورك دعاء والدعاء يخالف غيره في أحكام كثيرة.

والوجه الثاني: لا ضمير في نودى والمرفوع به أن بورك والتقدير ونودى بأن بورك كما تقول قد نودى بالرُّخص.

والثالث: المصدر مضمر أى نودى النداء ثم فُسِّرَ بما بعده»[1].

أما "الزمخشرى" فقد عارض أن تكون أن هنا مخفَّفةً من الثقيلة وقال: أن هى المفسرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك أما من قال إنها مخفَّفة من الثقيلة وتقديره نودى بأنه بورك.

«قال "الزمخشرى" لا لأنه لابد من قَدْ فإن قلنا يصح إضمارها قلت لا يصح لأنه علامة لا تحذف»[2] وقد وافقه "أبو حيان الأندلسى" فى البحر المحيط[3].

وأما الفعل الثاني (بورك) (فَمَنْ) حل محل الفاعل - والتقدير نورك من في حوار وبورك من حولها - وقيل التقدير بورك مكان من في النار، النار، ومكان من حولها من الملائكة[4].

وقد وضح دلالة الفعلين هنا الشوكاني بقوله:

---

(١) العكبرى: إملاء ما مَنَّ به الرحمن، جـ١،ص ١٧١، وانظر مكى بن أبى طالب فى مشكل إعراب القرآن، جـ٢، ص ٥٣٢، وأنظر الأنبارى فى البيان فى غريب إعراب القرآن، جـ٢، ص ٢١٩، وهو يرى أن أنْ هنا مخفّفة من الثقيلة والتقدير أنه بورك ولم يأت بعوض لأن بورك دعاء والدعاء يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره.

(٢) الزمخشرى: الكشاف، جـ٣، ص ١٣٧، ونكت الإعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم، ص ٢٩٩.

(٣) أبو حيان الأندلسى: البحر المحيط، جـ٧، ص ٥٥.

(٤) العكبرى: إملاء ما مَنّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٧١.

فلما جاءها (أي جاء النار موسى): نودي أن بُورِكَ مَنْ في النار ومَنْ حولها: أنْ هي المفسرة كما في النداء من معنى القول، أو هي المصدرية أى بأن بورك وقيل هي المخففة من الثقيلة قال الزجاج: أن في موضع نصب أي بأن قال، ويجوز أن يكون في موضع رفع على ما لم يُسَمَّ فاعله والأولى أن النائب ضمير يعود إلى موسى وقرأ أُبيٌّ وابن عباس ومجاهد (أن بوركت النار ومن حولها) حكى ذلك أبو حاتم وحكي الكسائي عن العرب: باركك الله ، وبارك فيك، وبارك عليك، وبارك لك، وكذلك حكى هذا الفرّاء.

قال "ابن جرير": قال بورك مَنْ في النار، ولم يقل بورك على النار على لغة من يقول باركك الله: أى بورك على من في النار، وهو موسى، أو على من في قرب النار لا أنه كان في وسطها.

وقال "السدي": «كان في النار ملائكة والنار هنا هي مُجرّد نور ولكن ظن موسى أنّها نار، فلما وصل إليها وجدها نورًا. وحكي عن الحسن وسعيد ابن جبير أن المراد بمن في النار هو الله سبحانه أي نوره وقيل بورك ما في النار من أمر الله سبحانه الذي جعلها على تلك الصفة قال "الواحدي"، ومذهب المُفَسرين أن المراد بالنار النور، ثم نزّه سبحانه نفسه فقال: وسبحان الله رب العالمين»[1].

وتقدير ما لم يسم فاعله من الآية الثلاثين من (سورة القصص) ﴿نُودِيَ مِن شَاطِئِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَن يَا مُوسَىٰ﴾.

هو التقدير نفسه في الآية الأولى ونرى أن تقدير المصدر هنا يتناسب مع مقام العزة وهو ما يسير مع سنن الكبرياء والعظمة للحق تعالى.

---

(1) الشوكاني: فتح القدير، جـ٤، ص ١٧٩.

وأما قوله تعالى: ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾[١].

«أتى الفعل (حيل) مبنيًا للمفعول وإذا بحثنا عن الذى قام مقام الفاعل قيل: نائب الفاعل ضمير المصدر أى وحيل هو أى الحول»[٢].

وذهب "الأخفش الأوسط" إلى أن «ما قام مقام الفاعل هو (بينهم) أى شبه الجملة وهو رأى جدير بالعناية ويناسب المعنى القرآنى فى الآية الكريمة ويكون التقدير وحال الله بينهم وما يشتهون»[٣].

وفى دلالة التركيب هنا: «قيل (وحيل بينهم وبين ما يشتهون) من النجاة من العذاب ومنعوا من ذلك، وقيل حيل بينهم وبين ما يشتهون فى الدنيا من أموالهم وأهليهم، أو حيل بينهم وبين ما يشتهون من الرجوع إلى الدنيا»[٤].

وأما قوله تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾[٥].

أتى الفعل (يُوحَى) مبينًا للمفعول وإذا بحثنا عن الذى قام مقام الفاعل نجد أنه يمكن أن يكون التقدير يُوحَى إلَى ويكون شبه الجملة المقدر فى محل رفع نائب فاعل والضمير يعود إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ويجوز أنْ يكون التقدير إن هو إلا وَحْيٌ يوحيه الله وحيًا فيكون نائب الفاعل المصدر المقدر والتقدير يُوحَى وَحْيًا

---

[١] من الآية ٥٤ سورة سبأ.

[٢] الشوكانى: فتح القدير، حـ٤، ص ٤٧٢.

[٣] خالد الأزهرى : شرح التصريح على التوضيح، حـ١، ص ٢٩٠.

[٤] الشوكانى : فتح القدير، حـ٤، ص ٤٧٢.

[٥] الآية ٤ سورة النجم.

فإذا قلت إنّ مصدر يُوحَى إيحاء فلماذا قدرت مصدرًا للفعل الثلاثى وَحَى وقد أجاب عن ذلك الامام "فخر الدين الرازى" فى دلالة هذا التركيب فقال:

(يُوحى) يحتمل أن يكون من وحى يوحى، ويحتمل أن يكون من أوحى يُوحِي، تقول عدم يُعْدِم، وعدم يُعْدَم وكذلك عَلِم يعلم، وأعلم يعلم.

فتقول: يوحى من أوحى لا من وَحَى، وإن كان وحى وأوحى كلاهما جاء بمعنى ولكن الحق فى القرآن العظيم عند ذكر المصدر لم يذكر الإيحاء الذى هو أوحى، وعند ذكر المصدر الوحى، وقال عند الفعل (أوحى).

«كذلك القول فى أحب وحبّ، فإن حبّ وأحبّ بمعنى واحد والله تعالى عند ذكر المصدر لم يذكر فى القرآن العظيم الإحْبَابَ وذكر الحُبَّ فقال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ ﴾[1] وعند ذكر الفعل لم يقل حبه الله بل قال: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾[2] وقال: ﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ﴾[3] وقال تعالى: ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[4] إلى غير ذلك»[5].

---

[1] من الآية ١٦٥ سورة البقرة.

[2] من الآية ٥٤ سورة المائدة.

[3] من الآية ١٢ سورة الحجرات.

[4] من الآية ١٩٢ سورة آل عمران.

[5] الإمام فخر الدين الرازى: مفاتيح الغيب، حـ١٤، ص ٦٢٥.

الفصل الرابع

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير متصل

المبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير متصل

أتى نائب الفاعل ضميرًا متصلاً فى تراكيب كثيرة من آيات الذكر الحكيم، ومثال ذلك:

(١) قال تعالى : ﴿كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا قَالُوا هَٰذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِن قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾[1].

أتى فى الآية الكريمة السابقة ثلاثة تراكيب مبنية للمفعول، وكان الضمير المتصل قد قام مقام الفاعل وأصله مفعول به. واختلفوا فى دلالة التراكيب هنا كما يلى :

قال "الإمام الطبرى" : «يعنى بقوله: كلما رزقوا منها الجنات، والهاء راجعة على الجنات، وإنما المعنى أشجارها، فكأنه قال: كلما رزقوا من أشجار البساتين التى أعدها الله للذين آمنوا وعملوا الصالحات فى جناته من ثمرة من ثمارها رزقًا قالوا هذا الذى رُزِقْنا من قبل، ثم اختلف أهل التاويل فى تأويل قوله هذا الذى رزقنا من قبل، فقال بعضهم: تأويل ذلك: هذا الذى رزقنا من قبل هذا فى الدنيا. وفى قوله تعالى (وأتوا به متشابهًا) قال أبو جعفر: والهاء فى قوله وأتوا به متشابهًا عائدة على الرزق؛ فتأويله: وأتوا بالذى رزقوا من ثمارها متشابهًا. وقد اختلف أهل التأويل فى تأويل المتشابه فى ذلك فقال بعضهم: تشابهه أن كله خيار لا رذل فيه».[2]

وقال "الإمام الشوكانى" : «فى قوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا قالوا هذا الذى رزقنا من قبل وأتوا به متشابهًا) قال: (كلما رزقوا) وصف آخر للجنات، أو هو جملة مستأنفة كأن سائلاً قال: كيف ثمارها؟ من أى نوع من أنواع الثمرات؟

---

(١) من الآية ٢٥ سورة البقرة.

(٢) الإمام ابن جرير الطبرى: تفسير الطبرى، جـ١، ص ص ١٣٣، ١٣٤.

والمراد بقوله (هذا الذى رزقنا من قبل) أنه شبيهه ونظيره لا أنه هو؛ لأن ذات الحاضر لا تكون عين ذات الغائب لاختلافهما، وذلك أن اللون يشبه اللون وإن كان الحجم والطعم والرائحة متخالفة. والضمير فى (به) عائد إلى الرزق، وقيل المراد أنهم أتوا بما يرزقونه من الجنة متشابهًا؛ فما يأتيهم فى أول النهار يشابه الذى يأتيهم فى آخره، فيقولون: هذا الذى رُزِقْنا من قبل، فإذا أكلوا وجدوا له طعمًا غير طعم الأول.

قال: وأخرج ابن جرير عن ابن مسعود وناس من الصحابة فى قوله (كلما رزقوا منها من ثمرة رزقًا)، قال أتوا بالثمرة فى الجنة فنظروا إليها، (قالوا هذا الذى رزقنا من قبل) فى الدنيا، و(أتوا به متشابهًا) فى اللون والمرأى وليس يشبه الطعم».[1]

(٢) وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[2].

وفى قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[3].

وفى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾[4].

وفى قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[5].

وفى قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾[6].

---

[1] الشوكانى (محمد بن على بن محمد الشوكانى م١٢٥٥هـ): فتح القدير الجامع بين فى الرواية والدراية من علم التفسير، تحقيق سيد إبراهيم، جـ١، ص ص ٧٨-٧٩.

[2] من الآية ٢٨ من سورة البقرة، ومن الآية ١١ سورة الروم، ومن الآية ٤٤ سورة الزمر.

[3] من الآية ٧٠ سورة القصص.

[4] من الآية ١١ سورة السجدة.

[5] من الآية ٨٣ سورة يس.

[6] من الآية ٥٧ سورة العنكبوت.

وردت هذه التراكيب الخمسة مبنية للمفعول وقد اتصل الفعل بضمير متصلٍ حل محل الفاعل كانَ في الأصل المفعول به. وقد تقدم التركيب في أربعة تراكيب الجار والمجرور وقد جر الحرف ضميرًا متصلاً وفي تركيب واحد أتى الجار وقد جر لفظ الجلالة، وقد اختلف النحويون في عود الضمير (إليه) في التركيب الأول.

قال العكبري: «الهاء ضمير اسم الله، ويجوز أن يكون ضمير الإحياء المدلول عليه بقوله (فأحياكم)»(١).

ووضح المسألة السمين الحلبي بقوله عن التركيب الأول: «الضمير في (إليه) لله تعالى، وهذا ظاهرٌ لأنه كالضمائر قبله، وثَمَّ مضاف محذوف؛ أي إلى ثوابه وعقابه، وقيل على الجزاء على الأعمال، وقيل على المكان الذي يتولى الله فيه الحكم بينكم، وقيل على الإحياء المدلول عليه بأحياكم، يعني أنكم تُرجَعون إلى الحال الأولى التي كنتم عليها في ابتداء الحياة الأولى من كونكم لا تملكون لأنفسكم شيئًا. والجمهور على قراءة (تُرْجعون) مبنيًا للمفعول، وقرئ مبنيًا للفاعل وهي قراءة يحيى ابن يعمر ومجاهد ويعقوب وآخرين(٢)، ووجه القراءتين أن (رجع) يكون قاصرًا (أي لازمًا) ومتعديًا وهي أرجح لأن أصلها (ثم إليه يُرْجِعُكُم) لأن الإسناد في الأفعال السابقة لله تعالى فيناسب أن يكون هذا كذا؛ ولكنه بني للمفعول لأجل الفواصل والقواطع»(٣).

وفي دلالة التركيب الثاني (وله الحكم وإليه تُرْجَعون):

---

(١) العكبري: إملاء ما مَنّ به الرحمن، جـ١، ص ٢٧.

(٢) انظر: أبو حيان الأندلسي في البحر المحيط، جـ١، ص ١٢٣.

(٣) السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، جـ١، ص ٢٤٠، وفي هامش ١ ص ٢٤١ جـ١، قال المحقق د. أحمد محمد الخراط: (ولعل السمين يعني بالقواطع قوله تعالى يُميتكم ويحييكم) في الآية نفسها.

أى يقضى بين عباده بما شاء من غير مشارك (وإليه تُرْجَعون) بالبعث فيجازى المحسن بإحسانه والمسئ بإساءته، لا ترجعون إلى غيره. وقدم الجار والمجرور للعناية والأهمية والاختصاص؛ فله الحكم لا لغيره، وإلى الحق ترجعون لا إلى غيره.

وفى التركيب الثالث (ثُمَّ إليه تُرْجَعُون):

قرأ أبو بكر وأبو عمرو (يرجعون) بالتحتية، وقرأ الباقون بالفوقية على الخطاب والالتفات المؤذن بالمبالغة[1].

(٣) وفى قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[2].

وفى قوله تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[3].

أتى التركيبان (يُنْصَرُونَ) مبنيان للمفعول ونائب الفاعل ضمير متصل أصله المفعول به. وفى التركيب الأول تقدم الضمير المنفصل على الضمير المبنى للمفعول وفى التركيب الثانى أتى الحرف (لعل) من أخوات (إنّ) واتصل به ضمير متصل فى محل نصب اسم إنّ، وخبره الجملة الفعلية المبنية للمفعول (يُنْصَرون).

أما التركيب الأول فجاء ختامًا لقوله تعالى ﴿وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ وجاءت التراكيب فى الآية كلها مبنية للمفعول جريًا على سنن الكبرياء ولأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى.

أمــا دلالة التركيب الأول، فقـال السمين الحلبى: «(ولا هم ينصرون) جملة

---

[1] انظر: القراءات فى التراكيب الأربع السبعة فى القراءات، ص ٥٠٦، وفتح القدير، جـ٤ ص ٣٠٤، جـ٤ ص ٥٤٠.

[2] من الآية ٤٨ سورة البقرة ومن الآية ٨٦ سورة البقرة.

[3] من الآية ٧٤ سورة يس.

من مبتدأ وخبر معطوفة على ما قبلها، وإنما أتى هنا بالجملة مصدَّرة بالمبتدأ مخبرًا عنه بالمضارع تنبيهًا على المبالغة والتأكيد في عدم النصرة. والضمير في قوله (ولا هم) يعود على النفس لأن المراد بها جنس الأنفس، وإنما عاد الضمير مذكرًا وإن كانت النفس مؤمنة لأن المراد بها العباد والأناسي»[1].

(٤) وفي قوله تعالى: ﴿فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾[2].

وفي قوله تعالى: ﴿وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾[3].

وفي قوله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾[4].

أتت التراكيب الثلاثة: (فافعلوا ما تؤمرون)، (وامضوا حيث تؤمرون)، (ويفعلون ما يؤمرون) مبنية للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل. وفي دلالة هذه التراكيب بيان:

أتى التركيب الأول في سياق قصة ذبح بقرة بني اسرائيل، ونجد سيدنا موسى عليه السلام يجدّد أمره ويؤكده ويزجرهم عن التعنت في الجدال عن أمر البقرة؛ فلم ينفعهم ذلك ولا نجح فيهم بل رجعوا إلى طبيعتهم وعادوا إلى مكرهم. قال السمين الحلبي: «(فافعلوا ما تؤمرون): (ما) موصولة بمعنى الذي، والعائد محذوف تقديره: تؤمرون به، فحذفت الباء وهو حذف مطرد، فاتصل بالضمير فحذف وليس له نظير، مثل قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي خَاضُوا﴾[5]؛ فإن الحذف هنا غير

---

[1] السمين الحلبي: الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، جـ١ ص ٣٣٩.

[2] من الآية ٦٨ سورة البقرة.

[3] من الآية ٦٥ سورة الحجر.

[4] من الآية ٥٠ سورة النحل.

[5] من الآية ٦٩ سورة التوبة.

مقيس، ويضعف أن تكون نكرة. قاله أبو البقاء[١]. لأن المعنى على العموم وهو بالذى أشبه، ويجوز أن تكون مصدرية أى أمْركم بمعنى مأموركم، تسمية للمفعول بالمصدر كضرب الأمر، قاله الزمخشرى فى الكشاف.[٢] و(تؤمرون) مبنى للمفعول و(الواو) قائم مقام الفاعل، ولا محل لهذه الجملة لوقوعها صلة.»[٣]

وجاء التركيب الثانى فى قصة سيدنا لوط عليه السلام؛ حيث أمره الحق تعالى بأن يسير بأهله فى الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأته (وامضوا حيث تُؤْمَرُون) أى إلى الجهة التى أمركم الله سبحانه بالمضى إليها وهى جهة الشام، وقيل مصر، وقيل قرية من قرى لوط، وقيل أرض الخليل.[٤]

أما التركيب الثالث فيتحدث عن الملائكة التى تخاف الله تعالى ويفعلون ما يؤمرون به من طاعة الحق تعالى، وقال أبو السعود عن دلالة هذا التركيب: «(ويفعلون ما يُؤمرون) أى ما يؤمرون به من الطاعات والتدبيرات. وإيراد الفعل مبنيًا للمفعول جرى على سنن الجلالة وإيذان بعدم الحاجة إلى التصريح بالفاعل لاستحالة استناده إلى غيره سبحانه وفيه أن الملائكة مكلفون مدارون بين الخوف والرجاء وبعدما تبيّن أن جميع الموجودات يخصون الخضوع والانقياد الطبيعى وما يجرى مجراه من عبادة الملائكة حيث لا يتصور منهم عدم الانقياد أصلاً لله عز وجل، أردف ذلك بحكاية نهيه سبحانه وتعالى للمكلفين عن الإشراك»[٥]

(٥) قوله تعالى: ﴿وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ﴾[٦].

أتى التركيب (فإن أحصرتم) مبنيًّا للمفعول وحَلَّ الضمير تُـمْ محل نائب

---

[١] العكبرى: إملاء ما من به الرحمن، جـ١، ص ٤٢.

[٢] الزمخشرى: الكشاف، جـ١، ص ٢٩٧.

[٣] السمين الحلبى: الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، جـ١، ص ٤٢٣.

[٤] الشوكانى: فتح القدير. جـ٣ ص ١٩٢.

[٥] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٢٧٠.

[٦] من الآية ١٩٦ سورة البقرة.

الفاعل. قال القرطبي: «قال ابن العربي: هذه آية مشكلة عُضْلَة من العُضَل؛ قلت: لا إشكال فيها، ونحن نبينها غاية البيان فنقول: الإحصار هو المنع من الوجه الذى تقصده العوائق جملة بأى عذر. واختلف العلماء فى تعيين المانع على قولين: قال علقمة وعروة بن الزبير وغيرهما هو المرض لا العدوُّ وقيل العدو خاصة، قاله ابن عباس وابن عمر وأنس والشافعي، قال ابن العربي: وهو اختيار علمائنا، ورأى أكثر أهل اللغة؛ على أن أحصر عُرِض للمرض وحُصِرَ نزل به العدو.

قلت: ما حكاه ابن العربى لم يقل به إلا أشهب وحده وليس من اختيار علمائنا وخالفه سائر أصحاب مالك في هذا وقالوا الإحصار للمرض وأما العدو فإنما (يقال حُصِرَ حَصْرًا فهو محصور، وحكى الزجاج أنه عند جميع أهل اللغة ما يأتى: قال أبو عبيدة والكسائى أُحْصِر بالمرض وحُصِر بالعدو، وقال الفراء هما بمعنى واحد فى المرض والعدو، والخليل: حصرت الرجل حصرًا منعه وحبسه وأُحصر الحاج عن بلوغ المناسك من هذا، والزجاج قال أكثر أهل اللغة حصر للعدو وأُحصر إحصارًا للمرض»[(١)].

«وبسبب هذا الاختلاف بين أهل اللغة اختلف أئمة الفقه فى معنى الآية، قالت الحنفية: المحصر من يصير ممنوعًا من مكة بعد الإحرام بمرض أو عدو أو غيره. وقالت الشافعية وأهل المدينة: المراد بالآية حصر العدو. وقد ذهب جمهور العلماء إلى أن المُحْصَر بعدوٍّ يَحِلُّ حيث أحصر وينحر هديه إن كان ثَمَّ هَدْىٌ ويحلق رأسه كما فعل النبى صلى الله عليه وسلم وأصحابه فى الحديبية»[(٢)].

---

(١) القرطبى: الجامع لأحكام القرآن، جـ٢، ص ٣٧١.

وفى المصباح المنير كتاب الحاء (حصره العدو حصرًا) من باب قتل أحاطوا به ومنعوه من المضىّ لأمره. وقال ابن السكيت وثعلب (حصره) العدو فى منزله حبسه، وأحصره المرض بالألف منعه من السفر. وقال الفراء هذا هو كلام العرب وعليه أهل اللغة، وقال ابن القوطية وأبو عمرو الشيبانى (حصره) العدو والمرض و(أحصره) كلاهما عجز حبسه.

(٢) الشوكانى: فتح القدير جـ١، ص ٢٩٠.

وفي دلالة التركيب، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «في قوله (فإن أحصرتم) يقول: من أحرم بحج أو عمرة ثم حبس عن البيت بمرض يجهده أو عدو يحبسه، فعليه ذبح ما استيسر من الهدى، شاة فما فوقها»[١].

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾[٢].

أتى التركيب (سَتُغْلَبون وتُحْشَرُون إلى جَهَنَّم) مبنيًا للمفعول، وحل الضمير المتصل محل الفاعل وأصله المفعول به. وقد قرئ الفعلان (بالتاء والياء) ستُغلبون – سيُغلبون، وأدى ذلك إلى اختلاف الدلالة.

قال أبو على الفارسي: «اختلفوا في الياء والتاء من قوله عز وجل (ستغلبون وتحشرون) فقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر (ستغلبون وتحشرون) بالتاء، وقرأ حمزة والكسائي بالياء.

قال أبو على: (قل للذين كفروا) يجوز أن يعنى به اليهود والمشركون جميعًا، يدل عليه قوله تعالى: ﴿مَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ﴾[٣] ففسّر الذين كفروا بالقبيلين وكذلك أول سورة البينة ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ﴾[٤]؛ فالتقدير على هذا قل للقبليين ستغلبون، ويدل على حسن التاء هنا والمخاطبة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا

---

[١] المصدر نفسه، جـ١، ص ٢٩٢.

[٢] من الآية ١٢ سورة آل عمران.

[٣] من الآية ١٠٥ سورة البقرة.

[٤] الآية ١ سورة البيّنة.

﴿آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ﴾[1]. والآية كلها على الخطاب، وكذلك قول من قرأ ستُغلبون، وللتاء على الياء مزية ما في الحُسن وهو انه إذا قيل (سيُغلبون) فقد يمكن أن يكون المغلوبون والمحشورون من غير المخاطبين وأنهم قوم آخرون؛ فإذا كان الخطاب لم يجز لم يظن هذا»[2].

وقال "ابن خالويه" : (ستُغلبون وتحشرون).

يقرأ بالتاء والياء فالحجة لمن قرأهن بالتاء أنه أراد قل لهم يا محمد مواجهًا بالخطاب ستُغلبون وهذا من أدل دليل على نبوته -صلى الله عليه وسلم-، لأنه أخبرهم عن الغيب بما لم يكن أنه سيكون، فكان كما قال : والحجة لمن قرأ بالياء أنه خاطب نبيَّه بذلك، وهم غُيَّبٌ فكانت الياء أولى لمكان الغيبة[3] .

ولكن رأى أبي على الفارسي أقوى بحسن قراءة التاء لأنها عامة وشاملة.

(٧) وقال تعالى : ﴿وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ﴾[4].

أتى التركيب (فَلَنْ يُكْفَرُوه) مبنيًا للمفعول وحَلَّ الضمير المتصل الأول (واو الجماعة) محل الفاعل وبقى المفعول الثانى (الضمير المتصل الثانى هاء الغيبة) ونلاحظ هنا أن الفعل كفر لا يتعدى إلا إلى مفعول واحد تقول كفر النعمة وكفر بالنعمة فلِمَ تعدَّى هنا إلى مفعولين.

قال "الزمخشرى" : «فإن قلت لم عدَّى كفر إلى المفعولين وشكر وكفر لا يتعديان إلا إلى واحد تقول شكر النعمة وكفرها، قلت ضمن معنى الحرمان فكأنه قيل فلن يحرموه بمعنى فلن يحرموا جزاءه»[5] .

---

[1] من الآية ٨١ سورة آل عمران.

[2] أبو على الفارسى: الحجة فى علل القراءات السبع، جـ٢، ص ٣٤٥.

[3] ابن خالوية : الحجة فى القراءات السبع ص ١٠٦.

[4] من الآية ١١٥ سورة آل عمران.

[5] الزمخشرى : الكشاف، جـ١، ص ٤٥٦، وانظر أيضًا نكت الأعراب للزمخشرى، ص ١١٨.

ونلاحظ أن الفعل (يُكْفر) قد قرئ بالتاء وبالياء.

قال "أبو على الفارسي" : «اختلفوا فى الياء والتاء فى الفعلين أى (يفعلوا- يكفروه) فقرأ ابن كثير ونافع وعاصم فى رواية أبى بكر وابن عامر بالتاء، وكان أبو عمرو لا يبالى كيف قرأهما بالياء أو بالتاء. وكان حمزة والكسائى وحفص يؤدونهما بالياء»[١].

وقال "ابن خالويه" : «فمن قرأهما بالتاء جعل الخطاب للحاضرين وأَدْخَلَ الغُيَّب فى الجملة ومن قرأ بالياء وجّه الخطاب إلى الغُيَّب، وأدخل الحاضرين فى الجملة، ولهذا المعنى كان أبو عمرو يخيّر بينهما»[٢].

وقال "أبو السعود" في دلالة التركيب (وما يفعلوا من خير فلن يُكْفَروه) أى لن يُعْدموا ثوابه البتّة عبرّ عنه بذلك كما عبَّر عن توفية الثواب بالشكر إظهار الكمال تنزهه سبحانه وتعالى عن ترك إثابتهم بتصويره بصورة يستحيل صدوره عنه تعالى من القبائح وتعديته إلى مفعولين بتضمين معنى الحرمان وإيثار صيغة البناء للمفعول للجرى على سنن الكبرياء وقرئ الفعلان على صيغة الخطاب»[٣].

(٨) قوله تعالى : ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا﴾[٤].

أتى التركيب (وقِفوا على النار) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل مَحَلَّ الفاعل وأصله المفعول به ونلاحظ أنه أتى بعد الفعل جار ومجرور لكنه لم يَقُم مقام الفاعل لأن المعنى يتناسب مع كون المفعول به يقوم مقام الفاعل.

---

(١) أبو على الفارسي : الحجة فى علل القراءات السبع، جـ١، ص ٣٨١.

(٢) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ١١٣.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، المجلد الأول، ص ٤٠٣.

(٤) من الآية ٢٧ سورة الأنعام.

وقد يظُنّ بعض الباحثين أن (وقف) لا يكون إلا لازمًا ولكن هذا خطأ فوقف يكون لازمًا ومتعديًا.

تقول «وقفت الدابة تَقِف وقفًا ووقوفًا سَكَنت ووقفتها أنا يتعدى ولا يتعدى ووقفت الرجل عن الشيء وقفًا منعته عنه وأوقفت الدار والدابة بالألف لغة تميم وأنكرها الأصمعي وقال الكلام وقفت بغير ألف وأوقفت عن الكلام بالألف أقلعت عنه وكلمني فلان (فأوقفت) أي أمْسَكت عن الحجة عِيًّا.

وحكى بعضهم ما يمسك باليد يقال فيه (أوقفته) بالألف وما لا يمسك باليد يقال (وقفته) بغير ألف والفصيح وَقَفْتُ بغير ألف في جميع الباب إلا في قولك (ما أوقفك) ههنا وأنت تريد أي شأن حملك على الوقوف فإن سألت عن شخص قلت (من وقفك) بغير ألف»[1].

وفي دلالة التركيب :

قال "فخر الدين الرازي" : «قال الزجاج : ومعنى وقفوا على النار يحتمل ثلاثة أوجه :

الأول : يجوز أن يكون قد وقفوا عندها وهو يعاينوها فهم موقوفون على أن يدخلوا النار.

الثاني : يجوز أن يكون وقفوا عليها وهي تحتهم، بمعنى أنهم وقفوا فوق النار على الصراط، وهو جسر فوق جهنم.

الثالث : معناه عرفوا حقيقتها تعريفًا من قولك وقفت فُلانًا على كلام فلان، أي علّمته معناه وعرّفته.

وفيه وجه رابع وهو أنهم يكونون في جوف النار، وتكون النار محيطة بهم

---

[1] الفيومي : المصباح المنير كتاب الواو.

ويكونون غائصين فيها. وعلى هذا التقدير فقد أقيم (على) مقام (فى) وإنما صح على هذا التقدير أن يقال، وقفوا على النار، لأن النار دركات وطبقات، بعضها فوق بعض، فيصحُّ معنى الاستعلاء، وقامت (إذ) هنا مقام (إذا) للتعبير عن المستقبل باللفظ الموضوع للماضى – ويفيد المبالغة فى هذا الاعتبار»[١].

وقال "الشوكانى" : «ولو ترى إذ وقفوا على النار : الخطاب لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو لكل من تتأتى منه الرؤية، وعبّر عن المستقبل بلفظ الماضى تنبيها على تحقق وقوعه كما ذكره علماء المعانى و (وقفوا) معناه، حبسوا يقال وَقَفْتُه وَقْفًا ووَقَف وُقُوفا، وقيل معنى وقفوا على النار أدخلوها، فتكون على بمعنى (فى)، وقيل : هى بمعنى الباء أى وقفوا بالنار أى بقربها معاينين لها، ومفعول ترى محذوف، وجواب لو محذوف ليذهب السامع كل مذهب والتقدير لو تراهم إذا وقفوا على النار لرأيت منظرًا هائلاً وحالاً فظيعًا»[٢].

(٩) وفى قوله تعالى : ﴿وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ﴾[٣].

وقوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾[٤].

وقوله تعالى : ﴿فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا﴾[٥].

أتى التركيب (تُخْرجون) و(يُخْرجون) مبنيًا للمفعول فى الآيات السابقة واختلف القراء فى ضم التاء أو الياء هكذا قرأ ابن كثير ونافع وعاصم وأبو عمرو

---

[١] الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٦، ص ٢٦٩.

وانظر أبو السعود : فى تفسير أبو السعود، مجلد٢، ص ١٣٨.

[٢] الشوكانى : فتح القدير، جـ٢، ص ١٥٥.

[٣] من الآية ٢٥ سورة الأعراف.

[٤] من الآية ١٩ سورة الروم، ومن الآية ١١ سورة الزخرف (بدون الواو) كذلك تُخْرجون.

[٥] من الآية ٣٥ سورة الجاثية.

(ومنها تُخْرجون) بضم التاء وفتح الراء ههنا وفي الزخرف من الآية ١١ وفي الروم من الآية ١٩ وفي الجاثية من الآية ١٥ وقرأوا في سأل سائل من الآية ٤٣ بفتح التاء والياء وكذلك في سورة الروم من الآية ٢٥ إذا أنتم تخرجُون وقرأ حمزة والكسائي ومنها تخرجون في الأعراف بفتح التاء وضم الراء وفي الروم من الآية ١٩ مثله وفي الزخرف من الآية ١١ كذلك وفي الجاثية (لا يخرجون) من الآية ٢٥ وفتح ابن عامر التاء في آية الأعراف فقط وضمها في الباقي[1].

وقال "ابن خالويه" في الحجة : «قوله تعالى : (ومنها تُخْرجون) يُقرأ بضم التاء وفتح الراء، وبفتح التاء وضم الراء هاهنا وفي الروم من الآية ٢٥ وفي الزخرف من الآية ١١ وفي الجاثية من الآية ٣٥ فالحجة لمن ضم التاء أنه جعله فعل ما لم يُسَمَّ فاعله والحجة لمن فتح التاء أنه أراد أن الله عز وجل إذا أخرجهم يوم القيامة فهم الخارجون والتاء في الوجهين دليل المخاطبة»[2].

(١٠) وفي قوله تعالى : ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾[3].

وقوله تعالى : ﴿أَنَّى يُصْرَفُونَ﴾[4].

أتى الفعل (تُصْرَفُون – يُصْرفون) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وأصله المفعول به.

وفي دلالته قال "أبو السعود" : «استفهام إنكاري بمعنى إنكار الواقع واستبعاده والتعجيب منه وفيه من المبالغة ما ليس في توجيه الإنكار إلى نفس الفعل لأن كل موجود لابد من أن يكون وجوده على حال من الأحوال قطعًا فإذا انتفى

---

[1] ابن مجاهد : السبعة، ص ٢٧٩.

[2] ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ١٥٤.

[3] من الآية ٣٢ سورة يونس ومن الآية ٦ سورة الزمر.

[4] من الآية ٦٩ سورة غافر.

جميع أحوال وجوده فقد انتفى وجوده على الطريق البرهاني. والفاء لترتيب الإنكار في آية (٣٢ سورة يونس) على ما قبله أي كيف تصرفون من الحق الذي لا محيد عنه وهو التوحيد إلى الضلال عن السبيل المستبين. وفي إيثار صيغة المبني للمفعول إيذان بأن الانصراف من الحق إلى الضلال مما لا يصدر عن العاقل بإرادته وإنما يقع عند وقوعه بالقسر في جهة صارف خارجي»[١].

(١١) وفي قوله تعالى: ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[٢].

وقوله تعالى: ﴿فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[٣].

جاء التركيب (يُهْرَعون) مبنيًا للمفعول وقد اختلف اللغويون في هذا الفعل أهو مبني للمفعول فقط، ولم يأت منه معلوم ؟ أم أن هناك فعلاً آخر يأتي معلومًا؟

قال "ابن منظور" : «الهَرع والهُراع والإهراع شدة السوق وسرعة العدو وقد هُرِعوا وأُهرِعوا واستهرعت الإبل أسرعت إلى الحوض وأُهرع الرجل على ما لم يُسَمَّ فاعله خَفَّ وأُرعِد من سُرعة أو خوف أو حرص أو حُمَّى وفي التنزيل العظيم ﴿وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ﴾[٤].

قال "أبو عبيدة" : يُستَحَثُّون إليه كأنه يَحُثُّ بعضهم بعضًا وتهرَّعَ إليه عَجِلَ.

قال "أبو العباس" : الإهراع إسراع في طمأنينة ثم قيل له : إسراع في فزع، فقال نعم.

---

[١] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٢، ص ٤٩٥.

[٢] من الآية ٧٨ سورة هود.

[٣] الآية ٧٠ سورة الصافات.

[٤] من الآية ٧٨ سورة هود.

وقال "الكسائى" : الإهراع إسراع فى رعْده.

وقال "الليث" : يهرعون وهم أسارى يُساقون ويُعجلون يقال هُرعوا وأُهرِعوا.

"أبو عبيد" : أهرع الرجل إهراعًا إذا أتاك وهو يُرْعد من البرد، وقد يكون الرجل مُهْرعًا من الحُمى والغضب والمُهْرع أيضًا كالحريص.

وفى قوله تعالى : ﴿فَهُمْ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾[١] أى يَسْعَوْن عجالاً والعرب تقول : أُهْرِعُوا وهُرِعوا فهم مُهْرعون ومهروعون.

وهرِعَ الشيء هرعًا، فهو هَرِعٌ وهمع : سال وقيل تتابع فى سيلانه، والمهروع: المجنون الذى يُصرع وقال "أبو عمرو" : المهروع المصروع من الجَهْدِ»[٢].

إذن : لدينا فعلان : أحدهما أُهرِع وهُرِعَ بمعنى أسرع فى فزع أو خوف أو من البرد وهَرِعَ الشيُ وهمع : سال أما الأول فهو غالبًا مبنى للمفعول وأما الثانى فلازم مبنى للمعلوم.

ولكن إذا كان الفعل مبنيًا للمفعول وليس له تركيب معلوم أنجعل الضمير المتصل نائبًا للفاعل أم فاعلاً ؟ قالوا لنا الخيار والأفضل أن يكون نائبًا للفاعل ولنستمِعْ إلى ما قاله المفسرون فى دلالة هذا الفعل.

قال "فخر الدين الرازى" : فى قوله تعالى : (وجاء قومه يهرعون) ولأهل اللغة فى يُهْرَعون قولان :

القول الأول : أن هذا من باب ما جاءت صيغة الفاعل فيه على لفظ المفعول ولا يعرف له فاعل نحو، أولع فلانٌ فى الأمر وأُرْعِد زيد، وزُهِى عمرو من الزهو.

---

[١] من الآية ٧٠ سورة الصافات.

[٢] ابن منظور : لسان العرب باب الهاء.

القول الثاني : أنه لا يجوز ورود الفاعل على لفظ المفعول، وهذه الأفعال حذف فاعلوها فتأويل أولع زَيْدٌ أنه أولعه طبْعُه وأُرْعِدَ الرجل أرْعَدَه غضبه وزُهِيَ عمرو معناه جعله ماله زاهيًا وأهرع معناه أهرعه خوفه أو حرصه واختلفوا أيضًا في معنى الإهراع.

فقال بعضهم : الإهراع هو الإسراع مع الرعدة.

وقال آخرون : هو العَدْوُ الشديد[1].

وقال "القرطبي" عن قوله تعالى : (وجاءه قومه يُهرعون إليه) في موضع الحال ويُهرعون يسرعون قال الكسائي والفراء وغيرهما من أهل اللغة لا يكون الاهراع إلا سراعًا مع رعدة يقال أُهرِعَ الرجل إهراعًا أى أسرع في رعدة من برد أو غضب أو حُمّى - قال مهلهل.

فجاءوا يُهْرِعون وهم أُسارى نهودهم على رغم الأنوف.

وقال آخر :

بمعجلات نحوه مهارع

وهذا مثل، أُولِعَ فلان بالأمر، وأُرْعِد زيد، وزُهِي فلان، ولا تستعمل إلا على هذا الوجه.

وقيل أُهْرِع أى أهرعه حرصه، وعلى هذا يُهْرِعون أى يستحثون عليه وهذا قول أبى عبيدة، قال ابن القوطية، هُرِعَ الإنسان هرعًا وأهرع، سيق واستعجل وقال الهروى : يقال هُرِع الرجل وأُهْرِع أى اُستُحِث.

قال ابن عباس وقتادة والسدى : يُهْرَعون يهرولون الضحَّاك : يسْعَوْنَ، ابن عُيينة كأنهم يدفعون وقال شمر بن عطية هو مشى بين الهرولة والجمزى وقال

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٨، ص ص ٥٧٨، ٥٧٩.

الحسن: مشيٌ بين مشيين والمعنى متقارب[١].

(١٢) قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا﴾[٢].

أتى التركيب (وأما الذين سُعِدوا) وبنى الفعل فيه للمفعول وحَلَّ الضمير المتصل مَحَلَّ الفاعل وأصله المفعول به.

وقد اختلف اللغويون والمفسرون في قراءة مَنْ ضم (سين) (سُعِدَ) في البيان الآتى :

قرأ الكسائي وحفص وحمزة وخلف (وأما الذين سُعِدُوا) بضم السين والباقون بفتحها[٣].

قال "مكى بن أبى طالب" : «(وأما الذين سُعِدوا) قراءة حفص والكسائي وحمزة بضم السين حملاً على قولهم مسعود وهى لغة قليلة شاذة وقولهم مسعود إنما جاء على حذف الزائد كأنه من أسعده الله ولا يقال سُعِدَه الله فهو مثل قولهم أجنّهُ الله فهو مجنون وضم السين فى سُعِدوا بعيد عند أكثر النحويين إلا على تقدير حذف الزائد كأنه قال وأما الذين أُسْعِدُوا»[٤].

وقال "القرطبى" : «وقرأ الأعمش وحفص وحمزة والكسائي وأما الذين (سُعِدوا) بضم السين وقال "أبو عمرو" : الدليل على أن سَعِدوا (بفتح السين) أنَّ الأول (شَقُوا) ولم يقل أُشْقُوا.

قال "النحاس" : ورأيت على بن سليمان يتعجب من قراءة الكسائي

---

[١] الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٤٠٣.

[٢] من الآية ١٠٨ سورة هود.

[٣] ابن الجزرى : تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٢٣.

[٤] مكى بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن، جـ١، ص ٣٧٤، وانظر فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ٨، ص ٦٢٤.

(سُعِدوا) بضم السين مع علمه بالعربية، إذا كان هذا لَحْنًا لا يجوز، لأنه إنما يقال سَعِدَ فلان وأسعده الله، وأُسْعِدَ مثل أُقْرِض وإنما احتج الكسائي بقولهم : مسعود ولا حجة له فيه، لأنه يقال : مكان مسعود فيه، ثم يحذف فيه ويسمّى به. قال المهدوي : ومن ضَمَّ السين من سُعِدُوا فهو محمول على قولهم مسعود، وهو شاذ قليل، لأنه لا يقال سَعِدَه الله، إنما يقال أسعده الله.

وقال "الثعلبي" : «سُعِدُوا بضم السين واختاره أبو عبيد وأبو حاتم وقال الجوهري : والسعادة خلاف الشقاوة تقول سَعِدَ الرجل بالكسر فهو سعيد، وسُعِدَ فهو مسعود، ولا يقال مُسْعَدٌ، كأنهم استغنوا عنه بمسعود وقال القشيري : وقد ورد سَعَدَه الله فهو مسعود وأسْعَده الله فهو مُسْعَدٌ فهذا يقوى قول الكوفيين.

وقال "سيبويه" : لا يقال سُعِدَ فلان كما لا يقال شُقِي فلان»[1] .

التعقيب :

إذن نحن أمام قراءتين للفعل (سعدوا) بفتح السين وهذه القراءة قراءة "أبي عمرو بن العلاء" وعاصم بن أبي النجود وغيرهما وقد أيدها البصريون واختارها أبو عبيد وأبو حاتم السجستاني.

أما قراءة الكسائي وحفص وحمزة بضم السين فلم يوافق عليها كثير من البصريين بل إن علي بن سليمان عدَّها لحنًا (في قراءة الكسائي) وهذا خطأ كبير إذْ كيف نتهم إمامًا كبيرًا وقارئًا من القراء السبع له اليد الطُولَى في القراءات باللحن ؟ ثم إننا نجد كثيرًا من اللغويين يقولون إنها لغة وقد رأينا أن الجوهري يذكر سُعِدَ بالضم وكذلك الثعلبي والقشيري.

وقد ذكر الفرّاء رأسُ الكوفة «أن هذيلاً تقول سَعَده الله بمعنى أسعده»[2] .

---

[1] القرطبي :الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٤٠٠

[2] الألوسي : روح المعاني، جـ١٢، ص ١٤٦.

وإذا كان كثير من البصريين يقولون إن القراءة الفاشية هي (سَعِدوا) بالفتح ليناسب ما جاء قبلها في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِي النَّارِ﴾[١].

فإننا نقول بأن الإعجاز القرآني في تراكيبه اللغوية يأتي بلفتات لينتبه العرب إليها. وانظر إلى قول ابن منظور في سعد يقول: سَعِدَ يَسْعَدَ سَعْدًا وسعادةً فهو سعيد نقيض شقي مثل سَلِمَ فهو سليم وسُعِدَ بالضم فهو مسعود والجمع سُعداء والأنثى بالهاء وقال الأزهري: وجائز أن يكون سعيد بمعنى مسعود من سعده الله ويجوز أن يكون من سَعِد يسعد فهو سعيد وقد سعده الله وأسعده وسَعِدَ جده وأسعده أنماه وأسعده الله فهو مسعود ولا يقال مُسْعَدٌ كأنهم استغنوا عنه بمسعود[٢]

أما "العكبري" فيقول في إملاء ما مَنّ به الرحمن:

«سَعِدوا بفتح السين وهو الجيد، وقرئ بضمها وهو ضعيف، وقد ذكر فيها وجهان: أحدهما أنه على حذف الزيادة أي أسعدوا، وأسسه قولهم رجل مسعود والثاني أنه مما لازمه، وتعديه بلفظ واحد مثل شحافاه وشحافوه، وكذلك سُعِدوا وسَعَدْتَهُ، وهو غير معروف في اللغة، ولا هو مقيس»[٣].

(١٣) قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا﴾[٤].

جاء الفعل (كُذِبوا) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل ونحن أمام قراءتين للفعل هنا كُذِبُوا بالذال الخفيفة (وكُذّبوا) بالذال المضعفة وفي هذا بيان:

قال "الفراء" م ٢٠٧هـ: «خفيفة (أي كُذِبوا) وقرأها ابن عباس بالتخفيف وفسرها حتى إذا استيئس الرسل من قومهم أن يؤمنوا، وظن قومهم أن الرسل قد

---

[١] من الآية ١٠٦ من سورة هود.

[٢] ابن منظور: لسان العرب باب السين.

[٣] العكبري: إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ٤٦.

[٤] من الآية ١١٠ سورة يوسف.

كُذِبوا جاءهم نَصْرنا وحُكِيَتْ عن عبد الله (أي ابن مسعود) كُذِّبوا مشددة»[١].

وقال "ابن خالويه" في الحجة : قوله تعالى (أنهم قد كذبوا) يقرأ بتشديد الذال وتخفيفها فالحجة لمن شدّد أنه جعل الظن للأنبياء بمعنى العلم. يريد ولما علموا أن قومهم قد كذّبوهم جاء الرسل نصرنا والحجة لمن خفّف: أنه جعل الظن للكفرة بمعنى الشك وتقديره وظن الكفرة أن الرسل قد كُذِبوا فيما وُعِدوا به من النصر»[٢]

وقال "العكبري" : قوله تعالى (قد كُذّبوا) يُقْرأ بضم الكاف وتشديد الذال وكسرها : أي علموا أنهم نسبوا إلى التكذيب، وقيل الضمير يرجع إلى المرسل إليهم: أي علم الأمم أن الرسل كذّبوهم ويُقرأ بتخفيف الذال، والمراد على هذا الأمم لا غير، ويقرأ بالفتح والتشديد، أي وظنَّ الرسل أن الأمم كذبوهم، ويقرأ بالتخفيف : أي علم الرسل أن الأمم كُذِبُوا فيما ادعوا[٣].

وقد وضح دلالة القراءتين الإمام فخر الدين الرازي كما يلي :

قال : «اعلم أنَّ قراءة عاصم وحمزة والكسائي (كُذِبوا) بالتخفيف وكسر الذال، والباقون بالتشديد، ومعنى التخفيف مِنْ وَجْهَين :

الوجه الأول : إن الظن واقع بالقوم، أي حتى إذا استيئس الرسل من إيمان القوم فظنَّ القوم أنَّ الرسل كُذِبوا فيما وُعِدُوا من النصر والظَّفر، فإن قيل لم يَجْر فيما سبق ذكر المرسل إليهم فكيف يحسن عود هذا الضمير إليهم ؟ قلنا : ذكر الرسل يدل على المرسل إليهم وإن شئت قلت إنَّ ذكرهم جرى في قوله تعالى : ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا﴾[٤]. فيكون الضمير عائدًا إلى الذين من قبلهم من مكذبي الرسل، والظن هنا بمعنى التوهم والحسبان.

---

[١] الفراء : معاني القرآن، جـ٢، ص ٥٦.

[٢] ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ١٩٩.

[٣] العكبري : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ٥٩.

[٤] من الآية ١٠٩ سورة يوسف.

الوجه الثاني : أن يكون المعنى أن الرسل ظنوا أنهم قد كذبوا فيما وعدوا، وهذا التأويل منقول عن أبي مُلَيْكَةَ عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قالوا : وإذا كان الأمر كذلك لأجل ضعف البشرية، إلا أنه بعيد لأن المؤمن لا يجوز أن يظن بالله الكذب، بل يخرج بذلك عن الإيمان فكيف يجوز مثله على الرسل؟

وأما قراءة التشديد ففيها وجهان :

الأول : إن الظن بمعنى اليقين، أي وأيقنوا أنَّ الأمم كذبوهم تكذيبًا لا يُعد فيهم الإيمان بعد ذلك فحينئذ دَعَوْا عليهم، فهناك أنزل الله سبحانه عليهم عذاب الاستئصال وورود الظن بمعنى العلم كثير في القرآن قال تعالى : ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ﴾[1].

الثاني أن يكون الظن بمعنى الحسبان، والتقدير حتى إذا استيئس الرسل من إيمان قومهم فظن الرسل أن الذين آمنوا بهم كذبوهم، وهذا التأويل منقول عن عائشة -رضي الله عنها- وهو أحسن الوجوه المذكورة في الآية[2].

(١٤) قوله تعالى : ﴿بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ﴾[3].

أتى التركيبان (زُيِّن للذين كفروا مَكْرهم وصُدُّوا عن السبيل) مبنيان للمفعول وقد تحدثنا عن نمط التركيب الأول في نائب الفاعل إذا كان اسمًا ظاهرًا أما التركيب الثاني (وصُدُّوا عن السبيل) فأتى نائب الفاعل ضميرًا متصلاً وقد قرئ الفعل (صد) بضم الصاد وفتحها وكسرها وفي هذا بيان :

---

[1] من الآية ٤٦ سورة البقرة.

[2] الإمام فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، حـ٩، ص ص ١٧٠ - ١٧١، وانظر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، حـ٩، ص ٥٦٥، ويؤيد أيضًا قراءة تشديد الدال.

[3] من الآية ٣٣ سورة الرعد.

قال "العكبرى" : «وصُدُّوا يقرأ بفتح الصاد : أى وصدوا غيرهم وبضمها أى وصدهم الشيطان أو شركاؤهم وبكسرها، وأصلها صددوا بضم الأول فنقلت كسرة الدال إلى الصاد»[1] .

وقال الإمام "فخر الدين الرازى" : فى قوله تعالى (وصُدُّوا عن السبيل) فاعلم أنه قرأ عاصم وحمزة والكسائى وصُدُّوا بضَمِّ الصاد وفى حم ﴿وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[2] .

وعند أهل السنة أن الله تعالى صدَّهم.

وللمعتزلة فيه وجهان : قيل الشيطان، وقيل أنفسهم، وبعضهم لبعض كما يقال : فُلانٌ مُعْجَبٌ وإن لم يكن ثمة غيره وهو قول أبى مسلم.

والباقون (وصَدّوا) بفتح الصاد فى السورتين، يعنى أنَّ الكفار صدوا عن سبيل الله، أى أعرضوا وقيل : صرفوا غيرهم، وهو لازم ومُتَعَدٍّ.

وحجة القراءة الأولى مشاكلتها لما قبلها من بناء الفعل للمفعول وحجة القراءة الثانية قوله تعالى : ﴿وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾[3] .

وقال "الإمام القرطبى" : «وصُدُّوا عن السبيل أى صدهم الله تعالى، وهى قراءة حمزة والكسائى وعاصم، والباقون بالفتح، أى صدوا غيرهم، واختاره أبو حاتم اعتبارًا بقوله تعالى ﴿وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾»[4] .

---

[1] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، حـ٢، ص ٦٤ - ٦٥.

[2] من الآية ٣٧ سورة غافر.

[3] من الآية ٩٤ سورة النحل. وانظر الإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، حـ٩، ص ٢٥٣.

[4] من الآية ٢٥ سورة الحج.

وقوله تعالى : ﴿هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾[١] .

وقراءة الضم أيضًا حسنة في زُيِّن وصُدُّوا لأنه معلوم أن الله تعالى فاعل ذلك في مذهب أهل السنة ففيه إثبات القدر، وهو اختيار أبي عبيد.

وقرأ يحيى بن وثاب وعلقمة. وصِدُّوا بكسر الصاد وكذلك قوله تعالى ﴿نَبْغِي هَذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ﴾[٢] . بكسر الراء أيضًا على ما لم يُسَمَّ فاعله، وأصلها صُدِدوا ورُدِدَت، فلما أدغمت الدال الأولى في الثانية نقلت حركتها إلى ما قبلها فانكسر[٣] .

(١٥) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا﴾[٤] .

أتى الفعل (فُتِن) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل به محل الفاعل وأصله المفعول به وقد قرئ الفعل بضم الفاء وكسر التاء مبنيًا للمفعول وقرئ بفتح الفاء والتاء مبنيًا للمعلوم وتختلف الدلالة في القراءتين كما يلي :

قال "ابن خالويه" : (من بعد ما فُتِنوا) «يُقرأ بفتح التاء، والفاء، وبضم الفاء وكسر التاء فالحجة لمن فتح أنه جعل الفعل لهم. والحجة لمن ضم الفاء أنه دل بذلك على بناء ما لم يُسَمَّ فاعله ومعناه أن عمَّار بن ياسر وجماعة من أهل مكة أرادهم كفار قريش على الكفر وأكرهوهم، فقالوا بألسنتهم، وقلوبهم مطمئنة بالإيمان ثم هاجروا إلى المدينة فأخبر الله عزَّ وجلّ بما كان من أخبارهم والحجة لمن جعل الفعل أن ذلك كان منهم قبل الإسلام فمحا الإسلام ما قبله»[٥] .

---

[١] من الآية ٢٥ سورة الفتح.

[٢] من الآية ٦٥ سورة يوسف.

[٣] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٦١٠.

[٤] من الآية ١١٠ سورة النحل.

[٥] ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢١٣.

وقال "العكبرى" : «من بعد ما فُتِنُوا، يُقْرأ على ما لم يُسَمَّ فاعله أى فتنهم غيرهم بالكفر فأجابوا فإن الله عفا لهم عن ذلك. أى رخّص لهم فيه، ويقرأ بفتح الفاء والتاء : أى فتنوا أنفسهم أو فتنوا غيرهم ثم أسلموا»[1]

وقد وضّح دلالة القراءتين الإمام فخر الدين الرازى كما يلى :

قال : قرأ ابن عامر (فَتَنوا) بفتح الفاء على إسناد الفعل إلى الفاعل والباقون بضم الفاء على فعل ما لم يُسَمَّ فاعله.

وأما وجه القراءة الأولى فأمور :

الأول : أن يكون المرادُ أن أكابر المشركين وهم الذين آذوا فقراء المسلمين لو تابوا وهاجروا وصبروا فإنَّ الله يقبل توبتهم.

الثانى : إن فتن وأفتن بمعنى واحد، كما يقال مان وأمان بمعنى واحد.

الثالث : إن أولئك الضعفاء لما ذكروا كلمة الكفر على سبيل التقية فكأنهم فتنوا أنفسهم، وإنما جعل ذلك فتنة، لأنَّ الرخصة فى إظهار كلمة الكفر ما نزلت فى ذلك الوقت.

وأما وجه القراءة بفعل ما لم يُسَمَّ فاعله فظاهر، لأنَّ أولئك المفتونين هم المستضعفون الذين حملهم أقوياء المشركين على الردّة والرجوع عن الإيمان، فبيّن تعالى أنّهم إذا هاجروا وجاهدوا وصبروا فإنَّ الله تعالى يغفر لهم تكلّمَهُمْ بكلمة الكفر.

المسألة الثالثة، قوله (من بعد ما فتنوا) يحتمل أن يكون المراد بالفتنة هو أنهم عُذّبوا، ويحتمل أن يكون المراد أنَّ أولئك المسلمين ارتدّوا.

قال "الحسن" : «هؤلاء الذين هاجروا من المؤمنين كانوا بمكة، فعرضت لهم

---

[1] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ٨٦.

فتنة فارتدّوا وشكّوا في الرسول -صلى الله عليه وسلم- ثم إنّهم أسلموا وهاجروا فنزلت هذه الآية فيهم.

ويحتمل أنْ يكون المرادُ أنَّ أولئك الضعفاء المعذبين تكلّموا بكلمة الكفر على سبيل التقية فقوله تعالى : (من بعد ما فتنوا) يحتمل كل واحد من هذه الوجوه الأربعة وليس في اللفظ ما يدل على التعيين»[1].

(١٦) قوله تعالى : ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾[2].

أتى الفعل (مُلِئ) متصلاً بتاء الفاعل وحلَّ الضمير محلّ الفاعل وقد قُرِئ الفعل بالتخفيف والتشديد للاّم والتشديد للتكرير والتكثير.

«قرأ ابن كثير ونافع ولَمُلِّئت مشدَّدة مهموزة. وروى إسماعيل بن مسلم عن ابن كثير ولَمُلِئْتَ خفيفة وقرأ عاصم وابن عامر وأبو عمرو وحمزة لَمُلِئْتَ خفيفة»[3].

وقال "ابن خالويه" : «قوله تعالى "ولَمُلِئْتَ" يُقرأ بتشديد اللام وتخفيفها وبالهمز وتركه فالحجة لمن شدَّد أنه أراد تكرير الفعل والدوام عليه.

والحجة لمن خفّف أنه أراد مرة واحدة فإما إثبات الهمز فيه فعلى الأصل. وإما تركه فتخفيف فأما تملّيتُ العيش بغير همز»[4].

وقال "الإمام فخر الدين الرازي" : «قوله تعالى : (ولَمُلِئْتَ منهم رُعبًا) أى فزعًا وخوفًا.

---

[1] الإمام فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، جـ٩، ص ٦٤٧، ٦٤٨.

[2] من الآية ١٨ سورة الكهف.

[3] ابن مجاهد : السبعة في القراءات، ص ٣٩٠.

[4] ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢٢٢، وانظر : العكبرى في إملاء ما مَنّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٠٠.

قرأ نافع وابن كثير لَمُلِّئْت بتشديد اللام والهمزة والباقون بتخفيف اللام وروى عن ابن كثير بالتخفيف، والمعنى واحد إلاَّ أنَّ فى التشديد مبالغة.

قال "الأخفش" أجود فى كلام العرب يقال ملأتنى رُعْبًا، ولا يكادون يعرفون ملأتنى ويدل على هذا أكثر استعمالهم ومنه قول الشاعر :

فتملأ بيتنا إقْطًا وسَمْنًا.

وقول الآخر :

ومن مالىء عَيْنَيْه من شيء غيره

إذا راح نحو الحجرة البيض كالدُّمى

وقوله الآخر :

لا تـملأ الدلو وعِرْقُ فيها

وقال الآخر :

امتلأ الحوض وقال قَطْنِى

وقد جاء بالتثقيل أيضًا، وأنشدوا للمخبل السعدى :

وإذا قتل النعمان بالناس مُحرما

فملأ من عوف بن كعب سلاسِلُه»[١].

(١٧) وفى قوله تعالى : ﴿وَعُرِضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا﴾[٢].

أتى الفعل (عرض) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل.

---

[١] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٠، ص ص ٢٧٤، ٢٨٥.

[٢] من الآية ٤٨ سورة الكهف.

قال "أبو السعود" «وفى الالتفات إلى الغيبة[١] وبناء الفعل للمفعول مع التعرض لعنوان الربوبيَّة والإضافة إلى ضميره (أى الكاف) -صلى الله عليه وسلم- من تربية المهابة والجرى على سنن الكبرياء وإظهار اللطف به -صلى الله عليه وسلم- ما لا يخفى»[٢] .

وقيل فى دلالة التركيب : «عرضوا مصفوفين كل أمة وزمرة صفًا صفًا؛ وقيل عُرضوا صفًّا واحدًا كما فى قوله تعالى ﴿ثم ائتوا صفًّا﴾ أى جميعًا؛ وقيل قيامًا، وفى الآية تشبيه حالهم بحال الجيش الذى يُعْرَضُ على السلطان»[٣] .

(١٧) وفى قوله تعالى : ﴿وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾[٤] .

أتى الفعل (حُمِّل) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل (نا) محل الفاعل وقرئ الفعل بالتخفيف والتشديد.

قرأ الحرميان وابن عامر وأبو جعفر وحفص ورويس «حُمِّلْنا بضم الحاء وكسر الميم مشدّدة والباقون بفتحها مع التخفيف»[٥] .

وقال "ابن خالويه" فى الحجة : «ولكنا حُمِّلنا يقرأ بالتخفيف والتشديد فالحجة لمن خفَّف أنه أرادهم بالفعل، وجعل النون والألف المتصلين به فى موضع رفع على أنه فاعل (أى حَمَلْنا) والحجة لِمَنْ شدَّد أنَّه جعل الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله،

---

[١] الالتفات فى الآية الكريمة لأن ما قبلها الآية ٤٧ :

﴿ويوم نُسَيِّرُ الجبال وترى الأرض بارزةً وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا﴾ فانتقل من الحاضر إلى الماضى.

[٢] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٣٨٥.

[٣] الشوكانى : فتح القدير، جـ٣، ص ص ٤١١، ٤١٢.

[٤] من الآية ٨٧ سورة طه.

[٥] ابن الجزرى : تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١.

ودل عليه بضمّ أوله وكان أصْله ولكننا حَمَّلنا السامِرىّ فلما حذف الفاعل أقيم المفعول مقامه، فرفع، لأن الفعل الذى كان حديثًا عن الفاعل صار عن المفعول فارتفع»[1].

ووضح القراءتين الشوكانى بقوله :

«حُمِّلنا : بضم الحاء وتشديد الميم قرأ نافع وابن كثير وابن عامر وحفص وأبو جعفر ورُوَيْس، وقرأ الباقون بفتح الحاء والميم مخفّفة، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لأنهم حملوا حلية القوم معهم باختيارهم، وما حملوها كرهًا، فإنهم كانوا استعاروها منهم حين حين أرادوا الخروج مع موسى، وأوهموهم أنّهم يجتمعون فى عيد لَهُم أوْ وَلِيمة، وقيل هو ما أخذوه من آل فرعون لما قذفهم البحر إلى الساحل، وسميت أوزارًا : أى آثامًا، لأنه لا يحل لهم أخذها، ولا تحل لهم الغنائم فى شريعتهم والأوزار فى الأصل الأثقال كما صرح به أهل اللغة، والمراد بالزينة هنا الحلّى»[2].

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب «استدراك عما سبق واعتذار عما فعلوا ببيان منشأ الخطأ وقرئ حَمَلْنا أى حملنا أحمالاً من حلْى القبط التى استعرناهم منهم حين هممنا بالخروج من مصر باسم العرس وقيل كانوا استعاروها لعيد كان لهم ثم لم يردوها إليهم عند الخروج مخافة أن يقفوا على أمْرِهم وقيل هى ما ألقاه البحر على الساحل بعد إغراقهم فأخذوها ولعل تسميتهم لها أوزارًا لأنها تَبِعاتٌ وآثام حيث لم تكن الغنائم تحل حينئذٍ»[3].

(١٨) قوله تعالى : ﴿وَلَا هُمْ مِنَّا يُصْحَبُونَ﴾[4].

أتى الفعل (يُصْحب) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وقد

---

[1] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٤٦.

[2] الشوكانى : فتح القدير، جـ٣، ص ٥٣٨.

[3] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٨٣.

[4] من الآية ٤٣ سورة الأنبياء.

اختلف فى دلالة التركيب كما يلى :

قال "الفرّاء" : «(ولاهم منا يُصْحَبُون) يعنى الكفار يعنى يجارُون وهى منا لا تُجار ألا ترى أن العرب تقول (كان لنا جارًا) ومعناه يجيرك ويَمْنَعُك فقال يُصْحَبُون بالإجارة»(١).

وقال "القرطبى" : «ولا هم منا يُصْحبون، قال ابن عباس : يُمْنعون وعنه يُجارون، وهو اختيار الطبرى : تقول العرب أنا لك جار وصاحب من فلان أى مجير منه.

قال الشاعر :

ينادى بأعلى صوته متعوِّذًا

ليُصْحَبَ منها والرماح دوانى

وروى معمر عن ابن أبى نجيح عن مجاهد قال : يُنْصرون : أى يُحفظون ، قتادة : أى لا يصحبهم الله بخير، ولا يجعل رحمته صاحبًا لهم»(٢).

(١٩) قوله تعالى : ﴿ثُمَّ نُكِسُوا عَلَى رُءُوسِهِمْ﴾(٣).

أتى الفعل (نُكِسَ) مبنيًا للمفعول وحل الضمير المتصل محل الفاعل وقرئ الفعل بتخفيف الكاف وتشديدها وفى ذلك بيان :

قال "الفراء" : «ثم نكسوا على رؤوسهم : يقول رجعوا عندما عرفوا من حجة إبراهيم -عليه السلام-»(٤).

---

(١) الفراء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢٠٥.

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٩، ص ٥١١، وانظر أبو السعود فى تفسيره، مجلد ٣، ص ٥١٩، والإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ١١، ص ١٣٢.

(٣) من الآية ٦٥ سورة الأنبياء.

(٤) الفراء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢٠٧.

وقال "فخر الدين الرازى" : «فيه مسألتان :

الأولى فى المعنى وجوه : أحدهما : إنّ المراد استقاموا حين رجعوا إلى أنفسهم وأتوا بالفكرة الصالحة، ثم انتكسوا فقلبوا عن تلك الحالة، فأخذوا فى المجادلة بالباطل وأن هؤلاء مع تقاصر حالهم عن حال الحيوان الناطق آلهة معبودة.

ثانيها : قلبوا على رؤوسهم حقيقة لفرط إطراقهم خجلاً وانكسارًا وانخذالاً مما بَهَتَهُم به إبراهيم فما أحاروا جوابًا إلا ما هو حجة عليهم.

ثالثها : قال ابن جرير (أى الطبرى) ثم نكسوا على رؤوسهم فى الحجة عليهم لإبراهيم حين جادلهم أى قلبوا فى الحجة واحتجوا على إبراهيم بما هو الحجة لإبراهيم عليهم فالمعنى نكست حجتهم فأُقيم الخبر عنهم مقام الخبر عن حجتهم.

المسألة الثانية : قُرِئ نُكِّسوا بالتشديد ونُكِسُوا (على لفظ ما لم يُسَمَّ فاعله) أى نكسوا أنفسهم على رؤوسهم وهى قراءة رضوان بن عبد المعبود»[1].

وما ذكره الإمام فخر الدين الرازى أيّده بعضهم فى وجوه لكن الوجه الذى ذكر فيه أنهم طأطأوا رؤوسهم خجلاً من إبراهيم ضعّفه كثير من المفسرين منهم الإمام القرطبى والشوكانى[2]. قالا لأنه لم يقل نَكِسُوا رؤوسهم بفتح الكاف بل قال نُكِسُوا على رؤوسهم.

وقال "أبو السعود" : «أى انقلبوا إلى المجادلة بعدما استقاموا بالمراجعة شبّه عودهم إلى الباطل بصيرورة أسفل الشيء أعلاه»[3].

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١١، ص ١٥٠.

[2] انظر الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٩، ص ٨٢٠، والإمام الشوكانى : فتح القدير، جـ٣، ص ٥٨٥.

[3] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٥٢٦.

(٢١) قوله تعالى : ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا﴾[(١)] .

أتت الأفعال (أُذِنَ) - (يُقَاتَلُون) - (ظُلِموا) مبنية للمجهول وما يهمنا هنا الفعلين (يُقاتلون) - (ظُلِموا) اللذين اتصلا بالضمير الذى حل محل الفاعل أما الفعل (أذن) فسنتحدث عنه إن شاء الحق تعالى فى بابه.

أما الفعل (يُقاتَلُون) فقد قرئ بفتح التاء على البناء للمفعول وبكسرها على البناء للفاعل وتختلف الدلالة فى ذلك :

قال "الفراء" : «أُذِنَ للذين يُقَاتَلُون ويقاتِلون (فتح التاء لنافع وابن عامر وحفص وأبى جعفر وكسرها للباقين)ومعناه أذن للذين يقاتلون أن يقاتلوا، أما قراءة المبنى للمعلوم فالمعنى أُذِن لهم أن يقاتلوا وكُلٌّ صواب»[(٢)] .

وقال "أبو السعود" : «أُذِنَ أى رُخِّص وقرئ على البناء للمفعول أى أذن الله تعالى (للذين يُقاتلون) أى يقاتلهم المشركون والمأذون فيه محذوف لدلالة المذكور عليه فإن مقابلة المشركين إياهم دالة على مقاتلتهم إياهم دلالة نَيِّرَةً.

وقرئ على صيغة المبنى للفاعل أى يريدون أن يقاتلوا المشركين ويحرصون عليه فدلالته على المحذوف أظهر (بأنهم ظُلِموا) أى بسبب أنهم ظلموا وهم أصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- ورضى عنهم كان المشركون يؤذونهم وكانوا يأتونه -عليه السلام- بَيْن مضروب ومشجوج ويتظلمون إليه فيقول -عليه السلام- لهم اصبروا فإنى لم أومر بالقتال حتى هاجروا فأنزلت وهى أول آية نزلت فى القتال بعدما نهى عنه فى نيف وسبعين آية»[(٣)] .

وقال "فخر الدين الرازى" : «أذن للذين يُقَاتَلون بأنهم ظُلِموا، فيه مسائل:

---

(١) من الآية ٣٩ سورة الحج.

(٢) الفراء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢٢٧.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٢١.

المسألة الأولى :

قرأ أهل المدينة والبصرة وعاصم في رواية حفص (أُذِنَ) بضم الألف والباقون بفتحها أي أذن الله لهم في القتال وقرأ أهل المدينة وعاصم (يُقاتلون) بنصب التاء (أي بفتحها) وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي (أذن) بنصب الألف أي بفتح الهمزة ويقاتلون بكسر التاء.

وقال الفرّاء والزجاج : يعني أذن الله للذين يحرصون على قتال المشركين في المستقبل. ومن قرأ بفتح التاء فالتقدير أذن للذين يقاتلون في القتال.

المسألة الثانية :

في الآية محذوف والتقدير أذن للذين يقاتلون في القتال فحذف المأذون فيه لدلالة يقاتلون عليه.

أما قوله تعالى (ظُلِموا) فذكر قول أبي السعود السابق نصًا وزاد وقيل نزلت في قوم خرجوا مهاجرين فاعترضهم مشركو مكة فأذن لهم في مقاتلتهم»[١].

(٢١) قوله تعالى : ﴿أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَامًا﴾[٢].

أتى في الآية الكريمة السابقة فعلان مبنيان للمفعول وهما (يُجْزون) (يُلَقَّوْنَ).

أما الأول : «فيدل على جزاء المؤمنين في الآخرة من السعادة الأبدية والغرفةُ الدرجة العالية من المنازل وكل بناء مرتفع أي يثابون أعلى منازل الجنة وقيل هي اسم جنس أريد به الجمع وقيل هي اسم من أسماء الجنة»[٣].

---

(١) الإمام فخر الدين الرازي : مفاتيح الغيب، جـ١١، ص ٢٩٢.

(٢) الآية ٧٥ سورة الفرقان.

(٣) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ١٢١.

أما الفعل الثاني (يُلَقَّون) : فقد قرئ بتشديد القاف وبضم الياء على البناء للمفعول وقرئ (ويَلْقَون) بتخفيف القاف وفتحها وفتح الياء على البناء للمعلوم وفى هذا بيان.

قال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويُلَقَّون وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائى ويَلْقَوْن»[1].

وقال "الفرّاء" فى دلالة القراءتين :

«وَيَلقَوْن ويُلَقَّوْن فيها كُلٌّ قد قُرئ به (ويَلْقَون) أعجب إلىّ لأنَّ القراءة لو كانت على (يُلَقَّون) كانت بالياء فى العربية، لأنك تقول فُلانٌ يتلقى بالسلام وبالخير وهو صواب، يُلَقَّونه ويُلَقَّون به كما تقول : أخذت بالخطام وأخذته»[2].

وقال "ابن خالويه" : «ويُلَقَّون فيها يُقرأ بتشديد القاف وتخفيفها فالحجة لمن شدَّد أنه أراد تكرير تحية السلام عليهم مرة بعد أخرى دليله قوله تعالى : ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[3].

والحجة لمن خفَّف : أنه جعله من اللقاء لا من التلقى كقولك لقيته ألقاه، ويلقاه منى ما يسّره»[4].

وقال "الشوكانى فى توضيح القراءتين :

«ويلقَّوْن فيها تحية وسلامًا : قرأ أبو بكر والمفضل والأعمش ويحيى ابن وثاب وحمزة والكسائى وخلف (يَلْقَوْن) بفتح الياء وسكون اللام وتخفيف القاف، واختار هذه القراءة الفرّاء، قال : لأن العرب تقول : فلان يلقى بالسلام والتحية

---

[1] ابن مجاهد : السبعة فى القراءات، ص ٤٦٨.

[2] الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢٧٥.

[3] من الآية ١١ سورة الإنسان.

[4] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٦٧.

والخير، وقلّ ما يقولون يُلَقَّى. وقرأ الباقون بضم الياء وفتح اللام وتشديد القاف، واختار هذه القراءة أبو عبيد وأبو حاتم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾[1]. والمعنى أنه يحيي بعضهم بعضًا ويرسل إليهم الرب سبحانه بالسلام، قيل التحية البقاء الدائم والملك العظيم وقيل هي بمعنى السلام وقيل: إنّ الملائكة تحييهم وتسلم عليهم والظاهر أن هذه التحية والسلام هي من الله سبحانه لهم، ومن ذلك قوله سبحانه ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ﴾[2]. وقيل معنى التحية: الدعاء لهم بطول الحياة، ومعنى السلام: الدعاء لهم بالسلامة من الآفات»[3].

(٢٢) قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾[4].

أتى الفعل (يُحْبَرُون) مبنيًا للمفعول وحلّ الضمير المتصل محل الفاعل واختلف المفسرون في دلالة الفعل هنا.

قال "أبو السعود": «الحبور السرور يقال حبره إذا سره سرورًا تهلّل له وجهه وقيل الحبرة كل نعمة حسنة والتحبير التحسين واختلفت فيه الأقاويل لاحتماله وجوه جميع المسار فعن ابن عباس ومجاهد يكرمون وعن قتادة يُنعّمون وعن ابن كيسان يحلّون وعن بَكْر بن عيَّاش التيجانُ على رؤوسهم وعن وكيع السماع في الجنة»[5].

(٢٣) قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِندِي﴾[6].

---

(1) من الآية ١١ سورة الإنسان.

(2) من الآية ٤٤ سورة الأحزاب.

(3) الشوكاني: فتح القدير، جـ٤، ص ١٢٩.

(4) من الآية ١٥ سورة الروم.

(5) أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٢٧٢.

(6) من الآية ٧٨ سورة القصص.

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾(١).

أتى التركيبان (إنما أوتيته على علم عندى) - و(إنما أوتيته على علم) مبنيان للمفعول بالفعل (أوتى) الذى يتعدى إلى مفعولين وحل المفعول الأول محل الفاعل وبقى المفعول الثانى.

أما التركيب الأول فجاء بزيادة الظرف مضافًا إلى ياء المتكلم فى سياق قصة قارون الذى بغى وتكبّر بعد أن آتاه الحق تعالى مالاً وفيرًا فظنّ أنّ هذا المال قد وهبه الله تعالى له بفضله أو لعلمه بالتوارة.

وأتى التركيب الثانى فى سياق الحديث عن بنى آدم الذى يذكر الحق تعالى وقت الضراء وينساه ساعة السرّاء فإذا أنعم الحق تعالى عليه قال إن هذه النعمة بفضله وجهده.

وفى دلالة التركيب الأول :

قال "أبو الفرج بن الجوزى" : فيه خمسة أقوال : أحدها على علم عندى بصفة الذهب رواه أبو صالح عن ابن عباس، قال الزّجاج وهذا لا أصل له، لأن الكيمياء باطل لا حقيقة له.

والثانى : يرضى الله عنى قال "ابن زيد" أى لولا رضى الله عنى ومعرفته بفضلى، ما أعطانى هذا المال.

والثالث : على خير علمه الله عندى قاله مقاتل.

والرابع : إنما أعطيته لفضل علمى قاله الفرّاء(٢).

---

(١) من الآية ٤٩ سورة الزمر.

(٢) الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٣٧٥.

قال "الزجاج" : «ادّعى أنه أعطى المال لعلمه بالتوراة.

والخامس على علم عندى بوجوه المكاسب حكاه الماوردى»[1].

وفي التركيب الثانى عن الإنسان بصفة عامة الذى ينسى الحق تعالى ويستغنى ساعة الرخاء.

قال : (إنما أوتيته على علم)، قال "أبو السعود" : «أى علم منى بوجوه كسبه أو بأنى سأعطاه لمالى من الاستحقاق أو على علم من الله تعالى بى وباستحقاقى والهاء لما إن جعلت موصولة وإلا فلنعمة والتذكير لما أن المراد شىء من النعمة»[2].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «ما المراد من قوله تعالى : (إنما أوتيته على علم الجواب) يحتمل أن يكون المراد : إنما أوتيته على علم الله بكونى مستحقًا لذلك، ويحتمل أن يكون المراد : إنما أوتيته على علمي بكَوْنى مستحقًا له، ويحتمل أن يكون المراد إنما أوتيته على علم لأجل ذلك العلم قدرت على اكتسابه مثل أن يكون مريضًا فيعالج نفسه، فيقول إنما وجدت الصِّحةَ لعلمى بكيفية العلاج، وإنما وجدت المال لعلمي بكيفية الكسب»[3].

ونلاحظ أن التركيب الأول زاد الظرف (عند) مضافًا إلى ياء المتكلم.

قال "العكبرى" : «عندى صفة لعلم، ويجوز أن يكون ظرفًا لأوتيته أى أوتيته فيما أعتقد من علم»[4]. وهذا يدل على تجبر وتكبر قارون فكانت نهايته الأليمة.

---

[1] أبو الفرج بن الجوزى : زاد المسير فى علم التفسير، جـ٦، ص ٢٤٢، وانظر الشوكانى : فى فتح القدير، جـ٤، ص ٢٦٢.

[2] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٧٣.

[3] فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٥٣.

[4] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٨٠.

(٢٤) قوله تعالى : ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ﴾[1].

أتى في الآية الكريمة السابقة فعلان مبنيان للمفعول (يُنَادَوْن) (وتُدْعون) وحل الضمير المتصل محل الفاعل أما دلالة التركيبين فقالوا فيها :

قال "الفراء" : «المعنى ينادون إنّ مقت الله إياكم أكبر من مَقْتِكُمْ أنفسكم إذ تركوا الإيمان، ولكن اللام تكفى من أن تقول فى الكلام : ناديت أن زيدًا قام وناديت لزيد قائم ومثله قوله تعالى : ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ﴾[2]. اللام بمنزلة لأنّ فى كل كلام ضارع القول مثل : ينادون - يخبرون، وما أشبه ذلك»[3].

وقال "أبو السعود" : «(ينادون) أى من مكان بعيدوهم فى النار وقد مقتوا أنفسهم الأمّارة بالسوء التى وقعوا فيها وقعوا باتباع هواها أو مقت بعضهم بعضًا أى أبغضوا أَنْفُسَهُمْ أشدَّ البُغْضِ وأنكروها أبلغ الإنكار وأظهروا ذلك على رؤوس الأشهاد فيقال لهم عند ذلك (لمقت الله أكبر من مقتكم هذا) أى لمقت الله أنفسكم الأمّارة بالسوء أو مقته إياكم فى الدنيا (إذ تُدعَون) من جهة الأنبياء إلى الإيمان فتأبون قبوله فتكفرون اتباعًا لأنفسكم الأمّارة أو اقتداء بأخلائكم المضلين»[4].

وذهب فخر الدين الرازى «إلى أن الذين ينادونهم ويذكرون أن لهم هذا الكلام همْ خزنة جهنم»[5].

---

(١) الآية ١٠ سورة غافر (المؤمن).

(٢) من الآية ٣٥ سورة يوسف.

(٣) الفرّاء : معانى القرآن، جـ٣، ص ٦.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٨٢.

(٥) فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٥١١.

إنه جمع بين اللغتين ليعلم بجوازهما وفرّق بعضهم بين ذلك فقال : إنما فتح هاهنا لقوله ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ الصافات (٤٧) وهو كل ما اغتال الإنسان فأهلكه وذهب بعقله وكسر في الواقعة لأن الله تعالى وصف الجنة وفاكهتها وجعل شرابها من معين، والمعين لا ينفد، فكان ذهاب العقل في الصافات أشبه ونفاد الشراب في الواقعة أشكل»[1].

وقال "الرازى" عن التراكيب فى الآية الثانية (لا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلا يُنْزِفُونَ) «فيه وجهان :

أحدهما : لا يصيبهم صراع يقال صدعني فلان أى أورثني الصداع.

الثاني : لا يتزفون عنها ولا ينفدونها من الصدع، والظاهر أن أصل الصداع منه وذلك لأن الألم الذى فى الرأس يكون فى أكثر الأمر بخلط وريح فى أغشية الدماغ فيؤلمه فيكون الذى به صداع كأنه يتطرق فى غشاء دماغه»[2].

وقال "القرطبى" (لا يُصَدَّعُون عنها) أى لا تتصدع رؤوسهم من شربها أى إنها لذة بلا أذى بخلاف شرب الدنيا وقرأ مجاهد (لا يُصَّدّعون) بمعنى لا يتصدعون أى لا يتفرقون»[3].

---

(١) ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٣٠٢.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٥، ص ٢٥٨.

(٣) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٥، ص ٣٧٣.

(٢٥) قوله تعالى : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾[١] .

وقوله تعالى : ﴿لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾[٢] .

أتى فى الآيتين الكريمتين تركيبان مبنيان للمفعول وهما (يُـنْزَفُون) - (يُصَدَّعون) ونلاحظ أن قراءة حفص عن عاصم فى الآية الثانية من سورة الواقعة كانت مبنية للمعلوم وهناك قراءة أخرى مبنية للمفعول وقد كان سياق التراكيب الحديث فى خمر الجنة التى لا تذهب العقل ولا تأتى بالضُر والأرق وفى هذا بيان للقراءات ودلالتها.

قال "الفراء" عن الآية الأولى : «(ولا هم عنها يُـنْزَفُون) (ويُـنْزِفون) بكسر الزاء وفتحها وأصحاب عبد الله يقرؤون يُنْزِفُون وله معنيان ويقال قد أنـزف الرجل إذا فنيت خمره، وأنزف إذا ذهب عقلـه فهـذان وجهـان ومن قـال (يُـنْزَفُون) بالبناء للمفعول يقول : لا تذهب عقولهم من نُزِفَ الرجل فهو منزوف»[٣] .

وقال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن كثير ونـافع وأبـو عمـرو وابـن عـامر يُـنْزَفُون بنصب الزاى ههنا وفى الواقعة من الآية ١٩ وقرأ عاصم بفتح الزاى هنا وفى الواقعة بكسرها وقرأ حمزة والكسائى ينزِفون بكسر الزاى فى الموضعين»[٤] .

وقال "ابن خالويه" فى توضيح هذه القراءات :

«ولا هم (يُنْزَفُون) يُقْرأ هاهنا وفى الواقعة بكسر الزاى وفتحها فالحجة لمـن قرأه بالكسر أنه أراد لا ينفذ شرابهم والحجة لمـن فتـح أنـه أراد لا تـزول عقولهـم إذا شربوها بالسُّكْر وفرّق (عاصم) بينهما فقرأها هنا بالفتح، وفى الواقعة بالكسر فقيل:

---

[١] من الآية ٤٧ سورة الصافات.

[٢] من الآية ١٩ سورة الواقعة.

[٣] الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٣٨٥.

[٤] ابن مجاهد : السبعة، ص ٣٠٢.

الفصل الخامس

المبنى للمجهول ونائب الفاعل شبه جملة

المبنى للمفعول ونائب الفاعل شبه الجملة

أتى شبه الجملة (جار ومجرور) فى كثير من الآيات الكريمة مقام الفاعل ولكن اختلف النحويون فى ذلك وقد رأينا أن البصريين يذهبون إلى أن الذى يقوم مقام الفاعل هو المجرور وحده أما الكوفيون ومعهم ابن مالك فذهبوا إلى أن القائم مقام الفاعل هو الجار والمجرور وذهب الفرّاء وحده إلى أن القائم مقام الفاعل هو حرف الجر وقيل هذا لا يعقل[1].

واختلف النحويون أيضًا فى كثير من الآيات عن الذى قام مقام الفاعل أهو الجار والمجرور أم ضمير مبهم - أم ضمير مستتر وفى ذلك تفصيل وبيان :

(١) فى قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[2].

أتى (المغضوب) هنا اسم مفعول يعمل عمل الفعل المبنى للمفعول وحل (شبه الجملة) عليهم - محل نائب الفاعل.

قال "مكى بن أبى طالب" : «(عليهم) فى موضع رفع مفعول لم يُسَمَّ فاعله للمغضوب لأنه بمعنى الذين غضب عليهم ولا ضمير فيه إذ لا يتعدى إلا بحرف الجر بمنزلة مُرَّ بذلك ولذلك لم يجمع»[3].

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب : «غير المغضوب عليهم مُرْتَفِعٌ بالمغضوب قائم مقام فاعله والعدول عن إسناد الغضب إليه تعالى كالإنعام جرى على منهاج الآداب التنزيلية فى نسبة النعم والخيرات إليه عز وجل دون أضدادها كما فى

---

[1] انظر فى تفصيل ذلك : السيوطى فى همع الهوامع، جـ١، ص ١٦٢، وخالد الأزهرى فى التصريح على التوضيح، جـ١، ص ٢٨٧.

[2] من الآية ٧ سورة الفاتحة.

[3] مكى بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن، جـ١، ص ٧٢.

وانظر السمين الحلبى فى الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، جـ١، ص ٧١.

قوله تعالى : ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ * وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ * وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ »[١] .

(٢) وفى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٢] .

أتى الفعل (أنزل) وشبه الجملة (إليك) فى كثير من آيات القرآن العظيم ليقوم مقام الفاعل، وأتى شبه الجملة (عليك) مع الفعل أنزل أيضًا وأتى لفظ الجلالة (رب) مضافًا إلى الضمير العائد إلى الرسول -صلى الله عليه وسلم- مرة ومضافًا إلى المسلمين أخرى وأتى الفعل (نُزِّل) بالتشديد ليدل على الكثرة والقوة ومعه شبه الجملة (إليهم) ليقوم مقام الفاعل وفى ذلك بيان.

وفى قوله تعالى : ﴿وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ﴾[٣] .

أتى شبه الجملة قائمًا مقام الفاعل لكن "السمين الحلبى" يرى «أن عائد اسم الموصول هو الضمير القائم مقام الفاعل»[٤] .

ويقول "أبو السعود" فى دلالة التركيب هنا :

«والتعبير عن إنزاله بالماضى مع كون بعضه مترقبًا حينئذ لتغليب المحقق على المقدر أو لتنزيل ما فى شرف الوقوع لتحققه منزلة الواقع - وبناء الفعلين للمفعول للإيذان بتعيين الفاعل والجرى على سنن الكبرياء وقد قرئا على البناء للفاعل»[٥] .

---

[١] الآيات ٧٨ - ٨٠ سورة الشعراء، وانظر أبو السعود فى تفسيره، جـ١، ص ٢٣.

[٢] من الآية ٤ سورة البقرة.

[٣] من الآية ٤ سورة البقرة.

[٤] السمين الحلبى : الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، جـ١، ص ٩٨.

[٥] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٣٩.

وفي قوله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ﴾[١] .

وفي قوله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ﴾[٢] .

وقوله تعالى : ﴿كِتَابٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾[٣] .

وقوله تعالى : ﴿قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ﴾[٤] .

وقوله تعالى : ﴿قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ﴾[٥] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ﴾[٦] .

وقوله تعالى : ﴿اتَّبِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾[٧] .

أتى هنا بعد الفعل (أُنزل) المبنى للمفعول شبه الجملة مرتين (إليكم) (من ربّكم) وقد حل شبه الجملة (إليكم) محل الفاعل في رأى جمهور النحويين أما (من ربّكم) فقال "العكبرى" : «يجوز أن يتعلق بأنزل، ويكون لابتداء الغاية، وأنه متعلق بمحذوف، ويكون حالاً، أى أنزل إليكم كائنًا من ربكم»[٨] .

---

[١] من الآية ١٣٦ سورة البقرة.

[٢] من الآية ٥٩ سورة المائدة.

[٣] من الآية ٢ سورة الأعراف.

[٤] من الآية ٩١ سورة البقرة.

[٥] من الآية ٨٤ سورة آل عمران.

[٦] من الآية ١٠٢ سورة البقرة.

[٧] من الآية ٣ سورة الأعراف.

[٨] العكبرى : إملاء ما منَّ به الرحمن، حـ١، ص ٢٦٨.

وأمـا قولـه تعـالى : ﴿وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ﴾[1] . فقـد يظُنُّ بعض الباحثين أن (الحق) هنا يقوم مقام الفاعل وهذا خطأ.

قال "الفراء" : «والذى رفع بالاستئناف وخبره الحـق. وإن شئت جعلت الذى خفضا نعتًا للكتاب مردودًا عليه، وإن كانت فيه الواو كما فى قوله :

«إلى الملك القَرْمِ وابن الهمام وليث الكتيبة فى المُزْدَحَمِ»[2] .

وقد وضّح ذلك العكبرى بقوله :

«والذى (أُنزِل) فيه وجهان : أحدهما هو فى موضع رفع (والحـقُّ) خبره، ويجوز أن يكون الخبر من ربك، والحق خبر مبتدأ محذوف، أو هو خبر بعد خبر، وكلاهما خبر واحد، ولو قرئ الحق بالجر لجاز على أن يكـون صفـة لربـك، الوجه الثانى أن يكون، والذى صفة للكتاب، وأدخلت الواو فى الصفـة كما أدخلت فى النازلين والطيبين، والحق بالرفع على هذا خبر مبتدأ محذوف»[3] .

ووضح دلالة التركيب هنا "أبو السعود" بقوله :(والـذى أنـزل إليـك مـن ربك الحق) «أى الكتاب المذكور بكماله لا هذه السورة وحدهـا، وفـى التعبير عنه بالموصول وإسناد الإنزال إليه بصيغة المبنى للمفعول والتعرض لوصف الربوبيَّة مضافًـا إلى ضميره عليه السلام من الدلالة على فخامة المُنزَّل التابعة لجلالـة شـأن المُنَزَّل إليه والإيحاء إلى وجه بناء الخبر ما لا يخفى»[4] .

---

[1] من الآية ١ سورة الرعد.

[2] الفراء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٥٨.

[3] العكبرى : إملاء ما منَّ به الرحمن، جـ١، ص ٦١.

[4] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٤٤.

(٣) قوله تعالى : ﴿وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾[١] .

أتـى التركيب (وعلى المولود له رِزْقُهُنَّ) مبنيًا للمفعول بصيغة اسم المفعول (المولود) الذى يعمل على الفعل المبنى للمفعـول (وُلِـدَ) وقـد اختلـف النحويـون فـى نائب الفاعل هنا :

قال "العكبرى" : «وعلى المولود، الألف واللام بمعنى الـذى والعـائد عليهـا الهاء فى (له) وله القائمُ مقام الفاعل»[٢] .

وقال "أبو حيان الأندلسى" : «إن المفعول الذى لم يُسَمَّ فاعله هنا هو الجار والمجرور، وحـذف الفـاعل وهـو الوالـدات والمفعـول بـه، وهـو الأولاد وأقيـم الجـار والمجرور مقام الفاعل. وهذا على مذهب البصريين، ولكن الكوفيين اختلفوا فى الذى أقيم مقام الفاعل هنا فذهب الكسائى وهشام بن معاوية الضرير إلى أن مفعول الفعل ضمير مبهم مستتر فى الفعل، وإبهامه من حيث أنه يحتمل أن يراد بـه مـا يـدل على الفعل من مصدر أو ظرف زمان أو ظرف مكان، وذهب الفـرّاء إلى أن حـرف الجـر وحده فى موضع رفع كما أن يقوم من زيد يقوم فى موضع رفع»[٣] .

والرأى الأقوى هنا هو رأى البصريين

(٤) قوله تعالى : ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً﴾[٤] .

أتى التركيب (محرَّمة) عليهم مبنيًا للمفعول وعمل اسم المفعول (محرّم) عمل الفعل المبنى للمفعول (حُرِّم) واختلف النحويون فى مفعول ما لم يُسَمَّ فاعله.

---

[١] من الآية ٢٣٣ سورة البقرة.

[٢] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ١، ص ٩٧.

[٣] أبو حيان الأندلسى : البحر المحيط، جـ٢، ص ٢١٣.

[٤] من الآية ٢٦ سورة المائدة.

قال البصريون : «نائب الفاعل شبه الجملة وتقدير الجملة (فإن الله حرّم الأرض عليهم. فلما حذف المفعول والفاعل معلوم وهو مقام العزة قام شبه الجملة مقام الفاعل.

وقال الكوفيون : نائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هي يعود على دخول الأرض وتقدير المعلوم : إنَّ الله تعالى حرم دخولها عليهم»[1] .

ورأى الكوفيين هنا يناسب المعنى القرآني ولا يحتاج إلى إيضاح «(وأربعين سنة) ظرف لمحرَّمة، فالتحريم على هذا مقدر وقيل هي ظرف ليتيهون، فالتحريم على هذا غير مؤقت»[2] .

وقال "القرطبي" في دلالة التركيب : (معنى) محرّمة : أي أنهم ممنوعون من دخولها كما يقال حرّم الله وَجْهَكَ على النار وحرَّمْتُ عليك دخول الدار، فهو تحريم منع لا تحريم شرع عن أكثر أهل التفسير، كما قال الشاعر :

جالت لتصرعني فقلت لها اقصري

إنــي امرؤٌ صَرْعِي عليــك حرامُ

أي أنا فارس فلا يمكنك صرعي. وقال أبو علي يجوز أن يكون تحريم تعبد[3] :

(٥) قوله تعالى : ﴿مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ﴾[4] .

أتــى التركيب (يُصرف عنه يومئذ) مبنيًا للمفعول ونلاحظ أن هناك (شبه

---

[1] السمين الحلبي : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، جـ٢، ص ١٢٥.

[2] العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن، جـ١، ص ١٢٣.

[3] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، ص ٦٥١، وانظر أبو السعود : جـ١، ص ٢٨.

[4] من الآية ١٦ سورة الأنعام.

الجملة الأولى جار ومجرور والثاني ظرف مركب) وقد قُرِئ الفعل (يصرف) مبنيًا للمفعول ومبنيًا للفاعل.

واختلف النحويون أيضًا في من يقوم مقام الفاعل وفي هذا بيان :

قال "العكبري" : (مَنْ يُصْرَف عنه) يقرأ بضم الياء وفتح الراء على ما لم يُسَمَّ فاعله، وفي القائم مقام الفاعل وجهان، أحدهما (يومئذ) أي من يصرف عنه عذاب يومئذ فحذف المضاف، ويومئذ مبني على الفتح. والثاني أن يكون مضمرًا في يصرف يرجع إلى العذاب فيكون يومئذ ظرفًا ليصرف أو للعذاب أو حالاً من الضمير.

ويُقرأ بفتح الياء وكسر الراء على تسمية الفاعل أي من يَصْرِفْ الله عنه العذاب، فمن على هذا مبتدأ، والعائد عليه الهاء في عنه وفي (رحمة) والمفعول محذوف وهو العذاب، ويجوز أن يكون المفعول يومئذ : أي عذاب يومئذ، ويجوز أن تجعل (من) في موضع نصب بفعل محذوف تقديره : من يكرم يصرف الله عنه العذاب، فجعلت يصرف تفسيرًا للمحذوف، ومثله ﴿وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾.

ويجوز أن ينصب من يصرف، وتجعل الهاء في عنه للعذاب، أيْ أيّ إنسان يصرف الله عنه العذاب فقد رحمه، فأما (من) على القراءة الأولى فليس فيها إلا الرفع على الابتداء، والهاء في عنه يجوز أن ترجع على "من" وأن ترجع على العذاب[1] .

وقال الإمام "فخر الدين الرازي" عن (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه فيها مسألتان :

المسألة الأولى : قرأ أبو بكر عن عاصم وحمزة والكسائي (يَصرِف) بفتح الياء وكسر الراء وفاعل الصرف على هذه القراءة الضمير العائد إلى "ربي" من قوله

---

[1] العكبري : إملاء ما منَّ به الرحمن، جـ١، ص ٢٣٧.

تعالى: ﴿إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾[١] والتقدير : من يصرف هو عنه يومئذ العذاب وحجة هذه القراءة قوله تعالى : (فقد رحمه) فلما كان هذا فعلاً مستندًا إلى ضمير اسم الله تعالى وجب أن يكون الأمر في تلك اللفظة الأخرى على هذا الوجه ليتفق الفعلان وعلى هذا التقدير يكون صرف العذاب مسندًا إلى الله تعالى، وتكون الرحمة بعد ذلك مسندةً إلى الله تعالى.

وأما الباقون فإنهم قرأوا (من يصرف عنه) على فعل ما لم يُسَمَّ فاعله، والتقدير من يُصرف عنه عذاب يومئذ، وإنما حسن ذلك لأنه تعالى أضاف العذاب إلى اليوم في قوله تعالى ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾[٢] فلذلك أضاف الصرف إليه والتقدير : من يصرف عنه عذاب ذلك اليوم.

(المسألة الثانية) : ظاهر الآية يقتضي كون ذلك اليوم مصروفًا وذلك الحال، بل المراد عذاب ذلك اليوم، وحَسُن هذا الحذف لكونه معلومًا[٣] .

ومن هذا العرض نرى أن نائب الفاعل هنا هو ضمير مستتر يعود على العذاب وذلك يتفق مع المعنى القرآني في الآية الكريمة. وذلك رأي غالب الكوفيين وبهم نقتدي.

(٦) قوله تعالى : ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا﴾[٤] .

أتى الفعل (ووري) هنا مبنيًا للمفعول وحلّ شبه الجملة (عنهما) محل الفاعل وقد أفاض الصرفيون في صيغة (ووري) لم لم تقلب الواو المضمومة همزة

---

[١] من الآية ١٥ سورة الأنعام.

[٢] من الآية ١٥ سورة الأنعام.

[٣] الإمام فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، المجلد السادس، ص ٢٤٤.

[٤] من الآية ٢٠ سورة الأعراف.

كما قلبت في أُوَيْصِلٍ تصغير واصل.

قال "الرضي" في شرح الشافية : «تقلب الواو همزة لزومًا في نحو أواصل، وأويصل والأولى إذا تحركت الثانية بخلاف ووري وذلك لاستثقال اجتماع المثلين في أول الكلمة قالوا وإن وقعتا في الصدر والواو أثقل حروف العلة قلبت أولاهما همزة، إلا إذا كانت الثانية مدة منقلبة عن حرف زائد نحو ووري واري، فإنه لا يجب قلب الأولى همزة لعروض الثانية، من جهة الزيادة، ومن جهة انقلابها عن الألف، ولكون المد مخففًا لبعض الثقل»[1] .

وقال "ابن القبيصي" : «اعلم أنه متى اجتمع واوان أولاً، ولم تكن الثانية مدة لزم إبدال الأولى همزة، تقول في تكسير "واصل" و"واعد" أواصل - وأواعد وتقول في فُعْلى من أوّل : أُولى والأصل وولى، فإن انضمت الواو ضمًا لازمًا جاز قلبها همزة تقول في وجوه أجوه، وفي وُقِّتت أقتت»[2] .

(٧) قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ﴾[3] .

أتى التركيب (سُقِطَ في أيديهم) مبنيًا للمفعول. قال جمهور اللغويين إن تركيب (سُقِط في يده) يكون مبنيًا للمفعول غالبًا ولذلك تعد شبه الجملة (في أيديهم) في محل رفع نائب فاعل في الرأي الأقوى أو في محل رفع فاعل على من ذهب إلى أن البناء ليس له معلوم. وقد اتفق جمهور اللغويين على التركيب ولكنهم اختلفوا في دلالة هذا التركيب وفي هذا بيان.

قال "الفراء" : «(ولما سقط في أيديهم) أي من الندامة. ويقال أسقط لغة

---

[1] الرضي : في شرح شافية ابن الحاجب، جـ٣، ص ٧٦.

[2] ابن القبيصي)أبو عبد الله بن أبي الوفاء الموصلي المعروف بابن القبيصي، ت بعد ٦١٠ هـ (التتمة في التصريف)، تحقيق ودراسة د. مُحْسِن بن سالم العميري، ص ١٢٣.

[3] من الآية ١٤٩ سورة الأعراف.

قال "الفراء": «فَعُمِّيَت عليكم: قرأها "يحيى بن وثاب والأعمش وحمزة"[١] وهي في قراءة أُبَيّ (فعمّاها عليكم) وسمعت العرب تقول: قد عُمِّي عليّ وعُمِيَ عليّ بمعنى واحد وهذا مما حّولت العرب الفعل إليه وليس له، وهو في الأصل لغيره، ألا ترى أنّ الرجل الذى يعمى عن الخبر أو يُعمّى عنه ولكنه في جوازه مثل قول العرب دخل الخاتم في يدى والخُفُّ في رجلي، وأنت تعلم أن الرِّجْلَ التى تدخلُ في الخفّ والإصبع في الخاتم.

فاستخفّوا بذلك إذا كان المعنى معروفًا لا يكون بذا في حال، ولذا في حال إنما هو لواحد فاستجازوا ذلك لهذا، وقرأه العامة (فَعميتَ عليكم) مخفّفة»[٢] .

وقال"ابن خالويه":«قوله تعالى (فَعُمِّيَتْ عليكم) يقرأ بضم العين والتشديد، وبفتحها والتخفيف فالحجة لمن ضمَّ وشدَّد أنه دلّ بذلك على بناء الفعل لما لم يُسَمَّ فاعله ودليله أنها في حرف عبد الله وأُبيّ فعمَّاها عليكم، والحجة لمن فتح وخفَّف إنه جعل الفعل للرحمة في قوله تعالى: ﴿وَآتَانِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِهِ فَعُمِّيَتْ﴾[٣] ومعناهما قريب يريد فخفيت»[٤] .

وقد وضح هذه القراءات مكّي بن أبي طالب بقوله:

«فعمِّيتْ عليكم: من خففه من القُرّاء حمله على معنى فعميتم عن الأخبار التى أتتكم وهى الرحمة فلم تؤمنوا بها ولم تُعْمَ الأخبار نفسها عنهم ولو عميت هى لكان لهم في ذلك عذر إنما عموا هم عنها فهو من المقلوب كقولهم: أدخلت القلنسوة في رأسي وأدخلت القبر "زيدا" فقلت جميع هذا في ظاهر اللفظ لأن المعنى

---

[١] وهي أيضا قراءة الكسائي وحفص عن عاصم (انظر في تفصيل القراءة السبعة في القراءات لابن مجاهد، ص ٣٥٧، وابن الجزرى في النشر في القراءات العشر، جـ٢ ، ص ٢٨٨.

[٢] الفرّاء: معاني القرآن، جـ٢، ص ١٢.

[٣] من الآية ٢٨ سورة هود.

[٤] ابن خالويه: الحجة في القراءات السبع، ص ١٨٦.

وسقط في أيديهم أكثر وأجود[1]. وقال "القرطبي": يقال للنادم المتحير قد سُقِط في يده، قال "الأخفش": يقال سُقِطَ في يده وأسقط، ومن قال سقط في أيديهم على بناء الفاعل فالمعنى عنده سقط الندم. قال "الأزهري والنحاس" وغيرهما والندم يكون في القلب ولكنه ذكر اليد لأنه يقال لمن يحصل على شيء قد حصل في ذلك أمر كذا لأن مباشرة الأشياء في الغالب باليد وأيضًا الندم يدخل في القلب فأثره يظهر في البدن لأن النادم يعضُّ يده، ويضرب إحدى يديه على الأخرى»[2].

وقال "أبو السعود": «ولمَّا سقط في أيديهم أي ندموا على ما فعلوا غاية الندم فإن ذلك كناية عنه لأن النادم المتحسِّر يعضُّ يده غمًّا فتصير يده مسقوطا فيها. وقرئ سقط على البناء للفاعل بمعنى وقع العضُّ فيها فاليدُ حقيقة – وقال "الزجاج": معناه سقط الندم في أنفسهم إما بطريق الاستعارة بالكناية أو بطريق التمثيل»[3].

وفي القاموس المحيط: «وسُقِطَ في يده وأُسْقِطَ مضمومتين زلّ وأخطأ وندم وتحير»[4].

(٨) قوله تعالى: ﴿فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ﴾[5]:

أتى التركيب (فَعُمِّيَتْ عليكم): مبنيًا للمفعول وقد قرىء الفعل بالتشديد والتخفيف للياء وحلَّ شبه الجملة (عليكم) مقام الفاعل وفي هذا بيان للقراءات والدلالة.

---

(١) الفراء: معاني القرآن، حـ١، ص ٣٩٣.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، حـ٧، ص ٢٨٥.

(٣) أبو السعود: تفسير أبو السعود، المجلد الثاني، ص ٢٩٨.

(٤) الفيروزبادي: القاموس المحيط، باب الفاء.

(٥) من الآية ٢٨ سورة هود.

لا يشكل وقيل معنى (فعميت) لمن قرأ بالتخفيف فخفيت فيكون غير مقلوب على هذا وتكون الأخبار التى أتت من عند الله خفى فهمها عليهم لقلة مبالاتهم بها وكثرة إعراضهم عنها فأما معناه على قراءة "حفص وحمزة والكسائى" الذين قرأوا بالتشديد والضّم على ما لم يسم فاعله فليس فيه قلب ولكنَّ الله عمَّاها عليهم لما أراد بهم من الشقوة، يفعل مايشاء سبحانه، وهى راجعة إلى القراءة الأولى لأنهم لم يعموا عنها حتى عمَّاها الله عليهم – وقد قرأ أبىّ وهى قراءة "الأعمش" فعمَّاها عليكم أى عمَّاها الله عليكم فهذا شاهد لمن ضَمّ وشدَّد»[1].

ووضح دلالة التركيب (أبو السعود) بقوله:

«وإن أريد بها النبوة وبالبينة البرهان الدال على صحتها فإفراد الضمير لإرادة كل واحد منهما، أو لكون الضمير للبينة، والاكتفاء بذلك لاستلزام خفائها خفاء النبوّة أو على تقدير فعل آخر بعد البينة. ومعنى عُمِّيَتْ أخفيت وقرىء أعميت ومعناها خُفِيَتْ وحقيقته أن الحجة كما تجعل مبصرة وبصيرة تجعل عمياء لأن الأعمى لا يهدى غيره»[2].

(٨) قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾[4].

جاء التركيب – سيىء بهم، فى الآيتين الكريمتين مبنيا للمفعول وقد اختلف النحويون فى ما يحل محل الفاعل هنا.

---

[1] مكى بن أبى طالب: مشكل إعراب القرآن، جـ١، ص ص ٣٦٠، ٣٦١.

[2] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص٢٤.

[3] من الآية ٧٧ سورة هود.

[4] من الآية ٣٣ سورة العنكبوت.

قيل القائم مقام الفاعل ضمير لوط – وقيل هو شبه الجملة[1] ونرجح هنا ما قاله العكبرى أنّ القائم مقام الفاعل ضمير لوط وذلك ليتناسب مع دلالة التركيب.

قال "أبو السعود": «أى ساءه مجيئهم لظنه أنهم أناس فخاف أن يقصدهم قومه ويعجز عن مدافعتهم –وقرأ "نافع وابن عامر والكسائى وأبو عمرو" سيىء وسيئت بإشمام السين الضم»[2].

وقال "الشوكانى": فى دلالة التركيب فى الآية الثانية

«أى لما جاءت الرسل لوطًا بعد مفارقتهم "إبراهيم" سيىء بهم أى جاءه ما ساءه وخاف منه، لأنه ظنهم من البشر، فخاف عليهم من قومه لكونهم فى أحسن صورة من الصور البشرية و(أن) فى (أن جاءت) زائدة للتوكيد»[3].

(٩) قوله تعالى : ﴿وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ﴾[4]

أتى التركيب استُهزِئ برسل من قبلك : مبنيًا للمفعول وقد ضُم أول الفعل وثالثه وكسر ما قبله جريا على قاعدة صياغة المبنى للمفعول المبدوء بهمزة وصل زائدة.

وقد حل شبه الجملة (برسل) محل الفاعل فى التركيب هنا وتقدير الجملة النواة فى المعلوم ولقد استهزأ الكفار برُسلٍ من قبلك والتنكير فى رسل للتكثير أى برسلٍ كثيرة.

(١٠) فى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ﴾[5].

وقوله تعالى : ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾[6].

---

[1] العكبرى: إملاء ما من به الرحمن، جـ٢، ص ٤٣.

[2] أبو السعود: تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٥٣.

[3] الشوكانى: فتح القدير، جـ٤، ص ٢٨٣.

[4] من الآية ٣٢ سورة الرعد.

[5] من الآية ٧٣ سورة الأنعام. ومن الآية ١٠٢ سورة طه.

[6] من الآية ٩٩ سورة الكهف ومن الآية ١٠١ سورة المؤمنون ﴿فإذا نُفِخ فى الصور﴾ ومن الآية ٥١ سورة يس ومن سورة الزمر من الآية ٦٨ ومن الآية ٢٠ سورة ق.

أتى هذا التركيب (نُفِخَ أو يُنْفَخُ أو فإذا نُفِخَ في الصور في آيات من القرآن العظيم وقد جاء مرة واحدة وكان المصدر الصريح يقوم مقام الفاعل في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾[1]. وأتى مصدرًا مقدّرًا في قوله تعالى ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى﴾[2]. وقد قدّره النحويون (نُفِخَ فيه نفخة أخرى)[3].

ولكن أنقيم الجار والمجرور في بقية الآيات التي لم يظهر فيها المصدر مقام الفاعل أم نقدر مصدرًا مثل هاتين الآيتين نرى أنه يجوز الوجهان وهناك قراءات للفعل (ينفخ) من قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي الصُّورِ﴾[4]. يوضح هذه الدلالة.

قال "ابن الجزرى" : «أبو عمرو يوم ينفخ بالياء مفتوحة وضم الفاء والباقون بالياء مضمومة وفتح الفاء ابن كثير»[5].

وقال "ابن خالويه" : «إجماع القرّاء فيه على الياء وضمها على ما لم يُسَمَّ فاعله إلا ما اختاره أبو عمرو من النون وفتحها وله في ذلك وجهان أحدهما أنه أتى بالنون في نَنْفُخُ ليوافق به لفظ ﴿نَحْشُرُ﴾[6] فيكون الكلام من وجه واحد والثاني أن النافخ في الصور وإن كان إسرافيل فإنّ الله عز وجل هو الآمر له بذلك والمقدر والخالق له فنسب الفعل إليه لهذه المعاني»[7].

---

[1] الآية ١٣ سورة الحاقة.

[2] من الآية ٦٨ سورة الزمر.

[3] انظر : الإمام فخر الدين الرازى فى مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٧٩، وأبو السعود فى تفسيره، مجلد ٤، ص ٤٧٧.

[4] من الآية ١٠٢ سورة طه.

[5] ابن الجزرى : تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١، ١٤٢.

[6] من الآية ١٠٢ سورة طه.

[7] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٤٦.

وقال "أبو السعود" : «وقرئ ننفخ بالنون علـى إسـناد النفـخ إلى الآمـر بـه تعظيمًا له وبالياء المفتوحة على أن ضميره لله عز وجل أو لإسرافيل -عليه السـلام- وإن لم يجر ذكره لشهرته»[١].

(١١) وفى قوله تعالى : ﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُ يُضِلُّهُ﴾[٢].

أتى التركيب (كُتب عليه) «مبنيًا للمفعول وحـل شبه الجملـة محـل الفـاعل وذلك لدلالة التركيب أى كُتِب على الشيطان وقيل الذى يحل محـل الفـاعل المصـدر المؤول من أن واسمها وخبرها والتقدير كتب على الشيطان توليـة الكـافر وشـأنه أنـه يضله عن طريق الحق»[٣].

(١٢) وفى قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾[٤].

أتى التركيب (فُزِّع عـن قلوبهـم) مبنيًـا للمفعـول وقـد قـرئ الفعـل بالبنـاء للمفعول وبالبناء للفاعل وقام شبه الجملة (الجار والمجرور) مقام الفاعل هنا وفى ذلك تفصيل.

قال "ابن مجاهد" : «قرأ ابن عامر فَزَّع مفتوحة الفـاء والـزاى وقـرأ البـاقون فُزِّعَ بضم الفاء وكسر الزاى»[٥].

---

[١] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٩٠.

[٢] من الآية ٤ سورة الحج.

[٣] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٣٩ وانظر الشوكانى فى فتح القدير، جـ٣، ص ٦١٦.

[٤] من الآية ٢٣ سورة سبأ.

[٥] ابن مجاهد : السبعة، ص ٥٣٠، وانظر ابن الجزرى فى تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٦٢ حيث قال : ابن عامر ويعقوب إذا فَزَّعَ بفتح الفـاء والـزاى والبـاقون بضـم الفـاء وكسـر الزاى.

وقد بيّن ابن خالويه هذه القراءات بقوله : «أجمع القراء على ضم الفاء دلالة على بناء الفعل للفاعل وهو الله عز وجل ومعنى ذلك أن الملائكة لما سمعت صليل الوحي إلى محمد -صلى الله عليه وسلم- بعد الفترة التي كانت بينه وبين عيسى -عليه السلام- فزعت له خوفًا من قيام الساعة فقالوا : ماذا قال ربكم فأجيبوا قالوا الحق أي قال ربكم الحق»[١].

ولكن ما ذكره ابن خالويه يختلف معه كثير من المفسرين في دلالة التركيب هنا :

قال "أبو السعود" : «حتى إذا فُزِّع عن قلوبهم، أي قلوب الشفعاء والمشفوع لهم من المؤمنين وأما الكفرة فهم في موقف الاستشفاع بمعزل وعن التفزيع عن قلوبهم بألف منزل والتفزيع إزالة الفزع ثم ترك ذكر الفزع وأسند الفعل إلى الجار والمجرور وحتى غاية لما ينبئ عنه ما قبلها من الإشعار بوقوع الإذن لمن أذن له فإنه مسبوق بالاستئذان المستدعي للترقب والانتظار للجواب كأنه سُئِل كيف يؤذن لهم فقيل يتربصون في موقف الاستئذان والاستدعاء ويتوقفون على وَجَلٍ وفزع مِليًّا حتى إذا أزيل الفزع عن قلوبهم بعد اللتيا والتي ظهرت لهم تباشير الإجابة وقرئ فُزِع مخففًا وقُرِئ فَزَّع على البناء للفاعل وهو الله وحده وقرئ فرغ بالراء المهملة والغين المعجمة أي نفى الوجل عنها وأفنى من فرغ الزاد إذا لم يبق منه شيء وهو من الإسناد المجازي لأن الفراغ وهو الخلو حال ظرفه عند نفاده فأسند إليه عكس قولهم جرى النهر وعن (الحسن) تخفيف الراء وأصله فرغ الوجل عنها أي انتفى عنها ثم حذف الفاعل وأسند إلى الجار والمجرور وبه يعرف حال التفريغ وقرئ ارتفع من قلوبهم بمعنى انكشف عنها»[٢].

وقال "القرطبي" : «قال ابن عباس : خلّي عن قلوبهم الفزع (قطرب)

---

(١) ابن خالويه : الحجة في القراءات السبع، ص ٢٩٤.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣٥٠.

أخرج ما فيها من الخوف (مجاهد) كشف عن قلوبهم الغطاء يوم القيامة أى أنّ الشفاعة لا تكون من أحد من هؤلاء المعبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام، إلا أن الله تعالى يأذن للأنبياء والملائكة في الشفاعة وهم فى غاية الفزع من الله كما قال تعالى : ﴿وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ﴾[1]. والمعنى أنه إذا أذن لهم فى الشفاعة وورد عليهم كلام الله فزعوا، لما يقترن بتلك الحال من الأمر الهائل والخوف أن يقع فى تنفيذ ما أذن لهم فيه تقصير، فإذا سُرِّى عنهم قالوا للملائكة فوقهم وهم الذين يوردون عليهم الوحى بالأذن ماذا قال ربُّكم أى ماذا أمر به فيقولون لهم قال القول الحق وهو قبول شفاعتكم للمستحقين لها دون غيرهم»[2].

وقال "الشوكانى" : «وقيل هذا الفزع يكون للملائكة فى كل أمر أمر به الربُّ والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا من الملائكة الذين هم فزعون اليوم مطيعون لله دون الجمادات والشياطين، وقيل إن الذين يقولون : ماذا قال ربكم هم المشفوع لهم، والذين أجابوهم هم الشفعاء من الملائكة والأنبياء»[3].

(١٣) وفى قوله تعالى : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾[4].

أتى التركيب (وقُضِى بينهم بالحق) مبنيًا للمفعول لأن الفاعل معلوم وهو الحق تعالى جَرْيًا على سنن الكبرياء والعزة وأتى بعد الفعل شبه جملة (ظرف) وشبه جملة (جار ومجرور) فأيهما نائب الفاعل ؟

من سياق الموقف نجد أن من قام مقام الفاعل هنا هو (الظرف) (بينهم) لأن معنى الجملة النواة المعلومة (وقضى الله بينهم بالحق) وفى دلالته.

---

(١) من الآية ٢٨ سورة الأنبياء.

(٢) القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠، ص ٢٢٥.

(٣) الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٤٥٧.

(٤) من الآية ٦٩ سورة الزمر.

قال "أبو السعود" : «(قضى ببينهم بالحق) أي بين الخلق بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم»[1].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : وقضى بينهم بالحق : والمعنى أنهم على درجات مختلفة ومراتب متفاوتة، فلكل واحد منهم فى درجات المعرفة والطاعة حد محدود لا يتجاوزه ولا يتعداه، وههنا دقيقة أعلى ممّا سبق وهى أنه لما قضى بينهم بالحق، فهو ما حمدوه لأجل ذلك القضاء، بل حمدوه بصفته الواجبة وهى كونه ربًّا للعالمين فإنَّ من حمد المنعم لأجل أن إنعامه وصل إليه فهو فى الحقيقة ما حمد المنعم وإنما حمد الإنعام وأما مَن حمد المُنعِم لا لأنه وصَل إليه النعمة فههنا قد وصل إلى لجة التوحيد.

ثم قال تعالى : ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ﴾ أى بين البشر[2].

وفى تركيب آخر من سورة غافر جاء ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ﴾[3]. وأتى بعد الفعل شبه جملة (جار ومجرور) قام مقام الفاعل لأن تقدير الجملة النواة المعلومة (وقَضَى الله بالحقّ)[4].

وفى تركيب ثالث من سورة فُصّلتْ قوله تعالى : ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾.

وأتى بعد الفعل قضى شبه جملة ظرف (بينهم) قام مقام الفاعل.

---

[1] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٧٧.

[2] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٣، ص ٤٨٧.

[3] من الآية ٧٨ سورة غافر.

[4] من الآية ٤٥ سورة فصلت.

وفى سورة الشورى أيضًا التركيب نفسه بزيادة إلى أجل مسمى وهو قوله تعالى ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ﴾(١).

وسياق الموقف فى التركيبين السابقين بين موقف أهل الكتاب من القيام بالدين الحق وتفرقهم واختلافهم وإنّ الحق تعالى يؤجّل لهم العذاب بقضائه وأمره.

قال "الشوكانى" : «لقُضِيَ بينهم أى لوقع القضاء بينهم بإنزال العقوبة بهم معجّلة، وقيل : لقضى بين من آمن منهم ومن كفر بنزول العذاب بالكافرين ونجاة المؤمنين»(٢).

(١٤) وفى قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ﴾(٣).

أتى التركيب يطاف عليهم (بصحاف) مبنيًا للمفعول وأتى بعد الفعل شبه الجملة ثلاث مرات جار ومجرور ولكن الذى يقوم مقام الفاعل هنا هو شبه الجملة الثانى (بصحاف) وهذا ما يناسب سياق الموقف فى التركيب القرآنى الكريم.

والصحاف جمع صحفة وهى القصعة الواسعة العريضة.

قال "الزمخشرى" : «أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة، وهى تشبع عشرة، ثم الصحفة، وهى تشبع خمسة، ثم المكيلة وهى تُشبِعُ الرجلين والدلالة هنا . إنَّ لهم فى الجنة أطعمة يطاف عليهم بها فى صحاف الذهب»(٤).

وقال "العكبرى" : «يطاف، تقدير الكلام، يدخلون فيطاف فحذف لفهم المعنى»(٥).

---

(١) من الآية ١٤ سورة الشورى.

(٢) الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٧٤٣.

(٣) من الآية ٧١ سورة الزخرف.

(٤) الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ص ٧٨٨، ٧٨٩.

(٥) العكبرى : إملاء ما مَنّ به الرحمن، جـ٢، ص ٢٢٨.

ومثل التركيب السابق قوله تعالى : ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِن مَّعِينٍ﴾[١] .

(١٥) وفى قوله تعالى : ﴿وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ﴾[٢] .

أتى التركيب (وما أدرى ما يُفْعَل بى ولا بكم) مبنيًا للمفعول وحلَّ شبه الجملة (بى) محل الفاعل وتقدير الجملة النواة المعلومة، وما أدرى ما يَفْعل الله بى ولا بكم وقد اختلف المفسرون فى دلالة ذلك التركيب على النحو التالى :

قال "الإمام فخر الدين الرازى" فى تفسير الآية وجهان :

أحدهما : أن يُحْمل ذلك على أحوال الدنيا.

الثانى : أن يُحْمل على أحوال الآخرة.

أما الأول ففيه وجوه :

الأول : لا أدرى ما يصير إليه أمرى وأمركم، ومَنْ الغالب منا والمغلوب.

الثانى : قال "ابن عباس" فى رواية الكلبى لما اشتد البلاء بأصحاب النبى -صلى الله عليه وسلم- بمكة رأى فى المنام أنه يهاجر إلى أرض نخل وشجر وماء فقصها على أصحابه فاستبشروا بذلك ثم إنهم مكثوا برهة لا يرون أثر ذلك فقالوا يا رسول الله ما رأينا الذى قلت فسكت النبى -صلى الله عليه وسلم فأنزل الحق تعالى (وما أدرى ما يفعل) بى ولا بكم.

الثالث : قال الضحاك لا أدرى ما تؤمرون به ولا ما أومر به فى باب التكاليف والشرائع والجهاد ولا فى الابتداء والامتحان وإنما أنذركم بما أعلمنى الله به من أحوال الآخرة فى الثواب والعقاب.

---

[١] الآية ٤٥ سورة الصافات.

[٢] من الآية ٩ سورة الأحقاف.

والرابع : المراد أنه يقول لا أدرى ما يفعل بى فى الدنيا أأموت أم أُقتل كما قُتِل الأنبياء من قبلى، ولا أدرى ما يفعل بكم أيها المكذبون، أتُرمُونَ بالحجارة من السماء، أم يخسف بكم أم يفعل بى ما يُفعل بسائر الأمم.

أما الذين حملوا هذه الآية على أحوال الآخرة فروى عن ابن عباس -رضى الله عنه- أنه قال لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود وقالوا كيف نتبع نبيًّا لا يدرى ما يُفعل به وبنا ؟ فأنزل الحق تعالى أوائل سورة الفتح ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ [1] . ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [2] . إلى الآية الخامسة منها فبيّن تعالى ما يفعل به ومن تبعه ونسخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين.

وأكثر المحققين استبعدوا هذا القول واحتجوا عليه بوجوه :

الأول : إنَّ النبى -صلى الله عليه وسلم- لابد وأن يعلم من نفسه كونه نبيًّا ومتى علم كونه نبيًّا علم أنه لا تصدر عنه الكبائر وأنه مغفور له وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكًّا فى أنه هل هو مغفور له أم لا.

الثانى : لا شك أن الأنبياء أرفَعُ حالاً من الأولياء فلما قال فى هذا ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [3].

فكيف يعقل أن يبقى الرسول الذى هو رئيس الأتقياء وقدوة الأنبياء والأولياء شاكًّا فى أنه هل هو من المغفورين لهم أو من المعذّبين ؟

---

(1) الآية ١ سورة الفتح.

(2) الآية ٢ سورة الفتح.

(3) الآية ١٣ سورة الأحقاف.

الثالث : أنه تعالى قال : ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾[(١)] . والمراد منه كمال حاله ونهاية قُرْبه من حضرة الله تعالى .ومَن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكًّا في أنه من المعذَّبين أو من المغفورين ؟ فثبت أن هذا القول ضعيف»[(٢)] .

وقد أيَّد هذا القول القرطبي فقد ضعف رأى من قال أنه لا يدرى ما يُفعل بى ولا بكم فى الآخرة فقال : إن الصحيح فى الآية الكريمة قول الحسن وهو ما يُفعل بى ولا بكم فى الدنيا.

قال "الطبرى" : «وهذا أصح قول وأحسنه لا يدرى -صلى الله عليه وسلم- ما يلحقه وإياهم من مرض وصحة ورخص وغلاء وغنى وفقر.

واختار الطبرى أن يكون المعنى ما أدرى ما يصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا، أتؤمنون أم تكفرون، أم تعاجلون بالعذاب أم تؤخرون.

قلت : وهو معنى قول الحسن والسدِّى وغيرها.

قال "الحسن" : «ما أدرى ما يفعل بى ولا بكم فى الدنيا، أما فى الآخرة فمعاذ الله ! قد علم أنه فى الجنة حين أخذ ميثاقه فى الرسل، ولكن قال ما أدرى ما يُفْعل بى فى الدنيا أأخْرَجُ كما أُخْرِجَتْ الأنبياء قبلى، أو أقتل كما قتلت الأنبياء قبلى، ولا أدرى ما يفعل بكم، أأمتى المصدقة أم المكذبة، أم أمتى المرميَّة بالحجارة من السماء قذفًا، أم مخسوف بها خسفًا ثم نزل قوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾[(٣)] .

وقوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾[(٤)] .

---

(١) من الآية ١٢٤ سورة الأنعام.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، حـ١٤، ص ص ١٩٨، ١٩٩.

(٣) الآية ٣٣ سورة التوبة.

(٤) الآية ٣٣ سورة الأنفال. وانظر الإمام القرطبى فى الجامع لأحكام القرآن، حـ١٥، ص ٦٣٠.

(١٦) قوله تعالى : ﴿فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾[١] .

أتى التركيب (فطبع على قلوبهم) مبنيًا للمفعول وقام شبه الجملة (على قلوبهم) محل الفاعل.

(١٧) قوله تعالى : ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ﴾[٢] .

أتى التركيب (فَضُرِبَ بينهم بسور) مبنيًا للمفعول وفيه شبه الجملة مرتين (بينهم) ظرف (بسور) جار ومجرور وإذا أردنا أن نبحث عن الذى قام مقام الفاعل نقول إن تقدير الجملة النواة المعلومة (فضرب الله بينهم بسور) فيكون (بسور) وهو الذى يستحق أن يكون نائبًا للفاعل والدليل على ذلك أن الكسائى أو الأخفش قال إن الباء فى (بسور) زائدة، والتقدير ضرب بينهم سُورٌ كذا.

قال "الإمام الرازى" : «اختلفوا فى السور فمنهم من قال المراد منه الحجاب والحيلولة أى المنافقون منعوا عن طلب المؤمنين.

وقال آخرون : بل المراد حائط بين الجنة والنار، وهو قول قتادة.

وقال "مجاهد" : هو حجاب الأعراف.

المسألة الثانية : الباء فى قوله تعالى (بسور) صلة وهو للتأكيد والتقدير ضرب بينهم سور كذا، قاله الأخفش»[٣] .

وقد ذكر "القرطبى" أغلب الآراء السابقة ولكنه يرى أن الكسائى هو الذى يقول أن الباء صلة[٤] .

---

[١] من الآية ٣ سورة المنافقين.

[٢] من الآية ١٣ سورة الحديد.

[٣] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٥، ص ٣٨١.

[٤] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٥، ص ٤١٦.

(١٨) وفى قوله تعالى : ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾[1] .

أتى التركيب (يُكْشَفُ عن ساق) مبنيًا للمفعول وقام شبه الجملة (عن ساق) مقام الفاعل.

وفى دلالة التركيب قال المفسرون :

قال "أبو السعود" : يوم يكشف عن ساق أى يوم يشتد الأمر ويصعب الخطب وكشف مَثَلٌ فى ذلك تشمير المخدرات عن سوقهن فى الهرب.

قال حاتم :

أخو الحرب إن عضّت به الحرب عضّها

وإن شمّرتْ عن ساقها الحرب شمّرا.

وقيل ساق الشىء أصله الذى هو قوامه كساق الشجر وساق الإنسان أى يوم يكشف عن أصل الأمر فتظهر حقائق الأمور وأصولها بحيث تصير عيانًا وتنكيره للتهويل أو التعظيم وقرئ نكشف بالنون وتُكْشِف بالتاء المضمومة وكسر الشين من أكشف الأمر أى دخل فى الكشف[2] .

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : هذا اليوم الذى يكشف فيه عن ساق أهو يوم القيامة أو فى الدنيا ؟ فيه قولان :

الأول : وهو الذى عليه الجمهور، أنه يوم القيامة ثم فى تفسير الساق وجوه.

الأول : أنه الشدّة وروى أنه سُئل ابن عباس عن هذه الآية فقال إذا خفى عليكم شىء من القرآن فابتغوه فى الشعر فإنه ديوان العرب أما سمعتم قول الشاعر:

---

(١) من الآية ٤٢ سورة القلم.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٧٥٧.

سَنَّ لنا قومك ضَرْبَ الأعناقْ

وقامت الحربُ بنا على ساقْ

ثم قال : وهو كربٌ وشدة

وروى مجاهد عنه قال في : هو أشد ساعة في القيامة وأنشد أهل اللغة أبياتًا كثيرة منها.

فإن شـمّرت لك عن سـاقها

فدَنْهـا ربيـع ولا تسـأم

ومنها :

كشـفت لكـم عـن ساقها

وبـدا مـن الشـرِّ الصـراح

وقال جرير :

ألا رُبَّ سام الطرف من آل مازن

إذا شَمَّرَتْ عن ساقها الحرب شَمَّرا.

ثم قال "ابن قتيبة" : أصل هذا أنَّ الرجل إذا وقع في أمر عظيم يحتاج إلى الجَدّ فيه، يشمر عن ساقه، فلا جرم يقال في موضع الشكِّ كشف عن ساقه.

وقال الزمخشري في الكشاف[1] : «معنى قوله تعالى (يوم يكشف عن ساق) أي يوم يشتد الأمر ويتفاقم ولا كشف ثَمَّ ولا ساق.

وقال أبو سعيد الضرير (يوم يكشف عن ساق) أي أصل الأمر أي يظهر

---

[1] الزمخشري : الكشاف، جـ٤، ص ١٣١.

يوم القيامة حقائق الأشياء وأصولها.

القول الثالث : يوم يكشف عن ساق جهنم أو عن ساق العرش أو عن ساق ملك مهيب وهذا ضعيف.

والقول الرابع : وهو اختيار المشبهة -لعنهم الله- أنه ساق الله تعالى وهو باطل جملة وتفصيلاً»[1] .

ونلاحظ أن شبه الجملة جاء مقدرًا فى بعض آيات التنزيل العزيز خاصة بعد اسم المفعول الذى يعمل عمل الفعل المبنى للمفعول وقد اختلف النحويون والمفسرون فى هذا المقدر على النحو التالى :

(١) قوله تعالى : ﴿وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ﴾[2] .

أتى اسم المفعول (مُسْمَع) يعمل عمل الفعل المبنى للمفعول ولم يأت بعده نائبًا للفاعل ولذلك قدره النحويون والمفسرون بما يلى :

قال "العكبرى" : «غير مُسْمَع حال والمفعول الثانى محذوف، أى لا أسمعت مكروهًا، هذا ظاهر قولهم، فأما ما أرادوا فهو لا أسمعت خيرًا، وقيل أرادوا غير مسموع منك»[3] .

وقال "أبو السعود" فى دلالة التركيب «عطف على سمعنا وعصينا داخل تحت القول أى ويقولون ذلك فى أثناء مخاطبته -عليه السلام- خاصته وهو كلام ذو وجهين محتمل للشر بأن يحمل على معنى اسمع حال كونك غير مُسْمَع كلامًا أصلاً بصمم أو موت أى مَدْعُوًّا عليك بلا سمعت أو غير مُسْمَع كلامًا ترضاه فحينئذ يجوز أن يكون نصبه على المفعولية وللخير بأن يحمل على اسمع منا غير مُسْمَع مكروهًا

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٥، ص ٦٧.

[2] من الآية ٤٦ سورة النساء.

[3] العكبرى : إملاء ما منَّ به الرحمن، جـ١، ص ١٨٢.

كانوا يخاطبون به النبي -صلى الله عليه وسلم- استهزاء به مظهرين له -عليه السلام- إرادة المعنى الأخير وهم مُضْمِرون في أنفسهم المعنى الأول مطمئنون به»[١]

وقال "القرطبي" : «قال ابن عباس : كانوا يقولون للنبي -صلى الله عليه وسلم- اسْمَع لاسَمِعْتَ، هذا مرادهم - لعنهم الله- وهم يظهرون أنهم يريدون اسْمَعْ غير مُسْمَعٍ مكروهًا ولا أذى.

وقال الحسن ومجاهد : «معناه غير مُسْمَعٍ منك، أي لا مقبول ولا مجاب إلى ما تقول؛ وقال النحاس : ولو كان كذا لكان غير مسموع منك»[٢] .

(٢) قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾[٣] .

أتى اسم المفعول (مكذوب) يعمل عمل الفعل المبني للمفعول وحذف الجار والمجرور (القائم مقام الفاعل) والتقدير غير مكذوب فيه في أقوى الآراء.

قال "أبو السعود" : أي غير مكذوب فيه فحذف الجار للاتساع المشهور كقوله :

ويوم شهدناه سليمًا وعامرًا

قليل سوى طعن النهال نوافله[٤] .

ووضح "الألوسي" ذلك فقال : أي غير مكذوب فيه فحذف الجار وصار المجرور مفعولاً على التوسع لأن الضمير لا يجوز نصبه على الظرفية والجار لا يعمل بعد حذفه، ويسمون هذا الحذف والإيصال وهو كثير في كلامهم. ويكون في الاسم كمشترك وفي الفعل كقوله :

---

[١] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ١، ص ٥٢٩.

[٢] القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، ص ٣٣٨.

[٣] من الآية ٦٥ سورة هود.

[٤] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٤٨.

قال "الرضى" : وقوله تعالى (كل أولئك كان عنه مسئولاً) (عنه) مرفوع المحل بمسئول المقدر المفسر بمسئول الظاهر أى مسئولاً عنه فى كتابه»[1] .

وقال "الصبان" : «والنائب فى الآية الكريمة (وكان عنه مسئولاً) ضمير راجع أى ما رجع إليه اسم كان وهو المكلف»[2] .

وقد وافقه على ذلك الشيخ خالد الأزهرى[3] .

وقد اختلف المفسرون فى ذلك النائب أيضًا كما يلى :

قال "الزمخشرى" : «عنه نائب فاعل مسئولاً فهو مستند إليه ولا ضمير فيه نحو قوله تعالى : ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾[4] .

وقد ردَّ هذا الرأى العكبرى وعدّه غلطًا :

قال "العكبرى" : «والهاء فى عنه ترجع إلى كل أيضًا الضمير فى مسئول لكل أيضًا والمعنى، إن السمع يسأل عن نفسه على المجاز؛ ويجوز أن يكون الضمير فى كان لصاحب هذه الجوارح لدلالتها عليه.

وقال "الزمخشرى" : يكون عنه فى موضع رفع بمسئول كقوله : (غير المغضوب عليهم) وهذا غلط لأن الجار والمجرور يقام مقام الفاعل إذا تقدَّم الفعل، أو ما يقوم مقامه، وأما إذا تأخر فلا يصح ذلك فيه لأن الاسم إذا تقدم على الفعل صار مبتدأ، وحرف الجر إذا كان لازمًا لا يكون مبتدأ، ونظيره قولك بزيد انطلق، ويدلك على ذلك أنك لو ثنيت لم تقل بالزيدين انطلقا، ولكن تصحيح المسألة أن

---

[1] الرضى : شرح الكافية، جـ١، ص ٨٤.

[2] الصبان : حاشية الصبَّان على شرح الأشمونى، جـ٢، ص ٦٧.

[3] خالد الأزهرى فى شرح التصريح على التوضيح، جـ١، ص ٢٨٧.

[4] الزمخشرى : الكشاف، جـ٢، ص ٥٢٤، والآية من الآية ٧ سورة الفاتحة.

ويوم شهدناه سليمًا وعامرًا

قليل سوى طعن النهال نوافله

أو غير مكذوب على المجاز كأن الواعد قال له فإن وفى به صدقه وإلا كذبه. وهناك استعارة مكنية تخييلية وقيل مجاز مرسل بجعل (مكذوب) بمعنى باطل ومتخلف، أو وعد غير كذب على أنَّ مكذوب مصدر على وزن مفعول كمعقول ومجلود بمعنى عقل وجلد بأنه سمع منهم ذلك لكنه نادر، ولا يخفى ما في تسمية ذلك وعدًا من المبالغة في التهكم»[1].

(٣) وقوله تعالى : ﴿وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾[2].

أتى اسم المفعول (مشهود) يعمل عمل الفعل المبنى للمفعول وحذف شبه الجملة (الجار والمجرور) الذى يقوم مقام الفاعل والتقدير مشهود فيه.

قال "أبو السعود" : «وذلك يوم مشهود أى مشهود فيه حيث يشهد فيه أهل السموات والأرض فاتسع فيه بإجراء الظرف مجرى المفعول به كما فى قوله :

فى مَحْفَلٍ من نواصى الناس مشهود

أى كثير شاهدوه»[3].

أما قوله تعالى : ﴿كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[4]. فهو شاهد من شواهد النحويين الذين عنوا به وأفاضوا فى الخلاف على الذى يقوم مقام الفاعل ؟ أهو أشبه الجملة المقدم (عنه) أم شبه جملة مقدر ؟ وفى ذلك بيان :

---

[1] الألوسى : روح المعانى، جـ١٢، ص ٩١، ٩٢.

[2] من الآية ١٠٣ سورة هود.

[3] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٦٧

[4] من الآية ٣٦ سورة الإسراء.

تجعل الضمير في مسئول للمصدر، فيكون عنه في موضع نصب كما تقدر في قولك بزيد انطلق»[1].

وقد دافع الألوسي عن رأى الزمخشري فقال :

«وليس لقائل أن يقول : إنه على رأى الكوفيين في تجويزهم تقديم الفاعل إلا أن ينازع في صحة الحكاية ونقل عن صاحب التقريب إنه إنما جاز تقديم (عنه) مع أنه فاعل لمحًا لأصالة ظرفيته لا لعروض فاعليته ولأن الفاعل لا يتقدم لالتباسه بالمبتدأ أو لا التباس ههنا ولأنه ليس بفاعل حقيقة.

والإنصاف أنه مع هذا لا يقال لما ذهب إليه شيخ العربية إنه غلط»[2].

أما "أبو السعود" فقد فصّل المسألة كما يلي؛ قال : «قوله تعالى : (كل أولئك كان عنه مسئولاً) أى كان كل من تلك الأعضاء مسئولاً عن نفسه، على أن اسم كان ضمير يرجع إلى (كل) وكذا اسم الضمير المجرور وقد جوز أن يكون الاسم ضمير الغائب بطريق الالتفات إذ الظاهر أن يقال : (كنت عنه مسئولاً) وقيل الجار والمجرور في محل الرفع قد أسند إليه (مسئولاً) معللاً بأن الجار والمجرور لا يلتبس بالمبتدأ وهو السبب في منع تقديم الفاعل وما يقوم مقامه، ولكن النحاس حكى الإجماع على عدم جواز تقديم القائم مقام الفاعل إذا كان جارًا ومجرورًا. ويجوز أن يكون من باب الحذف على شريطة التفسير ويحذف الجار من المفسر ويعود الضمير مستكنًا كما ذكرنا في قوله تعالى : ﴿يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾[3]. وجوز أن يكون (مسئولاً) مُسْنَدًا إلى المصدر المدلول عليه بالفعل وأن يكون فاعله المصدر وهو السؤال وعنه في محل النصب»[4].

---

(1) العكبري : التبيان في إعراب القرآن، جـ٢، ص ٩٠.

(2) الألوسي : روح المعاني، جـ١٥، ص ٧٤.

(3) من الآية ١٠٣ سورة هود.

(4) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٣٢٧.

الفصل السادس

المبنى للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر

المبني للمجهول ونائب الفاعل ضمير مستتر

أتى نائب الفاعل في بعض الآيات القرآنية الكريمة ضميرًا مستترًا يعود إلى مفعول به في التقدير وكنا قد ذكرنا تقدير المصدر المضمر في بعض الآيات الكريمة وكذلك شبه الجملة المقدر مع بعض أسماء المفعولين التي تعمل عمل الفعل المبني للمفعول وقد رأينا اختلاف النحويين في بعض هذه التقديرات وسنرى إن شاء الله تعالى أيضًا اختلافهم في تقدير الضمير المستتر العائد إلى المفعول به تبعًا للمعنى القرآني ومنه :

(١) قوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾[1].

أتى التركيب (أُعِدّتْ) مبنيًا للمفعول والقائم مقام الفاعل ضمير (النار) وقرئ أُعْتِدت وهي قراءة ابن مسعود[2] من العتاد بمعنى العدة وقال السمين الحلبي : الظاهر أن هذه الجملة لا مَحَلَّ لها لأنها مستأنفة وقال أبو البقاء هي في محل نصب حال وهو ضعيف[3].

وفي دلالة التركيب قال أبو السعود : «أي هُيِّئَتْ للذين كفروا والمخاطبون داخلون فيهم دخولاً أوليًا وإمًّا هم خاصة ووضع الكافرين موضع ضميرهم للذّمهم وتعليل الحكم بكفرهم وقرئ اعتدت من العتاد بمعنى العدّة وفيه دلالة على أن النار مخلوقة موجودة الآن والجملة استئناف لا محل له من الإعراب مقررة لمضمون ما قبلها ومؤكدة لإيجاب العمل به ومُبيِّنة لمن أريد بالناس واقعة لاحتمال العموم وقيل حال بإضمار قد من النار لا من ضميرها في وقودها وهذا ضعيف لما في ذلك من الفصل

---

(١) من الآية ٢٤ سورة البقرة، ومن الآية ١٣١ آل عمران.

(٢) أبو حيان الأندلسي : البحر المحيط، جـ١، ص ١٠٩.

(٣) السمين الحلبي : الدر المصون في علوم الكتاب المكنون، جـ١، ص ٢٠٦، وانظر العكبري في إملاء ما من به الرحمن، جـ١، ص ٢٤.

وقال "مكي بن أبي طالب" : «وإن كان رجل يورث كلالة كان بمعنى وقع ويورث نعت لرجل ورجل رفع بكان وكلالة نصب على التفسير وقيل : هو نصب على الحال على أن الكلالة هو الميت في هذين الوجهين وقيل : هو نصب على أنه نعت لمصدر محذوف تقديره يورث وراثة كلالة على أن الكلالة هو المال الذى لا يرثه ولد ولا والد وهو قول عطاء، وقيل هو خبر كان على أن الكلالة اسم للورثة وتقديره ذا كلالة. فأما مَنْ قرأ (يورِثُ) بكسر الراء أو بكسرها والتشديد فكلالة مفعول بيورث وكان بمعنى وقع»[1].

وقال "أبو السعود" : «وإن كان رجل يورث كلالة على البناء للمفعول من ورث لا من أورث خبر كان أى يورث منه (كلالة) الكلالة فى الأصل مصدر بمعنى الكلال وهو ذهاب القوة من الإعياء استعيرت للقرابة من غير جهة الوالد والولد لضعفها بالإضافة إلى قرابتهما. وتطلق على من لم يخلف ولدًا ولا والدًا وعلى من ليس بوالد ولا ولد من المخلفين بمعنى ذى كلالة كما تطلق القرابة على ذوى القربى وقد جوِّز كونها صفة كالهجاجة والفقاقة للأحمق فنصبها إما على أنها حال من ضمير يورث أى حال كونه ذى كلالة أو على أنها خبر لكان يورث صفة لرجل أى إن كان رجل موروث ذا كلالة ليس له والد ولا ولد وقرئ يُورِثَ على البناء للفاعل مخففًا ومشددًا فانتصاب كلالة إما على أنها حال من ضمير الفعل والمفعول محذوف أى يورث وارثه حال كونه ذا كلالة وإما على أنها مفعول ؟ أى يورث ذا كلالة أو على أنها مفعول له أى يورث لأجل الكلالة»[2].

وقد وضح القراءات وبيّن الآراء المختلفة فى التركيب الإمام القرطبى بقوله:

«ذكر أبو حاتم والأشرم عن أبي عبيدة قال الكلالة كل من لم يرثه أب أو ابن أو أخ عند العرب كلالة. وروى عن عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- أنَّ

---

[1] مكى بن أبى طالب : مشكل إعراب القرآن الكريم، جـ١، ص ١٩٢.

[2] أبو السعود : تفسير أبو السعود، جـ١، ص ٤٩٢.

بينهما بالخبر وقيل صلة بعد صلة أو عطف على الصلة بترك العاطف»[١].

ومثله قوله تعالى في المؤمنين :

قوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾[٢].

وقوله تعالى : ﴿أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ﴾[٣].

وقد قام مقام الفاعل في الفعلين (أُعِدَّت) ضمير الجنة.

وقال "العكبرى" في محل الجملة : «(أُعِدَّت) يجوز أن يكون في موضع جر صفة للجنة، وأن يكون حالاً منها لأنها قد وُصِفَتْ، وأن يكون مستأنفًا ولا يجوز أن يكون حالاً من المضاف إليه لثلاثة أشياء. أحدها أنه لا عامل، وما جاء من ذلك متأوّل على ضعفه والثاني أن العرض هنا لا يراد به المصدر الحقيقي، بل يراد به المسافة. والثالث أن ذلك يلزم منه الفصل بين الحال وبين صاحب الحال بالخبر»[٤].

(٢) قوله تعالى : ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً﴾[٥].

أتى التركيب (يُورَثُ كلالة) مبنيًا للمفعول وكان الضمير المستتر العائد إلى المفعول هو نائب الفاعل والتقدير يُورِثُه ذا كلالة وقد شغل اللغويون أنفسهم بتفسير الكلالة ليتضح معنى التركيب كما يلي.

قال "الفراء" : «الكلالة ما خلا الولد والولد»[٦].

---

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، حـ١، ص ٨٣.

(٢) من الآية ١٣٣ سورة آل عمران.

(٣) من الآية ٢١ سورة الحديد.

(٤) العكبرى : إملاء ما مَنّ به الرحمن، حـ١، ص ١٤٩.

(٥) من الآية ١٢ سورة النساء.

(٦) الفراء : معاني القرآن، حـ١، ص ٢٥٧.

الكلالة من لا ولد له خاصة. وروى عن أبى بكر -رضى الله عنه- ثم رجعا عنه.

وقال "ابن زيد" : الكلالة الحى والميت جميعًا. وعن عطاء الكلالة المال، قال ابن العربى : وهذا قول طريف ضعيف لا وجه له.

قلت : له وجه يتبين بالإعراب وروى عن ابن الأعرابى أنَّ الكلالة بنو العم الأباعد وعن السدى أنَّ الكلالة الميِّت وعنه مثل قول الجمهور وهذه الأقوال تتبين وجوهها بالإعراب.

فقرأ بعض الكوفيين يُوَرِّثُ كلالة بكسر الراء وتشديدها وقرأ الحسن وأيوب (يُورِثُ) بكسر الراء وتخفيفها على اختلاف عنهما وعلى هاتين القراءتين لا تكون الكلالة إلا الورثة أو المال. كذا حكى أصحاب المعانى فالأول من ورَّث والثانى من أورث وكلالة مفعوله وكان بمعنى وقع ومن قرأ يُوَرَثُ بفتح الراء احتمل أن تكون الكلالة المال والتقدير يورث وراثة كلالة، فتكون نعتًا لمصدر محذوف ويجوز أن تكون الكلالة اسمًا للورثة وهى خبر كان، فالتقدير ذا ورثة. ويجوز أن تكون تامة بمعنى وقع، ويورث نعت لرجل، ورجل رفع بكان، وكلالة نصب على التفسير (أى التمييز) أو الحال، على أن الكلالة هو الميت، التقدير : وإن كان رجل يورث مكلل النسب إلى الميت»[١].

أما الدكتور حلمى خليل فقد بيَّن هذا التركيب فى رأى علم اللغة الحديث بقوله : «جملة يورث، مبنية للمجهول، والبنية السطحية لها كما يقول التحويليون «مشتقة من جملة أخرى مبنية للمعلوم وهى التى تمثل البنية العميقة للجملة المبنية للمجهول»[٢]. فإن ذلك يعنى أن هذه الجملة مشتقة من جملة أخرى.

أى إن كان رجل يرثه كلالة وحذف الفاعل كلالة وتغيرت صيغة المبنى

---

[١] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٣، ص ١٦٢.

وانظر العكبرى فى إملاء ما مَنَّ به الرحمن، جـ١، ص ١٦٩، ص ١٧٠.

[٢] انظر (بالمر) فى الدلالة، ص ١٥٦.

للمعلوم من يرِثُ إلى يورث وأعيد وضع كلمة كلالة فأصبحت تمييزًا بعد أن كانت فاعلاً في الجملة المبنية للمعلوم فأصبحت الجملة وإن كان رجل يورث كلالة تمييز»[١] .

ولكن ما ذكره الدكتور حلمي خليل في إعراب كلالة ضعّفه كثير من النحويين منهم ابن هشام[٢] . ولم يذكر هذا الرأى كثير من المعربين مثل مكى ابن أبى طالب أو العكبرى وإنما ذكر هذا الرأى عرضًا القرطبى كما ذكرنا.

(٣) وفى قوله تعالى : ﴿قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَن يُسْجَنَ﴾[٣] .

أتى الفعل (يُسْجن مبنيًا للمفعول وكانت الجملة النواة المعلومة لها يسجنه الملك وحلّ الضمير المستتر العائد إلى سيدنا يوسف -عليه السلام- (وهو المفعول به) محل الفاعل واختلف النحويون فى دلالة هذا التركيب تبعًا لاختلافهم فى نوع (ما) هنا أهى نافية أم استفهامية ؟

قال "أبو السعود" : «ما نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن أو العذاب الأليم قيل المراد به الضرب بالسياط أو استفهامية أى أىّ شىء جزاؤه غير ذاك أو ذلك.

وفى إبهام المريد تهويل الشأن لشأن الجزاء المذكور بكونه قانونًا مطردًا فى حق أحد كائنًا من كان»[٤] .

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «ما يحتمل أن تكون نافية أى ليس جزاؤه إلا السجن، ويجوز أيضًا أن تكون استفهامية يعنى أى شىء جزاؤه إلا أن يسجن كما تقول : من فى الدار إلا زيد.

---

[١] د. حلمى خليل، العربية والغموض، ص ٢١٧.

[٢] انظر ابن هشام : مغنى اللبيب، ص ٥٧٣، طبعة باكستان.

[٣] من الآية ٢٥ سورة يوسف.

[٤] أبو السعود : تفسير أبو السعود، جـ٣، ص ٩٧.

والمراد أن يسجن يومًا أو أقل على سبيل التخفيف، فأما الحبس الدائم فإنه يعبر عنه بهذه العبارة، بل يقال : يجب أن يجعل من المسجونين ألا ترى أن فرعون هكذا قال حين تهدد موسى -عليه السلام- فى قوله تعالى : ﴿لَئِنِ اتَّخَذْتَ إِلَٰهًا غَيْرِي لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ﴾[1] .

وقال "القرطبى" : «إلا أن يسجن أو عذاب أليم، تقول يُضْرب ضربًا وجيعًا (وما جزاء) ابتداء وخبره أن يسجن أو عذاب عطف على موقع (أن يسجن) لأن المعنى إلا السجن»[2] .

(٤) قوله تعالى : ﴿نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا﴾[3] .

أتى التركيب (رُدَّت إلينا) مبنيًا للمفعول وحلّ الضمير المستتر العائد إلى المفعول محل الفاعل وأصل الجملة النواة (المعلومة) ردَّها إلينا تفضُّلاً من حيث لا تدرى منْ مَنَّ علينا والمعنىُّ به سيدنا يوسف -عليه السلام- و لم يَكُ يعرفوه بَعْدُ وقد قرئ الفعل رُدّت بضم الراء وبكسرها وكلاهما للمفعول.

قال "العكبرى" : «(رُدَّت) الجمهور على ضم الراء وهو الأصل، ويقرأ بكسرها، ووجهه أنه نقل كسرة العين إلى الفاء كما فعل فى قيل وبيع، والمضاعف يشبه المعتل»[4] .

وقال "القرطبى" : «وروى علقمة (رِدَّتْ إلينا) بكسر الرّاء، لأنَّ الأصل رُددت، فلما أدغمت قلبت حركة الدال على الراء»[5] .

---

[1] الآية ٢٩ سورة الشعراء.

[2] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن جـ٨، ص٤٧١.

[3] من الآية ٦٥ سورة يوسف.

[4] العكبرى : إملاء ما مَنَّ به الرحمن، جـ٢، ص ٥٥.

[5] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٥٨٣.

وقال "أبو السعود" في دلالة التركيب : «هذه جملة مستأنفة موضحة لما دل عليه الإنكار من بلوغ اللطف غايته كأنهم قالوا : كيف لا وهذه بضاعتنا ردّها إلينا تفضلاً من حيث لا ندرى بَعد ما مَنَّ علينا من المنن العظام هل من مزيد على هذا فنطلبه.

وقوله تعالى : (رُدّت إلينا) حال من بضاعتنا والعامل معنى الإشارة وإيثار صيغة البناء للمفعول للإيذان بكمال الإحساس الناشئ عن كمال الإحفاء المفهوم من كمال غفلتهم عنه بحيث لم يشعروا به ولا بفاعله»[1] .

(٥) قوله تعالى : ﴿يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ﴾[2] .

أتى التركيب (يُسقى بماء واحد) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول (أى ما ذكر من القطع والجنّات والزرع والنخيل فى الآية نفسها).

وقُرئ الفعل (يُسقى) بالياء والتاء مبنيًا للمفعول وفى ذلك بيان :

قال "الفراء" : «(تُسقى بماء واحد) و(يسقى) (وبالياء قراءة ابن عامر وعاصم ويعقوب) فمن قال بالتاء ذهب إلى تأنيث الزروع والجنات والنخيل. ومن ذكّر ذهب إلى النّبْتِ، ذلك كله يُسْقى بماء واحد، كله مختلف حامض وحلو ففى هذا آية»[3] .

وقال "أبو السعود" : «يُسْقى أى ما ذكر من القطع والجنات والزرع والنخيل وقرئ بالتأنيث مراعاة للفظ والأول أوفق بمقام بيانه اتحاد الكل فى حالة السقى بماء واحد لا اختلاف فى طبعه سواء كان السقى بماء الأمطار أو بماء الأنهار»[4] .

---

(١) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٢١.

(٢) من الآية ٤ سورة الرعد.

(٣) الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٥٩، وانظر ابن خالويه فى الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٠٠.

(٤) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ١٤٧.

وقال "القرطبي" : «قوله تعالى : (آية ٤ سورة الرعد) كصالح بني آدم وخبيثهم، أبوهم واحد، قاله النحاس والبخاري. وقرأ عاصم وابن عامر (يُسْقى) بالياء، أي يُسْقى ذلك كله. وقرأ الباقون بالتاء، لقوله (جنات) واختاره أبو حاتم وابو عبيدة، قال أبو عمرو والتأنيث أحسن لقوله تعالى ﴿وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ﴾»[1] .

(٦) قوله تعالى : ﴿يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾[2] .

أتى التركيب يُرَدُّ إلى أرذل العُمُر مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل الجملة النواة المعلومة (يردُّه الله تعالى إلى أرذل العمر.

وقال "أبو السعود" في دلالة هذا التركيب : «ونعلم مَنْ يُرَدُّ إلى أرذل العمر أي قبل توفّيه يعاد إلى أرذل العمر أي أخسِّه وأحقره وهو (خمس وسبعون) على ما روى عن علي -رضي الله عنه- (وتسعون سنة) على ما نُقِلَ عن قتادة - رضي الله عنه- وقيل خمس وتسعون وإيثار الرد على الوصول والبلوغ ونحوهما للإيذان بأنَّ بلوغه والوصول إليه رجوع في الحقيقة إلى الضعف بعد القوة كقوله تعالى : ﴿نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ﴾[3] . ولا عمر أسوأ حالاً من الهرم الذي يشبه الطفل في نقصان العقل والقول»[4] .

(٧) وقوله تعالى : ﴿وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُ﴾[5] .

جاء التركيب (تُخْلَفَه مبنيًا للمفعول وقام الضمير العائد إلى المفعول به

---

[1] انظر القرطبي في الجامع لأحكام القرآن، جـ٨، ص ٦٢٣، والآية هي من الآية الرابعة سورة الرعد.

[2] من الآية ٧٠ سورة النحل.

[3] من الآية ٦٨ سورة يس.

[4] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٣، ص ٢٧٨.

[5] من الآية ٩٧ سورة طه.

(السامرى) مقام الفاعل وبقى المفعول الثانى وهو الضمير المتصل فى محل نصب كما هو. وأصل التركيب فى الجملة النواة المعلومة لن يخلفك الله ذلك الوعد بل ينجزه لك بعد ما عاقبك فى الدنيا.

وقرئ الفعل (تُخلف) بقراءات عديدة تتغير فيها الدلالة تبعًا للقراءات :

قال "ابن الجزرى" : «وأبو عمرو ويعقوب لن تخلفه بكسر اللام والباقون بفتحها»[١] .

وقال "ابن خالويه" : «يُقرأ بكسر اللام وفتحها فالحجة لمن كسر أنه جعل الفعل للسامرىّ والهاء كناية عن الموعد والحجة لمن فتح أنه أراد الدلالة على أنه مستقبل ما لم يُسَمَّ فاعله والهاء على أصلها فى الكناية، وهى فى موضع نصب فى الوجهين»[٢] .

وقال "العكبرى" : «لن تُخلِفه بضم التاء وكسر اللام أى لا تجده مخلفًا مثل أحمدته وأجْبَنْتُهُ، وقيل المعنى سيصل إليك فكأنه يفى به، ويقرأ بضم التاء وفتح اللام على ما لم يُسَمَّ فاعله، ويقرأ بالنون وكسر اللام أى لن نُخْلِفَكَه فحذف المفعول الأول»[٣] .

ووضح "الألوسى" تلك القراءات ودلالتها كما يلى :

(لن تُخلَفَه) : أى لن يخلفك الله تعالى ذلك الوعد بل ينجزه لك البتة بعدما عاقبك فى الدنيا.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والأعمش بضم التاء وكسر اللام على البناء للفاعل على أنه من أخلفت الموعد إذا وجدته خلفًا كأجبنته إذا وجدته جبانًا وعلى

---

[١] ابن الجزرى : تحبير التيسير فى قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤١.

[٢] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٢٤٧.

[٣] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٢٦.

ذلك قول الأعشى :

أثوى وقصَّر ليله ليزودا فمضى وأخلف من قتيلة موعدا

وجوز أن يكون التقدير : لن تخلف الواعد إياه فحذف المفعول الأول وذكر الثانى لأنه المقصود. والمعنى لن تقدر أن تجعل الواعد مخلفًا لوعده بل سيفعله، ونقل "ابن خالويه" عن "أبو نهيك" أنه قرأ (لن تَخلُفَه) بفتح التاء المثناة وضم اللام وفى (اللوامح) أنه قرئ (لن يَخلُفَه) بفتح الياء المثناة من تحت وضم اللام وهو من خلفه يخلفه إذا جاء بعده قيل المعنى على الرواية الأولى وإنَّ لك موعدًا لابد أن تصادفه وعلى الرواية الثانية وإنَّ لك موعدًا لا يدفع قول لا مساس فافهم.

وقرأ ابن مسعود والحسن بخلاف عنه (لن نَخلِفَه) بالنون المفتوحة وكسر اللام على أنَّ ذلك حكاية قول الله عز وجل.

وقال "ابن جنى" : «أى لن نصادفه خلفًا فيكون من كلام موسى -عليه السلام- لا على سبيل الحكاية وهو ظاهر لو كانت النون مضمومة»[1].

(٨) قوله تعالى : ﴿وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي﴾[2].

أتى التركيب (ولِتُصْنَعَ على عينى) مبنيًا للمفعول وتقدير الجملة النواة وليصنعك الله على مَرْأى من مقام العزة أو لتُغَذَّى على محبتى وإرادتى كما سنفهم ذلك فى دلالة التركيب. وقد حل الضمير المستتر العائد إلى موسى -عليه السلام- وهو المفعول به محل الفاعل.

وقرئ الفعل بقراءات.

قال "ابن الجزرى" : «أبو جعفر ولْتُصْنَعْ بإسكان اللام والجزم والباقون بكسر اللام والنصب»[3].

---

[1] الألوسى : روح المعانى، جـ١٦، ص ٢٥٦.

[2] من الآية ٣٩ سورة طه.

[3] ابن الجزرى . تحبير التيسير، ص ١٤٠

وقال "العكبرى" : «ولتُصنع : أى لتحب ولتصنع، ويقرأ على لفـظ الأمر: أى ليصنعك غيرى بأمرى ويقرأ بكسر اللام وفتح التاء والعين : أى لتفعل مـا آمرك بمرأى منى»[١] .

وقد وضح دلالة التركيب "الشوكانى" بقوله : «(ولتُصنع على عينى) أى ولتربى وتغذّى بمرأى منى، يقال : صنع الرجل جاريته إذا ربّاهـا وصنـع فرسـه : إذا داوم على علفه والقيام عليه، وتفسير (على عينى) بمرأى منى صحيح.

قال "النحاس" : وذلك معروف فى اللغة، ولكن لا يكون فى هذا تخصيص لموسى، فإنّ جميع الأشياء بمرأى من الله. وقال أبو عبيدة وابن الأنبارى : إنّ المعنى لتغذى على محبتى وإرادتى، تقول : (أتّخذُ الأشياء على عينى) أى على محبتى.

قال "ابن الأنبارى" : العين فى هذه الآية يقصد بها قصد الإرادة والاختيار، من قول العـرب : غـدا فـلان علـى عينـى أى علـى المحبة منـى. قيـل والـلام متعلقة بمحذوف أى فعلت ذلك لتصنع، وقيل : متعلقة بألقيت، وقيـل متعلقـة بمـا بعـده أى ولتصنع على عينى قدّرنا مشى أختك. وقرأ ابن القعقـاع (ولْتصْنَـعْ) بإسـكان الـلام على الأمر، وقرأ أبو نهيك بفتح التاء، والمعنى : ولتكون حركتك وتصرّفك بمشيئتى، وعلى عَيْنٍ منى»[٢] .

(٨) قوله تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ ٱلْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[٣] .

أتى الفعل (تُنسى) مبنيًا للمفعـول فـى فاصلة الآيـة الكريمـة وحـلَّ الضمـير المستتر العائد إلى المفعول به وهو الكافر الذى تحـدث عنـه القـرآن العظيـم فـى الآيـة

---

[١] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٢١.

[٢] الشوكانى : فتح القدير، جـ٣، ص ص ٥١٦، ٥١٧.

[٣] من الآية ١٢٦ سورة طه.

السابقة بأنه يُحْشر يوم القيامة أعمى ويتساءل أمام مقام العزة ﴿قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا * قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا ۖ وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ﴾[١] .

وفي دلالة التركيب :

قال "الفراء" : «يقال إنه يخرج من قَبْره بصيرًا فيعمى في حشره»[٢] .

وقال "الشوكاني" : «قال كذلك أى مثل ذلك فعلت أنت، ثم فسّره بقوله تعالى : ﴿أتتك آياتنا فنسيتها﴾ أى أعرضت عنها، وتركتها، و لم تنظر فيها و﴿وكذلك اليوم تُنسى﴾ أى تترك في العمى والعذاب في النار»[٣] .

(١٠) قوله تعالى : ﴿يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾[٤] .

أتى الفعل (يُوقَدُ) مبنيًا للمفعول وحلّ الضمير المستتر والعائد إلى المفعول به في الجملة النواة المعلومة محل الفاعل وأصل التركيب النواة المعلوم يُوقِدُ الحق النور من شجرة مباركة. وقرئ الفعل (يوقد) بقراءات عديدة تتغير فيها الدلالة بتغير القراءة وفيها بيان :

قال "ابن الجزرى" : «ابن كثير وأبو عمر وأبو جعفر ويعقوب تَوَقَّدُ بالتاء مفتوحة وفتح الواو والدال والقاف مشددًا وأبو بكر وحمزة والكسائي وخلف بالتاء مضمومة وإسكان الواو وضم الدال وفتح القاف مخففًا والباقون كذلك إلا أنه بالياء ابن عامر وأبو بكر»[٥] .

---

[١] الآيتان ١٢٥، ١٢٦ سورة طه.

[٢] الفراء : معاني القرآن، جـ٢، ص ١٩٤.

[٣] الشوكاني : فتح القدير، جـ٣، ص ٥٥٣.

[٤] من الآية ٣٥ سورة النور.

[٥] ابن الجزرى : تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، ص ١٤٨.

وقال "الفراء" : «(توقد من شجرة) تذهب إلى الزجاجة إذا قال توقد ومن قال (يُوقَدُ) ذهب إلى المصباح ويقرأ (تَوَقَّدُ) مرفوعة مشدَّدة ويقرأ (توقَّدَ) بالنصب والتشديد ومن قال (توقَّدُ) ذهب إلى الزجاجة ومن قال (توقَّد) نصبًا ذهب إلى المصباح وكل صواب»[١] .

وقال "أبو السعود" : «يوقد من شجرة مباركة أى يبتدأ إيقاد المصباح من شجرة مباركة أى كثيرة المنافع بأن رويت ذبالته بزيتها وقيل إنما وصفت بالبركة لأنها تنبت فى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين»[٢] .

ووضح دلالة القراءات ومعنى التركيب "الشوكانى" بقوله : «يوقد من شجرة مباركة، ومن هذه الابتدائية أى ابتداء إيقاد المصباح منها وقيل هو على تقدير مضاف أى يوقد من زيت شجرة مباركة والمباركة : الكثيرة المنافع وقيل المنمَّاة والزيتون من أعظم الثمار نماءً.

وقد قرئ (توقد) بالتاء الفوقية على أن الضمير راجع إلى الزجاجة دون المصباح وبها قرأ الكوفيون وقرأ شيبة ونافع وأيّوب وسلاَّم وابن عامر وأهل الشام وحفص (يُوقَدُ) بالتحتية مضمومة وتخفيف القاف وضم الدال. وقرأ الحسن والسُّلَمى وأبو عمرو بن العلاء وأبو جعفر (تَوَقَّدَ) بالفوقية مفتوحة وفتح الواو وتشديد القاف وفتح الدال على أنه فعل ماضٍ من توقد يتوقد، والضمير فى هاتين راجع إلى المصباح.

قال "النحاس" : «وهاتان القراءتان متقاربتان لأنهما جميعًا للمصباح، وهو أشبه بهذا الوصف لأنه الذى ينير ويضيء، وإنما الزجاجة وعاء له. وقرأ نصر ابن عاصم كقراءة أبى عمرو ومن معه إلا أنه ضم الدال على أنه فعل مضارع، وأصله تتوقد»[٣] .

---

(١) الفرّاء : معانى القرآن، جـ٢، ص ٢٥٢.

(٢) أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٩١.

(٣) الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٤٩.

(١١) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾[1] .

أتى التركيب (فهى تُملى عليه) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وهو المفعول به في الجملة النواة المبنية للمعلوم وأصل التركيب فهى يمليها (أى الأساطير) عليه مُمْلٍ غدوة وعشيًا أو فى جميع الأوقات.

وقد اختلف المفسرون فى دلالة هذا التركيب كما يلى :

قال "أبو السعود" : «أى تلقى عليه تلك الأساطير بعد اكتتابها ليحفظها من أفواه من يمليها عليه من ذلك المُكْتِبُ لكونه أميًا لا يقدر على أن يتلقّاها منه بالقراءة أو تملى على الكاتب على أنَّ معنى اكتتبها أراد اكتتابها أو استكتابها رجع الضمير المجرور إليه -عليه الصلاة والسلام- لإسناد الكتابة فى ضمن الاكتتاب إليه -صلى الله عليه وسلم-»[2] .

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «فهى تُملى عليه والمعنى أنها كتبت له وهو أمّيّ فهى تُلْقَى عليه من كتابه ليحفظها لأن صورة الإلقاء على الحافظ كصورة الإلقاء على الكاتب.

وقال "الحسن" : قوله تعالى : (فهى تُلقى عليه بُكْرَةً) وأصيلاً : كلام الله ذكره جوابًا عن قولهم كأنه تعالى قال إنَّ هذه الآيات تُملى عليه بالوحى حالاً بعد حال، فكيف ينسب إلى أنه أساطير الأولين. وأما جمهور المفسرين فقد اتفقوا على أن ذلك من كلام القوم، وأرادوا به أنَّ أهل الكتاب أملوا عليه في هذه الأوقات هذه الأشياء.

ولا شك أن هذا القول أقرب لوجوه :

---

[1] الآية ٥ سورة الفرقان.

[2] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ١٢١.

أحدها : شدة تعلق هذا الكلام بما قبله، فكأنهم قالوا اكتتبها خير الأولين فهى تُملى عليه.

ثانيها : إنّ هذا هو المراد بقولهم ﴿وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ﴾[١].

ثالثها : إنّه تعالى أجاب بعد ذلك عن كلامهم بقوله تعالى : ﴿قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ﴾[٢].

قال صاحب الكشاف[٣] : «وقول الحسن إنما يستقيم أن لو فتحت الهمزة للاستفهام الذى فى معنى الإنكار وحق الحسن أن يقف على الأولين»[٤].

(١٢) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا إِن نَّتَّبِعِ الْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا﴾[٥].

أتى التركيب (نُتَخَطَّف من أرضنا) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المبنية للمعلوم أى يتخطفنا العرب من أرضنا.

قال "الشوكانى" فى دلالة هذا التركيب : «أى قال مشركو قريش ومن تابعهم. إن ندخل فى دينك يا محمد نتخطّف من أرضنا أى يتخطفنا العرب من أرضنا يعنون مكّة ولا طاقة لنا بهم، وهذا من جملة أعذارهم الباطلة وتعللاتهم العاطلة، والتخطف فى الأصل هو الانتزاع بسرعة. قرأ الجمهور نتخطف بالجزم جوابًا للشرط، وقرأ المنقرى بالرفع على الاستئناف»[٦].

---

[١] من الآية ٤ سورة الفرقان.

[٢] من الآية ٦ سورة الفرقان.

[٣] انظر الزمخشرى فى الكشاف، جـ٣، ص ١٥٢.

[٤] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١١، ص ٦٦٢.

[٥] من الآية ٥٧ سورة القصص.

[٦] الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٢٥١.

(١٣) قوله تعالى : ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾[١] .

أتى التركيب (لم تُسكَنْ من بعدهـم) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المبنية للمعلوم لم يسكنها أحد من بعدهم.

وفى دلالة التركيب قال الشوكانى أيضًا : أى لم يسكنها أحد بعدهم إلا زمنًا قليلاً، كالذى يمر بها مسافرًا فإنه يلبث فيها يومًا أو بعض يوم، أو لم يبق من يسكنها فيها إلا أيامًا قليلة لشوم ما وقع فيها من معاصيهم. وقيل إن الاستثناء يرجع إلى المساكن أى لم تسكن بعد هلاك أهلها إلا قليلاً من المساكن وأكثرها خراب، كذا قال الفرّاء وهو قول ضعيف»[٢] .

وقال "العكبرى" : «محل جملة (لم تسكن) فى محل نصب حال والعامل فيها الإشارة، ويجوز أن تكون فى موضع رفع على ما ذكر فى قول الله تعالى : ﴿عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي﴾[٣] . إلا قليلا أى زمانًا قليلاً»[٤] .

(١٤) قوله تعالى : ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا﴾[٥] .

أتى التركيب (دُخِلتَ عليهم من أقطارها) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب فى الجملة النواة المعلومة فلو دخلها كل من أراد الفساد يعنى «لو دخلت عليهم بيوتهم أو المدينة من جوانبها لا من بعضها، ونزلت

---

[١] من الآية ٥٨ سورة القصص.

[٢] الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٢٥٤.

[٣] من الآية ٧٢ سورة هود.

[٤] العكبرى : إملاء ما منّ به الرحمن، جـ٢، ص ١٧٩.

[٥] من الآية ١٤ سورة الأحزاب.

بهم هذه النازلة الشديدة، واستبيحت ديارهم، وهتكت حرمهم ومنازلهم ثم سئلوا الفتنة أى القتال أو الشرك با لله لأعطوها من أنفسهم»[١].

وفى دلالة هذا التركيب قال "أبو السعود" : «أسند الدخول إلى بيوتهم وأوقع عليهم لما أن المراد فرض دخولها وهم فيها لا فرض دخولها مطلقًا كما هو المفهوم لو لم يذكر الجار والمجرور ولا فرض الدخول عليهم مطلقًا كما هو المفهوم لو أسند إلى الجار والمجرور (من أقطارها) أى من جميع جوانبها لا من بعضها دون بعض فالمعنى لو كانت بيوتهم مختلفة بالكلية ودخلها كل من أراد من أهل الدعارة والفساد ثم (سئلوا) من جهة طائفة أخرى عند تلك النازلة والرجعة الهائلة والفتنة أى الردة والرجعة إلى الكفر مكان ما سئلوا الآن من الإيمان والطاعة لآتوها. أى لأعطوها غير مبالين بما دهاهم من الداهية الدهياء والغارة الشعواء»[٢].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «احتمل أن يكون المراد المدينة فى ولو دخلت عليهم واحتمل أن يكون البيوت»[٣].

وهاهنا مسائل أحب أن أُلفِتَ إليها أما الأولى وهى أن هناك دلالة أخرى للتركيب (دُخِلَ عليه) بالبناء للمفعول ومعناه إذا سبق وهمه إلى شيء فغلط فيه من حيث لا يشعر ونظن أننا يمكن أنْ نُفَسِّرَ التركيب السابق فى الآية الكريمة بمعنى قريب من هذا وهو لو حاول أَحَدٌ من المرجفين المفسدين أن يُزَيِّن لهم ويخدعهم بدخول المدينة من أحد جوانبها ثم سئلوا الكفر لأعطوها بدون قتال.

وأما الثانية : وهى أن النحويين اختلفوا فى الفعل دخل أهو لازم أم مُتَعَدٍّ بحرف الجر أم متعدٍ بنفسه ؟

---

[١] الشوكانى : فتح القدير، جـ٤، ص ٣٧٤.

[٢] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٣١٢.

[٣] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٢، ص ٥٨١.

قيل : «إن الفعل دخل لازم وأن مصدره على وزن فعول (دخول) وهو غالب الأفعال اللازمة مثل خرج الرجل خروجًا وقعد قعودًا ونزل ونزولاً»[١].

وقال "أبو عمرو الجرمي" : دخل متعد فما بعده مفعول به لا مفعول فيه.

وقال "المبرّد" : «هو من الأفعال التى تتعدى تارة بأنفسها وتارة بحرف الجر نحو نصحت زيدًا، ونصحت لزيد وشكرته وشكرت له فكذلك قولك دخلت الدار ودخلت فيها»[٢].

ومن تراكيب (دخل) قال أصحاب المعاجم «دَخَلْتُ الدار ونحوها دخولاً صرت داخلها فهى حاوية لك ويُعدَّى بالهمزة فيقال أدخلت زيدًا الدار "مُدْخلاً" بضم الميم. ودخل فى الأمر (دخولاً) أخذ فيه، ودخلت على زيد الدار إذا دخلتها بعده وهو فيها دخل بامرأته دخولا والمرأة مدخول بها ودُخل عليه بالبناء للمفعول إذا سبق وهمه إلى شيء فغَلطِ فيه من حيث لا يشعر وفلان دخيل بين القوم أى ليس من نسبتهم بل هو نزيل بينهم»[٣].

وقد اختلف النحويون فى المنصوب (المختص من الأماكن) بعد هذه الأفعال على وجوه :

(١) هذه الظروف المختصة منصوبة على الظرفية كما انتصب الظرف المكانى المبهم عليها إلا أن ذلك شاذ لا يقاس عليه وهو مذهب المحققين من النحاة ونسبه الأستاذ أبو على الشلوبينى للجمهور وصححه ابن الحاجب[٤].

(٢) هذه الأسماء منصوبة على إسقاط حرف الجر (يعنى على الحذف

---

[١] انظر الرضى : شرح الكافية، جـ١، ص ١٨٦.

[٢] ابن يعيش : شرح المفصل، جـ٢، ص ٤٤، وقارن بالمبرد فى المقتضب، جـ١، ص ١٢٧.

[٣] انظر على سبيل المثال : ابن منظور فى لسان العرب باب الدال والفيروزبادى فى القاموس المحيط باب الدال والفيومى فى المصباح المنير كتاب الدال.

[٤] الرضى : شرح الكافية، جـ١، ص ١٨٦.

والإيصال) وهذا رأى (أبو على الفارسي) ومن العلماء من ينسبه إلى سيبويه واختاره ابن مالك[١].

ولكن بالتفتيش فى كتاب سيبويه نجده يذكر فى باب الفاعل الـذى يتعداه فعله إلى مفعول. .

يقول : وقال بعضهم ذهبت الشام يشبِّهه بالمبهم إذا كان مكانًـا يقـع عليه المكان والمذهب وهذا شاذ لأنه ليس فى ذهـب دليـل على الشـام، وفيـه دليـل علـى المذهب والمكان[٢].

وفى موضع آخر يقول «هذا باب ما شُبِّه من الأماكن المختصة بالمكان غـير المختص شبهت به إذا كانت تقع على الأماكن مثل هو منى بمنزلـة الولـد وهـو منى مقعد الإزار يقصدون بالمكان الذى ينزل به الولد والمكان الذى يقع عليه الإزار، فإنما أرادوا هذا المعنى ولكنه حذف المكان، وجاز ذلك كما جاز دخلت البيـت وذهبـت الشام، لأنها أماكن وإن لم تكن كالمكان»[٣].

وقد فهم النحويون بذلك أن "لسيبويه" رأيَيْن فى المسألة فذكـر بعضهـم أن رأيه فى الاسم بعد هذه الأفعال أنَّه منصوب علـى نـزع الخـافض ونقـل الرضـى فـى شرح الكافية أن رأى سيبويه فى ذلك هو نصبه على الظرفية[٤].

(٣) يرى المـبرد مـن البصريـين والفـرّاء مـن الكوفيين وتابعهمـا أبـو حيـان الأندلسى أنّ دخل وذهب يجوز فيهما الوجهان (المتعدى بنفسه وبواسطة فى) وألحق

---

(١) أبو على الفارسي : الإيضاح العضدى، جـ١، ص ١٨٣، وقـارن بالصبـان فـى حاشـيته علـى شـرح الأشمونى، جـ٢، ص ٩٠.

(٢) سيبويه : الكتاب، جـ١، ص ٣٥.

(٣) المصدر السابق، جـ١، ص ٤١٤.

(٤) الرضى : شرح الكافية، جـ١، ص ١٨٦.

الفرّاء بدخلت (ذهبت وانطلقت) فقال، العرب عدَّت إلى أسماء الأماكن وحكى أنهم يقولون (دخلت الكوفة وانطلقت الشام)

وقال "أبو حيان" معقبًا على ذلك : وهذا شيء لم يحفظه سيبويه ولا غيره من البصريين والفرّاء ثقة فيما ينقله[1].

(٤) إن هذه الأسماء منصوبة على التشبيه بالمفعول به.

(٥) إن هذه الأسماء منصوبة على أنها مفعول به حقيقة وهذا مذهب الأخفش الأوسط وأبو عمرو الجرمي[2].

ويرى كثير من الباحثين المحدثين أن الأفضل أن يكون المنصوب بعد دخل -وسكن- وغيرها من الأفعال التي يأتي بعدها مكان مخصوص منصوبًا على أنه مفعولاً به ليستريح الباحثون من النصب على نزع الخافض ومن اعتراضات أخرى على إعرابه ظرفًا منصوبًا»[3].

(١٥) قوله تعالى : ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ﴾[4]

أتى التركيب (يُرَادُ) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به في الجملة النواة المعلومة مقام الفاعل والتقدير : «إن هذا لشيء يريده الرسول - صلى الله عليه وسلم- وقيل إن هذا الأمر يريده الله سبحانه، وما أراده فهو كائن لا محالة، فاصبروا على عبادة آلهتكم.

وقيل المعنى : إن دينكم لشيء يراد أي يُطلَبُ ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه.

---

(١) السيوطي : همع الهوامع، جـ١، ص ٢٠٠.

(٢) الرضي : شرح الكافية، جـ١، ص ١٨٦.

(٣) عباس حسن : النحو الوافي، جـ٢، ص ٢١٥، وانظر د. عفيف دمشقية خطى متعثرة على طريق تجديد النحو العربي، ص ٩٧.

(٤) الآية ٦ سورة ص.

وقيل الأول أولى[1].

إذن اختلف المفسرون في دلالة هذا التركيب -خاصة الفاعل أو الحق تعالى- أو الرسول -صلى الله عليه وسلم- أو دين الكفار الباطل وفي هذا بيان :

قال "أبو السعود" : «(إن هذا لَشَيْءٌ يراد) تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به أي هذا الذي شاهدناه من محمد -صلى الله عليه وسلم- من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وإبطال أمرها لشيء يراد أي من جهته -عليه الصلاة والسلام- إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتنان فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله من رأيه بوساطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحمَّلوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء القالة وقيل إن هذا الأمر لشيء يريده الله تعالى ويحكم بامضائه وما أراد الله كونه فلا مَرَدَّ له ولا ينفع فيه إلا الصبر وقيل إن هذا الأمر لشيء من نوائب الدهر يراد بنا فلا انفكاك لنا منه وقيل إن دينكم لشيء يراد أن يطلب ليؤخذ منكم وتغلبوا عليه وقيل إن هذا الذي يدعيه من التوحيد أو يقصده من الرياسة والترفّع على العرب والعجم لشيء يُتمنى ويريده كل أحد منهم فتأمل هذه الأقاويل واختر منها ما يساعده النظم الجليل»[2].

وقال "الإمام فخر الدين الرازي" : «(إن هذا لشيء يراد) فيه ثلاثة أوجه. أحدها : ظهور دين محمد -صلى الله عليه وسلم- ليس له سبب ظاهر يثبت أنَّ تزايد ظهوره ليس إلاَّ لأن الله يريده، وما أراد الله كونه فلا دافع له.

وثانيها : إن الأمر لشيء من نوائب الدهر فلا انفكاك لنا منه.

وثالثها : إن دينكم لشيء يراد أي يطلب ليؤخذ منكم.

---

[1] الشوكاني : فتح القدير، جـ٤، ص ٥٩١.

[2] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٢٩.

قال القفال : هذه كلمة تذكر للتهديد والتخويف وكأن معناها إنه ليس غرض محمد من هذا القول تقرير الدين، وإنما غرضه أن يستولى علينا يتحكم فى أمور لنا بما يريد»[١].

وقال "القرطبي" : «إن هذا لشيء يراد أى يراد بأهل الأرض من زوال نعم قوم وغِيَرٍ تنزل بهم وقيل إن هذا لشيء يراد كلمة تحذير أى إنما يريد محمد بما يقول الانقياد له ليعلو علينا، ونكون له أتباعًا فيتحكم فينا بما يريد، فاحذروا أن تطيعوه.

وقال مقاتل : إنَّ عُمر -رضي الله عنه- لما أسلم وقوى به الإسلام شَقَّ ذلك على قريش فقالوا : إن إسلام عمر في قوة الإسلام لشيء يراد»[٢].

(١٦) قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءُ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ﴾[٣].

أتى فى الآية الكريمة السابقة فعلان مبنيان للمفعول هما (زُيِّن - صُدَّ) أما زُيِّن فقد قام مقام الفاعل (المفعول به) فى الأصل وكان اسمًا ظاهرًا وهو (سوء).

أما الفعل الثاني (صُدَّ) وقرئ الفعل بالبناء للمفعول وبالبناء للفاعل.

قال "ابن الجزرى" : «وفي غافر (وصُدَّ عن السبيل) بضم الصاد فيهما والباقون بفتح الصاد فيهما»[٤].

وقال "ابن خالويه" : «(وصُدَّ عن السبيل) يقرأ بضم الصاد وفتحها فالحجة لم ضَمَّ أنه دَلَّ بالضم على بناء ما لم يُسَمَّ فاعله وعطفه على قوله تعالى فى الآية نفسها (وكذلك زُيِّن لفرعون سوء عمله) والحجة لمن فتح أنه جعل الفعل لفرعون،

---

[١] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، مجلد ١٣، ص ٢٨٥.

[٢] الإمام القرطبي : الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٠، ص ١٧٣.

[٣] من الآية ٣٧ سورة غافر (المؤمن).

[٤] ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٢٨.

فاستتر اسمه فيه لتقدمه قبل ذلك وفيه حجة لأهل السنة»[١].

وما ذكره ابن خالويه يحتاج إلى إيضاح وفيه لبس فهو يدل أن قراءة البناء للمعلوم حجة لأهل السنة ولكننا نرى الزمخشرى فى الكشاف يؤيد قراءة المبنى للمعلوم»[٢].

وقد وضح القراءات الإمام "القرطبى" بقوله : «قراءة الكوفيين (وصُدّ) على ما لم يُسَمَّ فاعله وهو اختيار أبى عبيد وأبى حاتم، ويجوز على هذه القراءة وصِدَّ بكسر الصاد نقلت كسرة الدال على الصاد، وهي قراءة يحيى بن وثاب وعلقمة، وقرأ ابن أبى اسحاق وعبد الرحمن بن بكرة (وصَدٌّ عن السبيل) بالرفع والتنوين والباقون وصَدَّ بفتح الصاد والدال أى صد فرعون الناس عن السبيل»[٣].

ووضح دلالة التركيب "أبو السعود" بقوله : «وصُدَّ عن السبيل أى سبيل الرشاد والفاعل فى الحقيقة هو الله تعالى ويؤيده قراءة زيَّن بالفتح وبالتوسط الشيطان وقرئ وصَدَّ (بفتح الصاد) على أن فرعون صد الناس عن الهدى بأمثال هذه التمويهات والشبهات ويؤيده ﴿وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ﴾[٤]. أى خسار وضلال أو علم أنه من صد صدودًا أى أعرض وقرئ بكسر الصاد على نقل حركة الدال إليه»[٥].

(١٧) قوله تعالى : ﴿أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾[٦].

أتى التركيب (يُنَشَّؤُ فى الحلية) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى

---

[١] ابن خالويه : الحجة فى القراءات السبع، ص ٣١٥.

[٢] الزمخشرى : الكشاف، جـ٣، ص ٣٧٢.

[٣] الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٠، ص ٢٧٥.

[٤] من الآية ٣٧ سورة غافر.

[٥] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٤، ص ٤٩٠.

[٦] الآية ١٨ سورة الزخرف.

المفعول مقام الفاعل وتقدير الجملة النواة المعلومة. أو مَنْ ينشئه أبواه فى الحلية وقرئ الفعل بتشديد الشين وضم الياء مبنيًا للمفعول وبفتح الياء وإسكان النون والتخفيف مبنيًا للفاعل وهناك قراءات أخرى فيها بيان :

قال "الفراء" : «(أو مَنْ يُنَشَّؤُ فى الحلية) يريد الإناث يقول : خصصتم بالبنات وأنتم هكذا إذا ولد لأحدكم بنت أصابه ما وصف فأما قوله (أو مَنْ) فكأنه قال ومن لا ينشأ إلا فى الحلية وهو فى الخصام غير مبين. يقول : لا يبلغ من الحجة ما يبلغ الرجل.

وفى قراءة عبد الله (أو مَنْ لا يُنَشَّأُ إلا فى الحلية) فإن شئت جعلت مَنْ فى موضع رَفْع على الاستئناف وإن شئت نصبتها على إضمار فعل يجعلون ونحوه وإن رددتها على أول الكلام على قوله : ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ﴾[1] خفضتها وإن شئت نصبتها.

وقرأ يحيى بن وثّاب وأصحاب عبد الله والحسن البصرى (يُنَشَّأ) وقرأ عاصم وأهل الحجاز يَنْشَأُ فى الحلية»[2].

وقال "ابن الجزرى" : «(أو مَنْ يُنشَّؤا بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين والباقون بفتح الياء وإسكان النون وتخفيف الشين»[3].

وقال "الإمام القرطبى" : «(أو مَنْ يُنشَّأ) أى يُربَّى ويشب والنشوء التربية ويقال نشأت فى بنى فلان نَشْئًا ونشوءًا إذا شببت فيهم. ونُشِّئ وأنشِئ بمعنى.

وقرأ ابن عباس والضحّاك وابن وثّاب وحفص والكسائى وخلف (يُنَشّأ) بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أى يُربَّى ويكبر فى الحلية، واختاره أبو عبيد

---

(1) من الآية ١٧ سورة الزخرف.

(2) الفراء : معانى القرآن، جـ٣، ص ٢٩.

(3) ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٧٤.

لأن الإسناد فيها أعلى.

وقرأ الباقون (يَنْشأ) بفتح الياء وإسكان النون، واختاره أبو حاتم، أى يرسخ وينبت، وأصله من نشأ أى ارتفع، قال الهروى فينشّأ متعد وينشأ لازم»[١].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(أو مَنْ ينشأ فى الحلية) فيه التنبيه على نقصانها، وهو أن الذى يرى فى الحلية يكون ناقص الذات، لأنه لولا نقصان فى ذاتها لما احتاجت إلى تزيين نفسها بالحلية»[٢].

(١٨) قوله تعالى : ﴿وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ﴾[٣].

أتى الفعل (وازدجر) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به فى الجملة النواة المعلومة محل الفاعل والأصل وزجره الكفار فى أقوى الآراء.

ونلاحظ أن هناك تراكيب أخرى مثل هذا التركيب وردت فى سورة القمر لرعاية الفواصل وهى ﴿كُفِرَ﴾[٤] و﴿قَدْ قُدِرَ﴾[٥].

وفى قوله تعالى : (وازْدُجِر).

قال "الفراء" : «زُجِرَ بالشتم، وازدجر افتعل من زجرت، وإذا كان الحرف أوله زاى صارت تاء الافتعال فيه دالاً، من ذلك زُجِر، وازدجر، ومُزْدَجر»[٦].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(وازدجر) إخبار من الله تعالى أو حكاية قولهم نقول فيه خلاف منهم من قال إخبار من الله تعالى وهو عطف على

---

[١] الإمام القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٥، ص ١٥٣.

[٢] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٤، ص ٨٥.

[٣] من الآية ٩ سورة القمر.

[٤] من الآية ١٤ سورة القمر.

[٥] من الآية ١٢ سورة القمر.

[٦] الفراء : معانى القرآن، جـ٣، ص ١٠٦.

(كذّبوا) فى الآية نفسها وقالوا أى هم كذبوا وهو (ازدُجر) أى أوذى وزجر وهو كقوله تعالى : ﴿كُذِّبُوا وَأُوذُوا﴾[1] .

وعلى هذا إن قيل لو قال كذبوا عبدنا وزجروه كان الكلام أكثر مناسبة نقول : لا بل هذا أبلغ لأن المقصود تقوية قلب النبى -صلى الله عليه وسلم- بذكر من تقدّمه فقال (وازدجر) أى فعلوا ما يوجب الانزجار من دعائهم حتى ترك دعوتهم وعدل عن الدعاء إلى الإيمان إلى الدعاء عليهم ولو قال زجروه ما كان يفيد أنه تأذى منهم لأنَّ فى السعة يقال آذونى، ولكن ما تأذيت، وأما أوذيت فهو كاللازم لا يقال إلا عند حصول الفعل لا قبله.

ومنهم من قال (وازدجر) حكاية قولهم أى هم قالوا ازدجر، تقديره قالوا مجنون مزدجر، ومعناه : ازدجره الجن أو كأنهم قالوا جُنَّ وازدجر، والأول أصح ويترتب عليه الآية الكريمة : ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ﴾[2] .

وقال "القرطبى" : «(وازدجر) أى زجر عن دعوى النبوة بالسب والوعيد والقتل وقيل : إنما قال (وازدجر) بلفظ ما لم يُسَمَّ فاعله لأنه رأس آيه»[3] .

(١٩) قوله تعالى : ﴿قَدْ قُدِرَ﴾[4] .

أتى الفعل (قُدِر) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول به فى الجملة النواة المعلومة والتقدير فى أقوى الآراء على حال قد قدرها الحق تعالى وقد اختلفوا فى دلالة هذا التركيب وتفصيل ذلك :

---

[1] من الآية ٣٤ سورة الأنعام.

[2] الآية ١٠ سورة القمر، وانظر الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٥، ص ٦٧.

[3] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٥، ص ٢٢٣.

[4] من الآية ١٢ سورة القمر.

قال "الفراء" : «(قد قدر) أى قُدِر فى أم الكتاب ويقال قد قُدِر أن الماءين كان مقدارهما واحدًا ويقال قد قُدِرَ لما أراد الله من تعذيبهم»(١).

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" : «(على أمر قد قدر) فيه وجوه :

الأول : على حال قد قدَّرها الله تعالى كما شاء.

الثانى : على حال قدَّر أحد الماءين بقدر الآخر.

الثالث : على سائر المقادير وذلك لأن الناس اختلفوا فمنهم من قال : ماء السماء كان أكثر ومنهم من قال ماء الأرض، ومنهم من قال كانا متساويين، فقال على أى مقدار كان، والأول إشارة إلى عظمة الطوفان فإن تنكير الأمر يفيد ذلك يقول القائل : جرى على فلان شيء لا يمكن أن يقاس إشارة إلى عظمته وفيه احتمال آخر، وهو أن يقال التقى الماء، أى اجتمع على أمر هلاكهم، وهو كان مقدورًا مقدَّرًا.

وفيه رد على المنجِّمين الذى يقولون : إنَّ الطوفان كان بسبب اجتماع الكواكب السبعة حول برج مائى، والغرق لم يكون مقصودًا بالذات، وإنما ذلك أمْرٌ لزم من الطوفان الواجب ونوعه، فقال لم يكن ذلك إلا لأمر قد قُدِرَ، ويدل عليه أن الله تعالى أوحى إلى نوح بأنهم من المغرقين»(٢).

(٢٠) قوله تعالى : ﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ﴾(٣).

أتى الفعل (كُفِرَ) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العائد إلى المفعول مقام الفاعل وأصل التقدير فى الجملة النواة المعلومة (جزاء لمن كان كفروه) فى أقوى الآراء على أن الفعل يتعدى وقد مَرَّ بنا تركيب فيه (كفر) متعديًا إلى مفعولين

---

(١) الفراء : معانى القرآن، جـ٣، ص ١٠٦.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١٥، ص ٧١

(٣) الآية ١٤ سورة القمر.

بالتضمين وهو قوله تعالى : ﴿وما يفعلوا من خير فلن يُكفروه﴾[1].

وقوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّ ثَمُودَ كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾[2].

وقد أتى فيه الفعل متعديًا إلى واحد أو أنه منصوب على نزع الخافض أى كفروا بربهم أو متعديًا إلى واحد بالتضمين والتقدير جحدوا أمر ربهم[3].

أما التركيب الذى ورد فى سورة القمر وهو (كُفِر) فقد قيل فيه :

قال "الفراء" : «(جَزَاءً لمن كان كُفِر) أى جُحِدَ يقول فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاءً لما صُنِع بنوح وأصحابه، فقال : لمن يريد القوم، وفيه معنى ما. ألا ترى أنك تقول : غُرِّقوا لنوح وما صُنِع بنوح والمعنى واحد»[4].

وكان الفرّاء قد قال فى معنى قوله تعالى : (كفروا ربّهم) والعرب تقول : كفرتك وكفرت بك، وشكرت بك وشكرت لك. وقال الكسائى : سمعت العرب تقول : شكرت با لله كقولهم كفرت با لله»[5].

وقال "الإمام فخر الدين الرازى" عن : (جَزَاءً لِمنْ كان كُفِرَ) «فيه وجهان: أحدهما أن يكون كفر مثل شكر يعدى بالحرف وبغير حرف يقال شكرته وشكرت له قال تعالى : ﴿وَلَا تَكْفُرُونِ﴾[6]. وقال تعالى : ﴿فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ﴾[7].

---

[1] انظر الفصل الرابع، ص ١١٥، ١١٦.

[2] من الآية ٦٨ سورة هود.

[3] انظر الفرّاء فى معانى القرآن، حـ٢، ص ٢٠.

والعكبرى : فى إملاء ما مَنَّ به الرحمن، حـ٢، ص ٤١.

[4] الفرّاء : معانى القرآن، حـ٣، ص ١٠٦.

[5] المصدر نفسه، حـ٢، ص ٢٠.

[6] من الآية ١٥٢ سورة البقرة.

[7] من الآية ٢٥٦ سورة البقرة.

ثانيهما : أن يكون من الكفر لا من الكفران أى جزاء لمن ستر أمره وأنكر شأنه ويحتمل أن يقال كفر به وترك لظهور المراد»[1] .

(٢١) قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[2] .

أتى التركيب (أُقِّتت) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر مقام الفاعل وأصل التركيب (وإذا الرسل عيّن لهم الحق تعالى الوقت الذى يحضرون فيه للشهادة على أممهم[3] .

وقد أتى مثل هذا التركيب فى تراكيب أخرى من آيات الذكر الحكيم فى سورة المرسلات والتكوير والانفطار والانشقاق وهذه هى الآيات الكريمة التى أتى فيها الفعل مبنيًا للمجهول وقد سُبق باسم ظاهر هو نفسه المفعول به فى المعنى وسنرى أن النحويين اختلفوا فى إعراب هذا الاسم.

ومنه قوله تعالى فى سورة المرسلات ﴿فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ * وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ * وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ * وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ * لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ﴾[4] .

وفى سورة التكوير : ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[5] . ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ * وَإِذَا الْعِشَارُ عُطِّلَتْ * وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ * وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ * وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ * وَإِذَا الْمَوْءُودَةُ سُئِلَتْ * بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ * وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ * وَإِذَا

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ١، ص ٧٣.

[2] الآية ١١ سورة المرسلات.

[3] أبو السعود : تفسير أبو السعود، مجلد ٥، ص ٨٠٦.

[4] الآيات من ٨ إلى ١٢ سورة المرسلات.

[5] الآية ١ سورة التكوير.

السَّمَاءُ كُشِطَتْ * وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ * وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ﴾[1].

وفى سورة الانفطار قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ * وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾[2].

ونلاحظ أنَّ البصريين والكوفيين اختلفوا في إعراب الاسم الواقع بعد إذا فهو عند البصريين نائب فاعل لفعل محذوف يفسره الفعل المتأخر وتعليل ذلك عندهم أن إذا تطلب الفعل لا الاسم.

أما الكوفيون فقد أعربوا الاسم مبتدأ و لم يعبأوا بإذا ولا إن فى آية أخرى[3]. ونرى أن رأى الكوفيين لا تعقيد فيه ولا تأويل يساعده معانى التنزيل العزيز.

وقد اختلف المفسرون في دلالة بعض هذه التراكيب وقرئ بعض الأفعال بالتشديد والتخفيف وفى ذلك بيان :

أما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ﴾[4].

قرئ الفعل بالهمز والواو (أقتت - وُقِّتَتْ) قال الفرّاء : «اجتمع القراء على همزها وهى فى قراءة عبد الله (وُقِّتَتْ) وقرأها أبو جعفر المدنى وُقِتَتْ بالواو خفيفة وهى قراءة شيبة والأعرج»[5].

---

[1] الآيات من ٣ : ١٣ سورة التكوير.

[2] الآيتان ٣، ٤، سورة الانفطار.

[3] انظر فى تفصيل هذا الآراء : خالد الأزهرى فى شرح التصريح على التوضيح، حـ١، ص ٢٧٣، والخضرى فى حاشيته على شرح ابن عقيل، حـ١، ص ١٣٤.

[4] الآية ١١ سورة المرسلات.

[5] الفرّاء : معانى القرآن، حـ٣، ص ٢٢٢.

وقال "القرطبى" : «وإنما همزت لأن الواو إذا كانت أول حرف وضُمَّتْ همزت من ذلك قولك صلى القوم أحدانا»[1] .

وقال "ابن الجزرى" : «وأبو جعفر وُقِتَتْ بالواو وخَفّف أبو جعفر القاف والباقون بالهمز والتشديد»[2] .

وفى سورة التكوير : قوله تعالى: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾[3] .

قال "الإمام فخر الدين الرازى" فى التكوير وجهان : أحدهما التلفيف على جهة الاستدارة كتكوير العمامة وفى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من التشتت بعد الألفة والطى واللف والكور والتكوير واحد يعبر عن إزالة النور عن جرم الشمس وتصييرها غائبة عن الأعين بالتكوير فلهذا قال بعضهم كُوِّرَتْ أى طمست، وقال آخرون انكشفت، وقال الحسن : محى ضوءها، وقال المفضل ابن سلمة كوِّرت أى ذهب ضَوْءُها كأنها استترت فى كاره.

وفى الوجه الثانى فى التكوير : يقال كورت الحائط دهورته إذا طرحته حتى يسقط قال الأصمعى يقال طعنه فكوَّرَه إذا صرعه فقوله إذا الشمس كوِّرت أى أُلقِيَتْ ورُمِيَتْ عن الفلك وفيه قول ثالث يروى عن عمر -رضى الله عنه- أنه لفظةٌ مأخوذة من الفارسية فإنه يقال للأعمى كور»[4] .

وأمـا قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾[5] . أى عن وجه الأرض.

---

[1] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ١٩، ص ١٥٨.

[2] ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٩٢.

وانظر ابن مجاهد : فى السبعة فى القراءات، ص ٦٦٦.

[3] الآية ١ سورة التكوير.

[4] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٣١، ص ٦٦.

[5] الآية ٣ سورة التكوير.

وأما قوله تعالى : (وإذا العشار عُطِّلَتْ) فقال "الإمـام فخر الدين الـرازى" «فيه قولان :

القول الأول : المشهور أن العشار جمع عشـراء كالنفاس فـى جمـع نفسـاء وهى التى مضى على حملها عشرة أشهر، وهو اسمها إلى أن تضع لتمام السـنة، وهـى أنفس ما يكون عند أهلها وأعزها عليهم وعُطِّلَتْ قال "ابن عباس" أهملها أهلهـا لما جاءهم من أهوال يوم القيامة، والنوق الحوامـل أحـبُّ شـيء عنـد العـرب وخـوطـب العرب بأمر العشار لأن أكـثر مالهـا وعيشـها مـن الإبـل والغـرض مـن ذلـك ذهـاب الأحوال وبطلان الأملاك، واشتغال الناس بأنفسهم.

والقول الثانى : إن العشار كناية عن السحاب تعطَّلَتْ عما فيهـا مـن المـاء هذا وإن كان مجازًا إلا أنه أشبه بسائر ما قبله وأيضًا فالعرب تشبه السحاب بالحامل.

- قال تعالى : ﴿فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا﴾»[1].

وقوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾[2].

أتى الفعل (سُجِّرت) مبنيًا للمفعول وقام الضمير المستتر العـائد إلى المفعـول (وهو البحار) مقام الفاعل والتقدير وإذا البحار سجَّرها الله.

وقرئ الفعل بتخفيف الجيم وتشديدها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو سُجِرَت خفيفة وقرأ نافع وابن عامر وحفص عـن عاصم سُجِّرت مشددة الجيم[3].

وقد اختلف المفسرون فى دلالة (سُجِّرت) كما يلى :

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٣١، ص ٦٨ والآية الثانية سورة الذاريات.

[2] الآية ٦ سورة التكوير.

[3] ابن مجاهد : السبعة فى القراءات، ص ٦٧١، وانظر ابن الجزرى فى تحبير التيسير، ص ١٩٤.

قال "الإمام فخر الدين الرازى" : فيه وجوه :

أحدها : أن أصل الكلمة من سجرت التنُّور إذا أوقدتها والشيء إذا وقد فيه نشف ما فيه من الرطوبة، فحينئذ لا يبقى في البحار شيء من المياه البتة ثم إن الجبال قد سُيِّرَتْ وحينئذ تصير البحار والأرض شيئًا واحدًا في غاية الحرارة والإحراق ويحتمل أن تكون الأرض لما نشفت مياه البحار رَبَتْ فارتفعت فاستوت برؤوس الجبال.

ويحتمل أن الجبال لما اندكت وتفرَّقَتْ أجزاؤها وصارت كالتراب وقع ذلك التراب في أسفل الجبال فصار وجه الأرض مستويًا مع البحار ويصير الكل بحرًا مسجورًا وثانيها يكون سُجِّرت بمعنى فجرت وثالثها سُجِّرت أوقدت[1].

أما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾[2]. فقد اختلف المفسرون في دلالة هذا التركيب :

قال "الإمام فخر الدين الرازى" : «فيه وجوه :

أحدها : قُرِنَت الأرواح بالأجساد.

ثانيها : قال الحسن : يصيرون فيها ثلاثة أزواج.

مثل قوله تعالى : ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً﴾[3].

وثالثها : أنه يَضُمُّ إلى كل صنف من كان في طبقته من الرجال والنساء، فَيَضُمُّ المُبَرِّزُ في الطاعات إلى مثله، والمتوسط إلى مثله وأهل المعصية إلى مثله، فالتزويج أن يُقْرَن الشيء بمثله، والمعنى أنْ يضم كل واحد إلى طبقته في الخير والشر.

---

[1] الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٣١، ص ٦٨.

[2] الآية ٧ سورة التكوير.

[3] الآية ٧ سورة الواقعة.

ورابعها : يَضُمُّ كل رجال إلى من كان يلزمه من ملك وسلطان كما قال تعالى : ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾[(١)].

خامسها : قال "ابن عباس" : زوجت نفوس المؤمنين بالحور العين وقرنت نفوس الكافرين بالشياطين.

سادسها : قرن كل امرئ بشيعته اليهودى باليهود والنصرانى بالنصارى وقد ورد فيه خبر مرفوع.

وسابعها : قال "الزجاج" : قرنت النفوس بأعمالها»[(٢)].

وأما قوله تعالى : ﴿وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ﴾[(٣)].

قُرِئ الفعل (سُعِّرت) بتشديد العين وبتخفيفها

«قرأ ابن نافع وأبو جعفر وحفص وابن ذكوان ورُوَيْس سُعِّرَتْ بتشديد العين والباقون بتخفيفها»[(٤)].

أما من قرأ بالتشديد لأنها أوقدت مرة بعد مرة.

قال "قتادة" : «سعرها غضب الله وخطايا بنى آدم ودلالة التركيب : إذا الجحيم أوقدت لأعداء الله إيقادًا شديدًا»[(٥)].

وفى سورة الانشقاق قوله تعالى: ﴿إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ * وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾[(٦)].

---

(١) من الآية ٢٢ سورة الصافات.

(٢) الإمام فخر الدين الرازى : مفاتيح الغيب، جـ٣١، ص ٧٠.

(٣) الآية ١٢ سورة التكوير.

(٤) ابن الجزرى : تحبير التيسير، ص ١٩٤، وانظر ابن مجاهد فى السبعة فى القراءات، ص ٦٧٣.

(٥) الشوكانى : فتح القدير، جـ٥، ص ٥٥٥.

(٦) الآيتان ١، ٢، سورة الانشقاق.

أتى الفعل (حُقَّتْ) مبنيًا للمفعول وقيل أصل التركيب وحقّق الله عليها الاستماع لأمره بالانشقاق، أى جعلها حقيقة بذلك. وقال قتاده : حق لها أن تفعل ذلك.

ومن هذا قول كثير :

فإن تكن العتبى فأهلاً ومرحبًا

وحُقَّتْ لها العتبى لَدَيْنَا وقَلَّت[1] .

أما سورة الغاشية فقد وَرَدَ فيها أربعة تراكيب مبنية للمفعول وهى : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ * وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ * وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾[2] .

وقد أتت الأفعال فى هذه التراكيب الأربعة مبنية للمفعول وقام مقام الفاعل الضمير المستتر العائد إلى المفعول وهو (الإبل - السماء - الجبال - الأرض) فى الآيات الأربعة الكريمة.

ونلاحظ أن الفعل المبنى للمفعول قد سبق باسم الاستفهام (كيف) الواقع فى محل نصب ويدل استخدامه على مقام العزة الذى يخلق بالقدرة ما لا يستطيع عليه بشر.

وقد اختلف اللغويون فى دلالة بعض هذه التراكيب ومنها : (أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلِقَت).

---

[1] المصدر نفسه، جـ٥، ص ٥٧٩.

[2] الآيات من الآية ١٧ إلى الآية ٢٠ سورة الغاشية.

قال "أبو عمرو بن العلاء" : «إنما خصَّ الإبل لأنها من ذوات الأربع تَبْرُكُ فتحمل عليها الحمولة وغيرها من ذوات الأربع لا يحمل عليه إلا وهو قائم.

قال "الزجاج" : نبَّههم على عظيم من خلقه قد ذلَّله الله للصغير يقوده وينيخه وينهضه ويحمل عليه الثقيل من الحمل وهو باركٌ، فينهض بثقل حمله، وليس ذلك فى شيء من الحوامل غيره، فأراهم عظيمًا من خلقه ليدل بذلك على توحيده وسئل الحسن عن هذه الآية، وقيل له : الفيل أعظم فى الأعجوبة، فقال : أما الفيل فالعرب بعيدة العهد به، ثم هو خنزير لا يركب ظهره ولا يؤكل لحمه ولا يحلب درّه، والإبل من أعز مال العرب وأنفسه، تأكل النوى والقت وتخرج اللبن ويأخذ الصبى بزمامها فيذهب بها حيث شاء مع عظمها فى نفسها.

وقال "المبرّد" : الإبل هنا هى القطع العظيمة من السحاب، وهو خلافُ ما ذكره أهل التفسير واللغة.

وروى عن الأصمعى أنه قال : من قرأ (خلقت) بالتخفيف عُنِيَ به البعير، ومن قرأ بالتشديد عنى به السحاب.

(وإلى السماء كيف رفعت) : أى رفعت فوق الأرض بلا عمد على وجه لا يناله الفهم ولا يدركه العقل وقيل : رفعت فلا ينالها شيء

(وإلى الجبال كيف نُصبت) : على الأرض مرساة راسخة لا تميد ولا تزول.

(وإلى الجبال كيف نُصبت) : أى بسطت، والسطح، بسط الشيء.

وقرأ الجمهور (سطحت) مبنيًا للمفعول مخففًا وقرأ الحسن : بالتشديد وقرأ على بن أبى طالب وابن السميفع وأبو العالية خلَقْتُ ورَفَعْتُ ونَصَبْتُ وسَطَحْتُ على البناء للفاعل وضم التاء فيها كلها»[1].

---

[1] المصدر نفسه، جـ٥، ص ٦١٨.

وقال "القرطبي" : «وإلى الجبال كيف نُصِبَتْ : أى كيف نصبت على الأرض بحيث لا تزول؛ وذلك أن الأرض كما دُحيت مادت فأرساها بالجبال وفى (سطحت) قال : وقرأ الحسن وأبو حَيْوَةَ وأبو رجاء سَطَّحَتْ : بتشديد الطاء وإسكان التاء وكذلك قرأ الجماعة إلا أنهم خففوا الطاء»[1].

---

[1] القرطبى : الجامع لأحكام القرآن، جـ٢٠، ص ٣٦.

الخاتمة ونتائج البحث

١-عرض النحويون مباحث المبنى للمفعول بقوانين حددوا فيها الأفعال التى تبنى فيها الأفعال للمفعول واختلفوا فى بعضها، مثل الأفعال الناقصة التى أباح بناءها الكوفيون ورفض بناءها البصريون وبيّنوا صيغة الفعل وتغييرها من المبنى للمعلوم إلى المفعول وأشاروا إلى اللغات المختلفة للفعل المعتل الأجوف والمضعّف، وبيّنوا الأفعال التى وردت غالبًا مبنية للمفعول. وأثبت البحث أن هناك لغات مختلفة لهذه الأفعال وبها قرأ القُرّاء القراءات القرآنية المعتمدة, وناقش النحويون أسباب حذف الفاعل وتسبوه إلى أغراض لفظية وأغراض معنوية، وقد بيّن ابن هشام أن هذا تطفل من النحويين على صناعة البيان؛ أى ما يشمل علم المعانى، وقد أيّدناه فى ذلك.

٢-ذكر النحويون ما ينوب عن الفاعل من مفعول به أو مصدر مختص أو ظرف متصرف أو جار ومجرور، واختلفوا فى الفعل اللازم هل يبنى للمفعول أم لا، واختلفوا في الجار والمجرور: هل الجار والمجرور هو الذى يحل محل الفاعل؟ وقد رفض بعضهم ذلك وهذا رأى ضعيف، ومنهم من ذهب إلى أن القائم مقام الفعل هو الجار والمجرور وهم الكوفيون، وذهب الفراء وحده إلى أن حرف الجر هو القائم مقام الفاعل وقد رفض غالبية النحويين هذا الرأى وقالوا هذا لا يُعْقَل. وذهب البصريون إلى أنه إذا وجد المفعول به فلا يجوز إنابة غيره؛ ولكن الكوفيين والأخفش الأوسط أجازوا ذلك. وقد عرض البحث لهذه الآراء من خلال التراكيب القرآنية، وأثبت البحث صحة رأى البصريين.

٣-جاء ما يقوم مقام الفاعل فى القرآن العظيم فى تراكيب مختلفة؛ فمرة يكون نائب الفاعل اسمًا ظاهرًا، أو ضميرًا متصلاً، أو ضميرًا مستترًا،

أو جارًا ومجرورًا، وجاء الظرف المتصرف في مواطن قليلة جدًا في رأي الأخفش الأوسط وبعض الكوفيين، أما المصدر الظاهر أو المقدر فقد ورد في مواطن قليلة. وقد اختلف النحويون في تقدير المصدر أو الضمير المستتر، وقد أيدنا آراء النحويين إذا اتفق ذلك مع سياق الموقف أو المعنى القرآني الجليل.

٤- جاء ما يقوم مقام الفاعل اسمًا ظاهرًا في كثير من الآيات القرآنية الكريمة، وقد اختلفت الدلالة باختلاف القراءات القرآنية، مثل قوله تعالى: ﴿لا تضارّ والدة بولدها﴾، وقوله تعالى: ﴿فأُلقِيَ السحرةُ ساجدين﴾ حيث ذهب الزمخشري إلى أنه يجوز لك ألا تقدر فاعلاً؛ وقد رددنا هذا الرأي. وقد اختلفت الدلالة باختلاف القراءات القرآنية لبعض الأفعال بالتشديد والتخفيف مثل سُكِّرَت وسُكِرَت، وعُمِّيَت وعُمِيَت، وفُتِّحَت وفُتِحَت، ويضاعِف ويُضعَّف. وأتى ما يقوم مقام الفاعل اسمًا ظاهرًا وأصله مفعول به وقبله جار ومجرور، وهذا يؤيد رأي البصريين. وفي الضمير المتصل جاءت التراكيب واضحة؛ إلا ما احتاج إلى بيان مثل وُقِفُوا على النار ويُهْرعون - وسُعِدوا، ودافع البحث عن قراءة الكسائي بضم السين في سُعِدَ وأثبت أن هذه لغة فاشية لبعض العرب. وفي ما قام مقام الفاعل، وهو شبه جملة، ظهرت تراكيب تدل على إعجاز القرآن العظيم من الوجهة اللغوية؛ فقد أتى شبه الجملة مرتين، وكان أحدهما يقوم مقام الفاعل، والعبرة بالسياق والمعنى القرآني. وقد أيدت رأي الكوفيين في مواطن والبصريين في مواطن أُخَر بما يناسب سياق الموقف أو السياق الاجتماعي أو المعنى المناسب للآية القرآنية الكريمة.

٥-وفى التراكيب التى أتى فيها ما يقوم مقام الفاعل ضميرًا مستترًا، اختلف المفسرون والنحويون فى ذلك، وقد بينت الرأى الذى يناسب المقام.

٦-إن القرآن العظيم ينطق بوجوه الإعجاز اللغوى فى تراكيبه البديعة ورصفه العجيب، وقد أدت صيغة المفعول دلالة عظيمة تنطق بسنن الكبرياء ومقام العزة والتفخيم والإبهام والتحدى للمعاندين. والقرآن العظيم يكشف بأسراره وإعجازه اللغوى للباحثين إلى يوم الدين ما يؤكد إعجازه اللغوى ويبين للناس جميعًا أنه الكتاب الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وقد أدّت القراءات القرآنية المعتمدة دورًا كبيرًا فى اختلاف الدلالة والسياق، وهذا يحتاج إلى جهود الباحثين المنصفين.

المصادر والمراجع

- الأزهرى (أبو منصور محمد بن أحمد) م ٣٧٠هـ.

تهذيب اللغة، طبع دار الكتب المصرية ١٩٥٦م، وطبع المؤسسة المصرية للتأليف والنشر والترجمة من ١٩٦٤- ١٩٦٧م. حقق الجزء الأول والتاسع عبد السلام هارون، واشترك فى تحقيق الأجزاء من ١-١٥ د.عبد الحليم النجار (جـ٢، وجـ٣)، وعبد الكريم العزباوى (جـ٤)، وعبد السلام سرحان (جـ٧)، والدكتور عبد الله درويش (جـ٥) وأحمد عبد الحليم (جـ١٢)، يعقوب عبد النبى (جـ١٣)، وإبراهيم الإيبارى (جـ ١٤)، واشترك فى مراجعة تحقيقه على البجاوى ومحمد على النجار، واستدرك على الأجزاء (٧، ٨، ٩) إبراهيم الإيبارى فى الفترة من ١٩٦٤-١٩٦٧م، واستدرك على الأجزاء نفسها د. رشيد عبد الرحمن العبيدى الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٥م.

- الأزهرى (خالد بن عبد الله) م ٩٠٥هـ.

شرح التصريح على التوضيح، وبهامشه حاشية الشيخ يس بن زين العليمى الحمصى، طبع عيسى الحلبى، مصر د.ت.

- الألوسى (شهاب الدين السيد محمود الألوسى البغدادى) ١٢٧٠هـ.

روح المعانى فى تفسير القرآن العظيم والسبع المثانى، إدارة الطباعة المنيرية ودار إحياء التراث العربى، الطبعة الرابعة، ١٩٨٥م، بيروت.

- الأنبارى (أبو البركات كمال الدين عبد الرحمن بن محمد) م ٥٧٧هـ.

١- أسرار العربية، طبع بتحقيق سيبولد فى ليدن عام ١٨٨٦م، ثم نشره محمد بهجت العطار، دمشق ١٩٧٧م.

٢- البيان فى غريب إعراب القرآن، تحقيق د. طه عبد الحميد طه، مراجعة مصطفى السقا، دار الكتاب العربى، القاهرة ١٣٨٩- ١٩٦٩م.

- ابن الباذش (أحمد بن علي ت ٥٤٠هـ)

الإقناع في القراءات السبع، تحقيق د. عبد المجيد قطامش، دمشق ١٤٠٣هـ.

- البطليوسي (ابن السيد) ت ٥٢١هـ.

الاقتضاب في شرح أدب الكتاب لابن قتيبة، طبع بيروت ١٩٠١م، بمراجعة عبد الله البستاني، ونشر بتحقيق مصطفى السقا، ود. حامد عبد المجيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر ١٩٨١م.

- البنا الدمياطي (أحمد بن محمد البنا الدمياطي) م ١١١٧هـ.

إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربعة عشر، نشر بإشراف علي محمد الضبّاع، القاهرة ١٣٥٩هـ.، وحققه د. شعبان محمد إسماعيل، مكتبة الكليات الأزهرية وعالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٨٧م.

- ابن الجزري (محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الجزري) م ٨٣٣هـ.

١. تحبير التيسير في قراءات الأئمة العشرة، حققه وعلق عليه: عبد الفتاح القاضي ومحمد الصادق قمحاوي، طبع وكالة الصحف العالمية (فرع مطبعة النهضة الجديدة) بالقاهرة، ونشر دار الوعي بحلب، الطبعة الأولى ١٣٩٢ - ١٩٧٢م.

٢. النشر في القراءات العشر، تصحيح ومراجعة محمد الضباع، مطبعة مصطفى محمد، القاهرة، وحققه د. محمد سالم محيسن، ط مكتبة القاهرة.

- الجزولي (أبو موسى عيسى بن عبد العزيز الجزولي) م ٦٠٧هـ.

المقدمة الجزولية في النحو، تحقيق وشرح د. شعبان عبد الوهاب محمد، وراجعه د. حامد أحمد نبيل ود. فتحي محمد جمعة، مطبعة أم القرى، الطبعة الأولى، القاهرة ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

- ابن جني (أبو الفتاح عثمان ابن جني) م ٣٩٢هـ.

الخصائص، تحقيق محمد علي النجار في ثلاثة أجزاء، طبع دار الكتب ١٩٥٢ - ١٩٥٥م، وطبعة ثالثة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مزيدة ومنقّحة ١٩٨٦م.

- ابن الجوزي (أبو الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي القرشي البغدادي) م ٥٩٧هـ.

زاد المسير في علم التفسير، طبع المكتب الإسلامي، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

- حلمي خليل (دكتور)

١. نظرية تشومسكي اللغوية - تأليف جون ليونز

John Lyons, Chomsky, Harvester Press 2nd ed. 1977.

ترجمة وتعليق د. حلمي خليل ، الطبعة الأولى، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ١٩٨٥م.

٢. العربية والغموض، دار المعرفة الجامعية، ط١، ١٩٨٨م.

- أبو حيان الأندلسي (أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي الغرناطي) ت ٧٤٥ هـ.

١. ارتشاف الضرب من لسان العرب - تحقيق الدكتور مصطفى النّمّاس. مكتبة الخانجي، طبعة أولى، القاهرة ١٩٨٩م.

٢. البحر المحيط، طبع دار السعادة، القاهرة ١٣٢٨هـ، وطبع دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، طبعة ثانية ١٩٧٨م.

- ابن خالويه (الحسين بن أحمد) م ٣٧٠هـ.

الحجة في القراءات السبع، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الخامسة ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، تحقيق الدكتور عبد العالم سالم مكرم.

- الخضرى (محمد الدمياطي الشافعي الشهير بالخضرى) ١٢٨٧هـ.

حاشية الخضرى على شرح ابن عقيل (م ٧٦٩هـ) لألفية بن مالك (م ٦٧٢هـ)، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، الطبعة الأخيرة ١٣٥٩هـ - ١٩٤٠م.

- الرازى (فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن على التيمى البكرى الرازى الشافعي) م ٦٠٦ هـ.

مفاتيح الغيب (التفسير الكبير) المطبعة الشرفية، القاهرة ١٣٠٨هـ، وطبع القاهرة ١٣٨٩ هـ، ونشرته دار الغد العربي بالقاهرة ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

- الرضى الاستراباذى (رضى الدين محمد بن الحسن) م ٦١٦هـ.

١. شرح الكافية في النحو لابن الحاجب (م ٦٤٦هـ)، تحقيق د. يوسف حسن عمر، منشورات جامعة قاريونس، ليبيا ١٩٨٧م، ونشرته دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١٩٨٥.

٢. شرح الشافية في الصرف لابن الحاجب (م ٦٤٦هـ)، تحقيق محمد الزفزاف ومحمد محيى الدين عبد الحميد ومحمد نور الحسن، مطبعة السعادة ١٣٥٦- ١٣٥٨هـ القاهرة، ونشرته دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

- الزمخشرى (جار الله أبو القاسم محمد بن عمر بن أحمد) م ٥٣٨هـ.

١. الكشاف عن حقائق التنزيل، المطبعة العامرة ١٣٠٨هـ، القاهرة، ومطبعة الاستقامة ١٣٦٥هـ، ومطبعة الحلبي ١٣٩٢هـ - ١٩٧٣م.

٢. نكت الأعراب فى غريب الإعراب فى القرآن الكريم، تقديم وتحقيق د. محمد أبو الفتوح شريف، طبع دار المعارف، القاهرة ١٩٨٥م.

– ابن السرّاج (أبو بكر محمد بن السرىّ بن سهل) م ٣١٦هـ.

الأصول فى النحو، حققه د/ عبد المحسن الفتلى، مطبعة الأعظمى بغداد ١٩٧٣م، مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ – ١٩٨٥م.

– أبو السعود العمادى (أبو السعود بن محمد العمادى) م ٩٨٢هـ.

تفسير أبو السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم) طبع دار الفكر، بيروت، د.ت. خمسة مجلدات.

– السمين الحلبى (شهاب الدين أبو العباس أحمد بن يوسف بن محمد بن مسعود المعروف بالسمين الحلبى) م ٧٥٦هـ.

الدر المصون فى علوم الكتاب المكنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخراط، طبع دار القلم، دمشق، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م.

– سيبويه (أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر) ت ١٨٠هـ.

الكتاب (كتاب سيبويه)، طبع بولاق ط أولى ١٣١٦هـ وطبع الهيئة المصرية العامة للكتاب بتحقيق عبد السلام هارون ١٣٨٥ – ١٣٩٧هـ، ١٩٦٦– ١٩٧٧هـ.

– السيوطى (جلال الدين عبد الرحمن بن أبى بكر) ت ٩١١هـ.

همع الهوامع شرح جمع الجوامع فى علم العربية، حققه د. عبد العال سالم مكرم، والجزء الأول بالاشتراك مع عبد السلام هارون، ط. الكويت ١٩٧٥م.

– الشوكانى : (الإمام محمد بن على بن محمد الشوكانى م ١٢٥٥هـ)

فتح القدير الجامع بين فنى الرواية والدراية من علم التفسير، حقّقه وخرّج أحاديثه وفهرسها سيد إبراهيم بن صادق بن عمران، دار الحديث بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ – ١٩٩٣م.

– الصبّان (محمد بن على الصبّان المتوفى عام ١٢٦٠هـ).

حاشية الصبّان على شرح الأشمونى، طبع عيسى الحلبى، القاهرة د.ت.

– الطبرى (أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى م ٣١٠هـ)

جامع البيان عن تأويل آى القرآن، حققه محمود محمد شاكر، دار المعارف بمصر ١٩٦٩م، ونشرته دار الحديث بالقاهرة ١٤٠٧ – ١٩٨٧م، بعنوان : جامع البيان فى تفسير القرآن، وبهامشه تفسير غرائب القرآن ورغائب الفرقان لنظام الدين الحسن بن محمد بن حسين القمرى النيسابورى.

– الطيب البكوش (دكتور)

التصريف العربى من خلال علم الأصوات الحديث، تقديم صالح القرمادى، نشر وتوزيع مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله تونس، المطبعة العربية، تونس الطبعة الثانية ١٩٨٧م.

– عباس حسن

النحو الوافى، الطبعة الخامسة، دار المعارف القاهرة ١٩٧٥م.

– عبده الراجحى (دكتور).

النحو العربى والدرس الحديث – الإسكندرية ١٩٧٧م، ودار النهضة العربية، بيروت ١٩٧٩م.

- العكبرى (أبو البقاء عبد الله الحسين بن عبد الله م ٦١٦هـ)

١. إملاء ما مَنَّ به الرحمن في وجوه الإعراب والقراءات في جميع آى القرآن، تحقيق إبراهيم عطوة عوض، مطبعة الحلبى، الطبعة الثانية ١٩٦٩ القاهرة.

٢. التبيان في إعراب القرآن، تحقيق محمد على البجاوى، مطبعة عيسى الحلبى، ١٩٨٦ القاهرة.

- الفارسي (أبو على الحسن بن أحمد م ٣٧٧هـ)

١. الإيضاح العضدى، تحقيق د. حسن شاذلى فرهود، ١٩٦٩م القاهرة.

٢. الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق على النجدى ناصف، ود. عبد الحليم النجار، د. عبد الفتاح شلبى، الجزء الأول والثاني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

- الفرّاء (أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء م ٢٠٧هـ)

(معانى القرآن) الجزء الأول، تحقيق أحمد يوسف نجاتى ومحمد على النجار، الطبعة الثانية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٠م.

والجزء الثانى والثالث، تحقيق د. عبد الفتاح شلبى، ومحمد على النجار، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٣م.

- الفيروزبادى (مجد الدين محمد بن يعقوب ت ٨١٧هـ)

القاموس المحيط، طبع بولاق ١٢٧٢هـ ونشرته شركة فن الطباعة بمصر، ١٩٥٤م.

- الفيومى

المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت د.ت.

- ابن منظور (جمال الدين محمد بن مكرم بن علي بن أحمد الأنصاري الأفريقي ثم المصري) م ٧١١هـ)

لسان العرب، طبع بولاق ١٣٠٠هـ، ومطبعة العادى ١٣٥٥هـ، وطبعة مصورة عنها في دار صادر بيروت ١٩٥٥م، وطبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م.

- ابن هشام الأنصاري (أبو عبد الله جمال الدين بن يوسف بن هشام الأنصاري المصري المتوفى ٧٦١هـ.

١. شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، المكتبة التحارية ١٩٦٥م.

٢. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، الطبعة الأولى، المطبعة الشرقية القاهرة ١٣٢٨هـ.

وطبع بهامشه شرح الأمير على المغني، القاهرة ١٣٧٢هـ.

وطبع بهامشه شرح الدسوقي على المغني، القاهرة ١٣٥٨هـ.

وطبع بدمشق ١٣٨٤هـ - ١٩١٤م، وحققه محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت ١٩٨٧م.

وحققه وخرّج شواهده الدكتور مازن المبارك، ومحمد على الحمد وراجعه سعيد الأفغاني، طبع دار الفكر، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٧٢م، ونشرته دار نشر الكتب الإسلامية، لاهور باكستان، الطبعة الأولى ١٩٧٩م.

- ابن يعيش (يعيش بن علي بن يعيش ت ٦٤٣هـ) لابن جني.

١. شرح التصريف الملوكي، تحقيق فخر الدين قباوة، بيروت ١٩٧٩م.

٢. شرح المفصل، طبع المطبعة المنيرية د.ت.

- ابن القبيصى (أبو عبد الله محمد بن أبى الوفاء الموصلى المعروف بابن القبيصى ت بعد ٦١٠هـ)

التتمة فى التصريف، تحقيق ودراسة د. محسن بن سالم العميرى النادى الأدبى، جدة ١٩٨٥م.

- القرطبى (أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى، ت ٦٧١هـ)

الجامع لأحكام القرآن، طبع دار الكتب ١٩٥٠م.

-ابن قيّم الجوزية (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أبى بكر بن أيوب م ٧٥١هـ)

الفوائد المشوّقة إلى علوم القرآن وعلم البيان، طبع بيروت، منشورات، دار ومكتبة الهلال ١٩٨٥م.

- ابن مجاهد (أحمد بن موسى بن العباس بن مجاهد م ٣٢٤هـ)

كتاب السبعة فى القراءات، تحقيق د. شوقى ضيف، طبع دار المعارف، مصر ١٩٧٢م.

- محمود سليمان ياقوت (دكتور)

١ـ شرح جمل سيبويه، دار المعرفة الجامعية ١٩٩٢م.

٢ـ المبنى للمجهول فى الدرس النحوى والتطبيق فى القرآن الكريم، دار المعرفة الجامعية ١٩٨٩م.

- مكى بن أبى طالب القيسى م ٤٣٧هـ.

مشكل إعراب القرآن، حققه ياسين محمد السوّاس، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ١٩٧٤م، وحققه الدكتور حاتم صالح الضامن مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثالثة ١٩٨٧م.

الفهرس